The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Arts
Master of History



الجــامعـــة الإســـلامية بغـــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليـا
كـــــــــليـــــــــــة الآداب
ماجستيـــــــر تـــاريــــخ

الأمن الداخلي والخارجي في الخلافة العباسية

(العصر العباسي الأول)

(132 - 232 هـ = 750 - 847 م)

Internal and external security in the Abbasid Caliphate

(The first Abbasid era)

إعداد الباحث

سالم أحمد سالم الجوجو

إشراف الدكتور

غسان محمود وشاح

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي التاريخ الإسلامي بكلية الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامية بِغَزة

ذي القعدة 1440هـ – يوليو/ 2019م

إقـــــرار

أقر أنا الموقع أدناه مقدم هذه الدراسة الموسومة بـ:

الأمن الداخلي والخارجي في الخلافة العباسية

(العصر العباسي الأول)

(132 - 232 هـ = 750 - 847 م)

Internal and external security in the Abbasid Caliphate

(The first Abbasid era)

بأن ما اشتملت عليه إنما هو نتاج جهدي الخالص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الدراسة ككل أو أي جزء منها لم يُقدم من قِبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	سالم أحمد الجوجو	اسم الطالب:
Signature:	سالم	التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

Ref ..../35/ج.س.غ الرقم
Date........2019/09/30م التاريخ

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **سالم احمد سالم الجوجو** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ برنامج **التاريخ**

وموضوعها:

الأمن الداخلي والخارجي في الخلافة العباسية
(العصر العباسي الاول) (132 - 232 هـ = 750 - 847 م)

Internal and external security in the Abbasid Caliphate(The first Abbasid era)
(M = 750 - 847H 232 - 132)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاثنين 1 صفر 1441**هـ الموافق **2019/09/30**م الساعة ، في اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	**مناقشاً داخلياً**	....
د. مروان سالم نوري	**مناقشاً خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج التاريخ.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

الرقم العام للنسخة	367959	اللغة	6	ماجستير ☑ دكتوراه ☐

التاريخ: 19/9/2019م

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رســالة

للطالب/ــة/ سالم احمد سالم الحجوج

رقم جامعي: 1201[illegible]9226 قسم: التاريخ كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

735

توقيع الطالب

إدارة المكتبة المركزية

ملخص الدراسة

جاءت هذه الدراسة موسومة بالأمن الداخلي والخارجي في الخلافة العباسية (العصر العباسي الأول) (132 – 232 هـ = 750 – 847 م)؛ وذلك للتعرف إلى نشأة الخلافة العباسية وازدهارها، والتعرف إلى طرق جمع المعلومات فيها ، ومعرفة الحياة الأمنية في السلم والحرب، وإبراز دور التدخلات الأمنية ضد الخلافة العباسية ومواجهتها.

تم قسمت دراستي هذه إلى أربعة مباحث : فتناولت في البحث الأول نشأة الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، ومن ثم سرية الدعوة وقيام الخلافة العباسية، ثم ذكرتُ أسس الخلافة العباسية وأركانها، وأخيراً تحدثتُ عن منظومة الأمن في الخلافة العباسية.

أما الفصل الثاني: فقد تحدثتُ فيه عن مصادر جمع المعلومات في الخلافة العباسية في عصرها الأول، فتطرقت إلى دور التجارة، والرحالة، ومن ثم تناولت دور الرسل والسفراء، وأخيراً تحدثتُ عن دور الدواوين.

وناقشتُ في الفصل الثالث: موضوعَ الأمن الداخلي في الخلافة العباسية في عصرها الأول؛ حيث تناولت الأخطار الأمنية الداخلية ومكافحتها، ثم تحدثت عن الحياة الأمنية في السلم، وتناولت الحياة الأمنية في الحرب، وأخيراً تحدثت عن سياسة الاستيعاب والتجنيد المضاد.

أما الفصل الرابع: فتناولت فيه التداخلات الأمنية ضد الخلافة العباسية ومواجهتها؛ حيث تحدثت عن الأخطار الخارجية ومكافحتها، ثم تناولت مكافحة التجسس، وألقيت الضوء على دور العلاقات الدبلوماسية في الاستقرار الأمني، وأخيراً تعرضت لدور الأمن في نهضة الخلافة العباسية.

وتوصلت بهذه البحث إلى نتائج مفادها أن الخلافة العباسية تعرضت إلى كثير من الأخطار الداخلية، كالعلويين، والزنادقة، والخوارج، والثورات الداخلية في العراق، وثورة الزنط، وثورة نصر ابن ثبث وبابك الخرمي في بلاد فارس في عهد المأمون، والمعتصم بالله.

وواجهت الخلافة العباسية كثيراً من الأخطار الخارجية، كالخطر البيزنطي، والخطر الأموي في الأندلس، وخطر الروم، وعلى الرغم من ذلك فقد اقترن العصر العباسي الأول باستقرار الدولة العباسية وازدهارها في المجالات المختلفة سياساً واقتصادياً وثقافياً، و اهتم العباسيون في هذا العصر بتقوية نظام السفارات لتوثيق علاقتهم الخارجية مع الدول والممالك.

Abstract

This study is entitled the internal and external security in the Abbasid caliphate (The Golden Age) (132-232 A.H. corresponding to 750-847 A.D.) The study aims at identifying the origins of the prosperity of the Abbasid caliphate, the methods of collecting information at that time, and the security life at the times of peace and war, as well as highlighting the role of security interventions against the caliphate and confronting them.

The study is divided into four chapters: **Chapter one** explains the emergence of the Abbasid caliphate in the first era, the secret calls for the establishment of the Abbasid Caliphate, and then the foundations of the Abbasid Caliphate and its pillars.

Chapter two discusses the sources of information gathering in the first era, and explains the role of trade, travelers, messengers, ambassadors, police, army, judiciary and Dawawin.

Chapter three discusses the internal security in the Abbasid Caliphate in its first era. It illustrates the internal security risks and combating it. The chapter then explains t the security life at the time of peace and war, and finally discusses the policy of absorption and counter-recruitment.

Chapter four discusses the security interference against the Abbasid Caliphate and confronting it. It explains the external dangers and controlling it, then espionage combating, and it sheds light on the role of diplomatic relations in security stability period, and finally the role of security in the renaissance of the Abbasid caliphate.

The findings of this study show that the Abbasid Caliphate was exposed to many internal dangers, such as Alawites, Zanadiqa (heretics), Kharijites, internal revolutions in Iraq, the Zanj Rebellion, the revolution of Nasr Ibn Shabth and Babek Al-Kharami in Persia during the reign of Al-Ma'mun and Al-Mu'tasim Billah. The Abbasid Caliphate also confronted external dangers, such as the Byzantine threat, the Umayyad threat in Andalusia, and the danger of the Romans, yet the first Abbasid era was associated with the stability of the Abbasid state and its prosperity in various political, economic and cultural fields. The Abbasids in this era were interested in strengthening the embassies’ system to strengthen their foreign relations with different states and kingdoms.

الآية الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[سورة طه: الآية 114]

إهـــــــــــداء

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب... أمي الحبيبة.

إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار... والدي الغالي.

إلي قرة عيني، وبسمة الحاضر، وأمل المستقبل... إلى زوجتي وأولادي وإخوتي وأخواتي... لهم مني كل تقدير واعتزاز

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني ألا أضيعهم... أصدقائي وزملائي.

إلى من يذوبون كالشموع لينيروا طريقنا بالعلم والمعرفة... الهيئة التدريسية في برنامج ماجستير التاريخ.

إلى من أحبوني ودعموني ووقفوا بجانبي دوماً... أهلي وعائلتي.

إلى وطني فلسطين...

أتقدم بهذا العمل المتواضع... ثمرة جهدي، سائلاً العلي القدير أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ....

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فامتثالاً لقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: 7]، أشكر الله العلي القدير بداية؛ الذي أمدني برعايته وتوفيقه لإتمام هذه الدراسة، وانطلاقاً من قول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)؛ أتوجه بالشكر والعرفان إلى:

الدكتور/ غسان محمود وشاح – المشرف على هذه الدراسة، لما خصني به من توجيه وإرشاد طيلة فترة إعدادها؛ إذ كان لمساهمته الدور البارز في إخراجها إلى النور.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتورين الكريمين: رئيس قسم التاريخ في الجامعة الإسلامية مناقشاً داخلياً د .ابراهيم محمود أبو شبيكة و رئيس قسم التاريخ في جامعة ديالا مناقشاً خارجياً د. مروان سالم نوري للتفضلهما بمناقشة هذه الدراسة، إذ كان لتوجيهاتهما السديدة ونصائحهما العلمية أثر بارز في إثراء هذه الدراسة، حتى خرجت بأبهى ثوب، وأحسن صورة.

والشكر موصول بهذا الصرح الأكاديمي الشامخ – الجامعة الإسلامية بغزة – وعمادة الدراسات العليا، وأعضاء هيئتها التدريسية الموقرة في برنامج ماجستير التاريخ.

ووفاءً وتقديراً للذين لا يتسع المقام لذكر أسمائهم، أقدم شكري وامتناني لكل من عاون وساهم في إخراج هذا العمل المتواضع منذ كان فكرة، حتى رأى النور واقعاً وحقيقة، فلهم مني كل الشكر والتقدير والاحترام.

وأخيراً: فما كان في هذه الدراسة من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي و الشيطان.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ هو نعم المولى ونعم النصير

الباحث

سالم أحمد الجوجو

فِهْرِسْت المحتويات

فهرس الملاحق

المقدمة:

حظي تاريخ الخلافة الإسلامية، في العصر العباسي الأول، باهتمام الكتاب والمؤرخين، لما لتلك المرحلة من أهمية تاريخية وسياسية وحضارية مميزة، فضلاً عن تعرض الحكم الإسلامي فيها إلى محاولات القضاء عليه من عناصر داخلية وخارجية.

ولكثرة المصادر والمراجع والبحوث المتعلقة بهذا العصر؛ قمت بجمع معلومات تتناول كيفية نشأة الخلافة العباسية، بعد دعوة طويلة مرت مراحل عديدة، منها السرية، والأخيرة منها العلنية، ويعود الفضل في ذلك إلى نجاح التأسيس، ودقة العمل الأمني.

لقد تمكنت الخلافة العباسية من إحباط العديد من المؤامرات، والقضاء على الكثير من الثورات بمختلف الوسائل الأمنية والعسكرية والفكرية؛ حيث كان للعامل الأمني دور كبير في الخلافة العباسية أدى إلى تثبيت اركانها.

و نجحت الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول من بسط نفوذها براً وبحراً على مساحات واسعة شملت أجزاء كبيرة، وتحولت إلى خلافة إسلامية تحكم أجزاء واسعة من العالم، رغم التحديات التي اعترضتها داخلياً وخارجياً.

أهمية الدراسة:

1. قلة الدراسات العلمية التي تناولت موضوع البحث بشكل متخصص.
2. تزويد الباحثين والمختصين بدراسة جادة حول دور الأمن في قيام الخلافة العباسية.
3. تمكننا الدراسة من تقييم مستوى أداء الخلافة العباسية في الجانب الأمني.
4. التعرف إلى أساليب مؤسسة جمع المعلومات في المؤسسة الأمنية في العصر العباسي.

أهداف الدراسة:

1. التعرف إلى نشأة الأمن في ظل الخلافة العباسية في عصرها الأول أمنياً.
2. إلقاء الضوء على مؤسسة جمع المعلومات لدى الخلافة العباسية في عصرها الأول.
3. معرفة الحياة الأمنية في السلم والحرب زمن الخلافة العباسية.
4. إبراز دور التدخلات الأمنية ضد الخلافة العباسية ومواجهتها.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي.

حدود الدراسة:

الحد الزماني: تبدأ الدراسة من سنة (132 – 232 هـ = 750 – 847 م)، العصر العباسي الأول.

الحد المكاني: الدولة العباسية في عصرها الأول.

تقسيمات الدراسة:

قسم الباحث الدراسة إلى مقدمة، وأربعة مباحث ، وخاتمة، وأورد عدداً من الملاحق، إضافة إلى سرد المصادر والمراجع، فتضمنت المقدمة نبذة مختصرة عن الموضوع وأهميته وأهدافه والمنهج المتبع في الدراسة، وجاءت تقسيمات الباحث وفق الآتي:

الفصل الأول: حوى بيان نشأة الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، ومن ثم سرية الدعوة وقيام الخلافة العباسية، و ذكرتُ أسس الخلافة العباسية وأركانها، وأخيراً تحدثتُ عن منظومة الأمن في الخلافة العباسية.

الفصل الثاني: حوى ذكر مصادر جمع المعلومات في الخلافة العباسية في عصرها الأول؛ فتطرقت إلى دور التجارة، والرحالة، ومن ثم تناولت دور الرسل والسفراء، وأخيراً تحدثتُ عن دور الدواوين والجيش والشرطة والقضاء.

الفصل الثالث: حوى موضوعَ الأمن الداخلي في الخلافة العباسية في عصرها الأول، حيث تناولت الأخطار الأمنية الداخلية ومكافحتها، ثم تحدثت عن الحياة الأمنية في السلم، وتناول الحياة الأمنية في الحرب، وأخيراً تحدثت عن سياسة الاستيعاب والتجنيد المضاد.

الفصل الرابع: حَوَى ذكر التداخلات الأمنية ضد الخلافة العباسية ومواجهتها، وتحدثت عن الأخطار الخارجية ومكافحتها، ثم تناولت مكافحة التجسس، وألقيت الضوء على دور العلاقات الدبلوماسية في الاستقرار الأمني، وأخيراً تعرضت لدور الأمن في نهضة الخلافة العباسية.

الدراسات السابقة:

هناك قلة لدى المكتبة العربية في التخصص في هذا الموضوع، ما دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع لأهميته، ولإثراء المكتبة العلمية التاريخية به، بأسلوب يقوم على معرفة حقيقة الطائفية، والحقيقة التاريخية، والمنهجية العلمية، في تاريخ الدولة العباسية في عصرها الأول لتوضيح الحياة الأمنية، وقد كان لها دور ريادي في الجانب العلمي على مستوى العالم الإسلامي، وخاصة في العراق، ومن أهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، أو جزءاً من جوانبه ،الآتي.

- **الوزراء في العصر العباسي من خلال كتاب "الفرج بعد الشدة" للمحسن التنوخي** – بحث محكم – لصهيب حازم عبد الرزاق الغضنفري، كلية التربية، جامعة الموصل٢٠١٠م. وتناول البحث منهج التنوخي في كتاب "الفرج بعد الشدة"، معتمداً على تقسيم موضوعات

الكتاب نفسه، وعلى وفق الأسلوب الذي اعتمده في التدوين، وقد ركز البحث على الوزارة وما أحاط بها من تغييرات نتيجة تداخلات خارجية أخذت على عاتقها تحدي الخلافة وإشغالها عن هدفها الأساس، وهو نشر الإسلام في أكبر بقعة من العالم، والدفاع عن دولته، **وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الرابع.**

- **ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة** – رسالة ماجستير – لعبد الرحمن نصر هاشم التتر، الجامعة الإسلامية فلسطين، 2015م. وتناولت الدراسة نظام الحسبة في العهد العباسي ناحيتي التكوين والاختصاص الاقتصادي والعام، مع إلقاء نظرة عن مراحل التطور التاريخي لنظام الحسبة عبر العصور الإسلامية، وصولاً إلى العهد العباسي، وقد استفدت منه في الفصل الثاني من الدراسة.
- **حقوق الإنسان في الخلافة العباسية، العصر العباسي الأول،** لثروت محمد أحمد البيك، 2015م. حيث ذكر الباحث حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، وتناول ذكر الحق في العمل والملكية والضمان الاجتماعي، والحق في حرية الرأي والتعبير والعلم في الخلافة العباسية، والحق في العدل في الخلافة العباسية. وقد استفدت منه في الفصول كلها.
- **النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي،** لعزام عبد الله محمد نور باشا، جامعة أم القرى 1987م. حاول البحث تقديم نبذة عن النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي، من خلال تقديم صورة حقيقية عن طبيعة إدارة الدولة العباسية وأساليبها خلال العصر السلجوقي، وذلك في الفصل الثاني.

دراسة تحليلية للمصادر المهمة

لا شك أن المصادر العلمية تعطي البحث العلمي قوة ومتانة، فالبحث الذي ينشد منه الفائدة العلمية، لا بد أن يرتكز في بنائه على المصادر والمراجع المختلفة، وقد استفدت من مصادر علمية عديدة، منها:

ابن الأثير : عز الدين بن على بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، الشهير بابن الأثير، كتاب الكامل في التاريخ " الكامل في التاريخ،10 أجزاء، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 سوف يشار إليه في البحث إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ولد بالجزيرة الفراتية سنة(555هـ/1160م) وكان ابن الأثير إماماً في حفظ الحديث ومعرفته، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب[1] وكتاب الكامل من أشهر كتب التاريخ، وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً، وعلاوة على ذلك فإنه يعد من أهم المصادر التي تناولت الأحداث التاريخية منذ بدأ الخليقة حتى سنة(628هـ/1230م). ولقد أفاد كتاب الكامل الدراسة بمعلومات مفصلة عن الخلافة العباسية والخلفاء العباسيين، وجمع الأحداث الخاصة بالدولة العباسية في الفترة قيد البحث ، في فصول الدراسة كل .

– الطبري تاريخ الطبري المسمى بتاريخ الرسل وممالك ، للإمام الطبري ، محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: 310 هـ) ، وهو كتاب تاريخ جمع أحداث التاريخ من أول خلق العالم ، وذكر تاريخ الأنبياء والملوك والتاريخ الإسلامي حتى وفاته ، فذكر أنه أرخ بعد ذلك للسنوات وبدأ بالقول في الزمان ، وبدأ بذكر قصة آدم ، وقصة نوح ،عليه السلام وما ورد في ذلك القصص ، ثم أرخ بعد ذلك لتاريخ الفرس وبلاد المشرق التي كانت فيها حضارة قبل مولد النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم بدأ بعد ذلك بمولد

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (ج348/3).

النبي عليه الصلاة والسلام ، وما ذكر من إرهاصات وقعت أثناء مولده عليه الصلاة والسلام في بلاد كسرى وفي بلاد قيصر ، وبعد ذلك بدأ بسرد التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية حتى وفاته عليه السلام ، وقد كان معاصراً لفترة البحث ، وروى الأحداث التي شاهدها ، وقد كان الطبري إماماً مفسراً محدثاً ومؤرخاً ، وقد ظل يملي كتابه من سنة (290 هـ) حتى سنة (302 هـ) يعني : لمدة اثنتي عشرة سنة كما ذكر مؤرخون في ترجمته ، وتميز الطبري كغيره ممن جاؤوا في تلك الفترة أنهم رووا التاريخ بالأسانيد ، وبالتحديث والرواية عمن سمعوا منه إلى منتهى أسانيدهم ، وأنه كان يجمع كل الروايات في الحادثة الواحدة ، وإن اختلفت هذه الروايات ، وقد نقل من تاريخه من جاء بعده من المؤرخين كالذهبي وابن الكثير.

–اليعقوبي تاريخ اليعقوبي: لأحمد اليعقوبي أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي (ت:284هـ) ، ولد في بغداد وقضى حياته في أرمينيا وخراسان ثم هاجر إلى الهند والمغرب ومصر ، وتوفى في مصر ،وقد قامت شهرته على أثرين هما : كتاب تاريخ ابن واضح أو تاريخ اليعقوبي ،وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى سنة (258هـ)، وكتاب البلدان، تحدث فيه عن كبريات المدن في بلاد الإسلام.

–البلاذري فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت279 هـ) ، ، ذكر في مؤلفه تاريخ الفتوح الإسلامية بلداً بلداً ، بداية من دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ، قصة بناء المسجد ، ثم الحقبة التاريخية للخلفاء الراشدين ، مستعرضاً أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في عصر الخلافة الراشدة ، ولعل أهم ما يميز الكتاب ذكره للبلدان (الثغور) التي فُتحت ، وأهم الأحداث التي وقعت في تلك البلدان ، وذكره كذلك لأهم

ما يميز كل بلد عن الأخرى ، وذكره بعض الأبحاث العمرانية والسياسية التي لم يتطرق إليها أي من كتب التاريخ : كأحكام الخراج ، والعطاء ، والنقود ، وغيرها.

– الذهبي ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للإمام الذهبي ؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ) ، و من أهم الكتب الموسوعية الضخمة التي صنفها المؤرخون المسلمون ، وهو كتاب تاريخ وتراجم معاً ، منذ بدء الإسلام حتى نهاية عصر المؤلف في منتصف القرن الثامن ، وهو من أشهر ما ألف للإمام الذهبي وأكبرها ، –كما يظهر من عنوانه– فهو رصد للتاريخ الإسلامي ، بداية الهجرة النبوية ، و حتى سنة 1300م/700هـ مبنياً على (70) طبقة (أي 700 سنة حسب التقويم الهجري) ، تلك الفترة التي نشأت فيها حضارة جديدة اتسعت جغرافياً شرقاً وغرباً ، وشهدت أحداثاً كثيرة وثقها الذهبي مع تراجم مشهورين (بلغ عددهم أربعين ألف شخصية) في كل ناحية من نواحي الحياة ، الشيء الذي ميزه عن باقي الكتب .

كما يعتبر كتابه هذا من أهم الكتب الموسوعية الضخمة التي صنفها المؤرخون المسلمون ويعتبر كتابه هذا كتاب تاريخ وتراجم معاً ، وبهذا يختلف عن الموسوعة الضخمة الأخرى للمصنف ، المعروفة باسم سير أعلام النبلاء.

– ابن كثير كتاب البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ/1372م) ، وهو مصدر مهم ؛ لأن ابن كثير اعتمد في عرض المادة التاريخية على التلخيص والاختصار والنقل بالمعنى من المصادر ، وجرد تاريخه من كثير من الروايات الضعيفة، والتي لا يعول عليها ، واستوعب في تاريخه ما جاء في الحوادث عند المؤرخين قبله ، ثم سردها ملخصاً على لسانه في سياق واحد متماسك ، مع الإشارة والإحالة على مصادره التي استقى منها معلوماته ، واهتم بذكر جميع الأحداث التاريخية

التي وقعت ومنها أحداث الدولة العباسية ، وهو كتاب تاريخ يذكر أحداث كل عام ، واستعان به الباحث في التعرف إلى البعوث والطوائف في الثغور ، و أفاد من الأحداث التي جرت في زمن الدولة العباسية فترة البحث.

الحموي: ياقوت شهاب الدين بن عبد الله (ت626هـ/1228م).

"معجم البلدان" أمدني بمعلومات جغرافية فهو يعطي وصفاً للمدن كلها، من حيث المكان والسكان والمعالم وغير ذلك، فضلاً عن المعلومة التاريخية والفكرية من حيث ذكر أحداث ومواقع وشخصيات، وأفادني في التعرف إلى المدن والقرى والنواحي، وكذلك بعض تراجم الذين ينتسبون إلى تلك المدن والمواقع.

-**الجوزي:** عبد الرحمن بن على بن محمد (ت597هـ/1183م).

"المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" أفادني في الحديث عن الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، و في القضاء وفى جمع بعض المعلومات المتعلقة بمكافحة العباسيين للتجسس في الفصل الثاني والرابع.

-**المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م).

"مروج الذهب"، أفادني في الحديث عن حقب مختلفة من العصر العباسي الأول، وفى شرح الأعلام والمدن التي ذكرت في الرسالة.

كتب التراجم والطبقات:-

اعتمدت الدراسة على عدد من كتب التراجم والطبقات، كان أهمها كتاب ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان،(681هـ/1260)." وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان."

ولد ابن خلكان في أربيل سنة(608هـ/1211م) وعين في وظيفة نائب قاضي القضاة، وهو لم يبلغ بعد التاسعة والعشرين من العمر، ثم عين قاضياً للقضاة في دمشق عام (659هـ/1260م) [(1)]كان ابن خلكان إماماً ذكياً وبارعاً عالماً بالشعر والتاريخ وأيام الناس.

بدأ ابن خلكان في تأليف كتاب" وفيات الأعيان "بالقاهرة سنة(1256/654م)،و كان عمره آنذاك ستة وأربعين عاماً، ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر في التراجم والتاريخ الأدبي ، وتكمن أهميته في كون مصنفه اعتمد على مصادر عدة، منها تاريخ دمشق لابن عساكر والنوادر السلطانية لابن شداد، وقد ترجم للعديد من الحكماء والمشايخ[(2)]ولقد أفاد هذا الكتاب الدراسة في وصف المواقع التاريخية .

كتب الجغرافيا والرحلات:-

قدمت كتب الجغرافيا معلومات قيمة عن الكثير من المدن والقرى الوارد ذكرها، أما كتب الرحلات فقد كان لأصحابها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهداتهم وتجاربهم وعلاقاتهم العامة والخاصة مع الناس، وزيارتهم اماكن عامة وخاصة ووصفهم للنظام فيها، ومن تلك الكتب رحلة ابن جبير(614هـ/1217م) التي تحدث فيها عن ذكر العديد من الاماكن المهمة [(3)] ونظمها.

---

(1) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان،(ت1282/681م) ومؤلف "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، 8 أجزاء، تحقيق :إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، بيروت(1388هـ/1968م) وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد، هكذا :ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(2) انظر :أبو الفداء، المختصر(ج350/2)؛الذهبي ، سير الأعلام (ج281/17)؛الصفدي ، الوافي بالوفيات (ج201/7).

(3)ابن الجبير ، رحلة ابن الجبير (ج52/1).

إضافة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت :شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي (ت626هـ/1228م). ولد في سنة(574هـ/1178م) ببلاد الروم([1])، أسر من بلاده صغيراً وأبتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي النصر الحموي، وجعله في الكُتّاب؛ لينتفع به في ضبط تجارته، وواجه ياقوت صعوبات كثيرة في حياته، ولكن هذه الصعوبات لم تحل بينه وبين أن يصبح من كبار المؤرخين الأعلام. ويعد كتاب" معجم البلدان "موسوعة جغرافية؛ نظراً لوفرة المادة التي أوردها وتحدث فيها عن البلدان والأقاليم والمدن والجبال والأنهار، ووصف الأماكن فيها، وهو مرتب حسب الحروف الأبجدية، ولا غنى عنه للباحث في التاريخ والجغرافيا والأدب، خاصة عن تحقيق أسماء البلدان والمعالم الجغرافية، وقد أفادت الدراسة منه في تحقيق ومعرفة أسماء المدن والأماكن التي وردت فيها[(2)]،

---

(1)انظر ملحق رقم (3)ص233

(2) للمزيد عن شخصية ياقوت، انظر :ابن خلكان، وفيات الأعيان(ج122/6)؛الذهبي، العبر في خبر من عبر (ج106/5)؛ابن العماد شذرات(ج121/5).

الفصل الأول

نشأة الخلافة العباسية من عام

(132-232هـ/750-847م)

الفصل الأول

نشأة الخلافة العباسية[1][2] من عام

(132-232هـ/750-847م)

مقدمة:

العمل الأمني له مواصفات وواجبات ومهام خاصة، وله منافع كثيرة، وقد أدركت هذه الأهمية كل الحضارات لذلك لا يعتبر العمل الأمني عملاً وعلماً حديثاً ، بل تعود جذوره إلى آلاف

السنين، وقد فطنت هذه الحضارات والعاملون في المجال الأمني إلى ضرورة أن يمتلك العاملون في هذا المجال مواصفات خاصة، لأن لديهم مهام خاصة لا يستطيع تنفيذها أي شخص[3]

الأمن الداخلي كما عرفه أبو يعلى الحنبلي:

حماية البيضة، والدب عن الحوزة، ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين، وإقامة الحدود، ولضمان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وحفظ حقوق عباده عن الإتلاف والاستهلاك [4].

---

(1)انظر ملحق رقم (1)ص231.

(2)انظر ملحق رقم(2)ص232

(3) العمري ، أضواء ،ص192.

(4) الماوردي ،الأحكام السلطانية، ص27.

العيون و الجواسيس لغة:

العين [1]والجاسوس لفظتان تستويان في مدلوليهما عند أهل اللغة، من حيث المعنى والمضمون، فقد عرف الفراهيدي العين بأنه الشخص الذي يبُعث لتجسس الخبر[2]، أما ابن منظور فقد عرفه :بأنه الطليعي الذي يأتي بالخبر، وهو الجاسوس، وهو الديدبان[3][4].

و يشير ابن الأثير بأن الجاسوس هو الذي يتجسس الأخبار لصالح العدو، وبأن الجاسوس هو صاحب الشر، والناموس هو صاحب الخير، وأن المتجسس يطلب الخير لغيره، والمتحسس يطلبه لنفسه، وهناك من قال إن التجسس هو البحث عن العورات، والتحسس الاستماع[5]

العيون والجواسيس اصطلاحاً:

اصطلاحاً لا يوجد فرق ظاهر بين العين والجاسوس، فكلاهما يؤدي الدور نفسه ؛ لذلك يمكن القول بأن العيون هم ذلك الصنف من المجاهدين، الذين برز دورهم إلى جانب الصفوف الأخرى، وشملهم التطور، ما بين جمع المعلومات المتعلقة بالعدو، سواء عن الجيش الإسلامي منذ عهد الرسول فيما يخص قواته، وقياداته، وخططه، وأهدافه، مروراً بإمكانيات العدو البشرية، والاقتصادية، والعقائدية، وطبيعة أراضي العدو من حيث التضاريس، كما كان من مهامهم أيضاً، تحقيق أمن الدولة، عبر منع جواسيس العدو، وعيونه من التسلل إلى دار الإسلام سواءً للحصول على المعلومات، أو للتخريب، أوبث الفرقة بين عناصر الأمة، أو تجنيد عناصر بعينها، من ذوي النفوس المريضة، للعمل معه، كما قام العيون والجواسيس العرب المسلمون، خلال هذه

---

(1) العين :هو الجاسوس الذي يتجسس الأخبار .السيوطي ، المزهر ،ج300/1

(2) العين ، ص،255.

(3) لسان العرب،ج303/13.

(4) الديدبان: هو الرقيب والطليعي والربيئة، السيوطي ،المزهر، ج300/1.

(5) الكامل في التاريخ ،ج272/1.

المرحلة، بعمليات خاصة تتعلق بالقضاء على قيادات العدو، أو خطفها، أو إرعابها، وهو ما تقوم به الأجهزة الاستخبارية في عصرنا الحال.[1]

العيون والجواسيس في العهد الأموي[2]:

شهد هذا العصر تطوراً كبيراً ونوعياً في عمل العيون والجواسيس، فقد تم العمل على إيجاد وتطوير مصادر المعلومات، من أجل الوصول إلى تقييم متوازن للتحديات التي تواجهها الدولة الإسلامية على المستويين الداخلي والخارجي.

فقد كانت التحديات الداخلية، التي واجهها جهاز العيون والجواسيس، أكبر بكثير من التحديات الخارجية على الرغم من خطورة الأخيرة، نظراً للعداء الكبير الذي كان يحدق بالدولة الإسلامية على طول خطوط حدودها، فقد كان النشاط العسكري للأعداء كبيراً، مما كان يضطر المسلمين للانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم، وقد انعكست الأوضاع الداخلية في الدولة الإسلامية بشكل مباشر على الجبهات الخارجية، فعندما كانت التوترات والأحداث الداخلية تجري في الدولة الإسلامية، كان ذلك يؤثر على الجبهات الخارجية سلباً، وفي كل الجبهات سواء مع الدولة البيزنطية في ثغور الشام، والجزيرة، أو مع الخزر، والترك في أرمينية وأذربيجان، أو مع أتراك ما وراء النهر في آسيا الوسطى[3].

لقد تمثلت التحديات الداخلية في وجود حركة الخوارج، وحركات أخرى معارضة، وقد سعت هذه الحركات، وخصوصاً الخوارج، لتطوير عمل العيون والجواسيس، فقد كان للخوارج سراديب يجتمعون فيها، ويجعلون على بابها، رجلا ينذرهم عند اللزوم، وقد طورت من أساليب عملها أكثر؛ حيث استطاعت أن تغير من معالم الملاحقين من رجالها، ووصل بها الأمر إلى

---

(1) البرهاوي، العيون ،ص19.

(2)انظر ملحق رقم (5)ص235.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك.،ج7/6-16.

اختراق جهاز العيون والجواسيس التابع للدولة الأموية، وزرع جواسيسها فيه، إضافة إلى التخفي بزي التجار أو الحجاج عند الانتقال من مكان إلى آخر[1].

مصادر المعلومات في عهد الدولة الأموية:

تعدد مصادر المعلومات التي تحصل عليها الدولة الإسلامية في العهد الأموي بشكل كبير وعميق، فربما تكاد تكون نفس المصادر التي كانت موجودة في العهد السابق عهد الخلفاء الراشدين إلا أن حجم المعلومات ودقتها والتجنيد في جهاز العيون والجواسيس ،من قبل المسلمين والجنسيات المختلفة، أصبح أكثر عمقا واتساعاً، الأمر الذي أتاح للدولة الإسلامية التغلب على كل خصومها في العصر الأموي الأول، وتحقيق الانتصارات والفتوحات التي وصلت إلى حدود الصين في آسيا الوسطى، ووصلت غرباً إلى الأندلس.

ومن هذه المصادر العرفاء[2]، والتجار، والرسل، وعيون في القوقاز وبلاد الترك وفارس، إضافة إلى مصادر للمعلومات في قبائل البربر بالمغرب العربي، وكذلك مصادر إسبانية وبيزنطية، واليهود .إضافة إلى عمال الخراج والعيون، وصاحب الشرطة[3].

التبعية الإدارية للعيون والجواسيس في العصر الاموي:

كان الخليفة الأموي هو القائد العام لجهاز العيون والجواسيس، فقد مارس دورة في إدارة العيون والجواسيس بشكل مباشر، وفاعل في معظم الأحيان، فكانت أوامره إلى عماله وقادته

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ،ج4/128-131.

(2) العرفاء :يقصد بالعريف لغة، سيد القوم، ويلي رئيسهم من حيث المنزلة، واصطلاحًا هو ذلك الشخص الذي تتعرف عن طريقه السلطات على أحوال القبيلة، وكان منصب العرافة في عهد الرسول وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، والاقتصادي، فقد كان المهاجرون الجدد ينزلون على عريف قبيلتهم، و إن لم يكن لهم عريف، نزلوا على المسئول .وفي العصر الراشدي، كان دورهم الإشراف على جمع الصدقات، وفي قضايا التجنيد الإجباري، وكذلك في توزيع العطاء .ابن الأثير، أسد الغاب ،ج3/529؛ابن منظور ، لسان العرب،ج9/238.

(3) البرهاوي ، العيون ص230-243؛ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج5/118.

تستند إلى تقارير العيون في معظم الأحيان، وفي الوقت الذي كان فيه الخليفة يتولى الإشراف بصورة مباشرة على الإدارة لأمنية الداخلية، كان يترك الإشراف ،على أعمال التجسس الخارجي، لعماله وقادته العسكريين في الأمصار ، الذين كانوا يزودونه في الوقت نفسه بخلاصة الموقف بصورة مستمرة ليكون على اطلاع تام[1].

ولتنظيم العمل بطريقة مؤسسية سليمة، قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان، بإنشاء ديوان البريد، الذي يُعد أول مؤسسة استفاد منها العيون والجواسيس، من مميزاتها الإدارية والتنظيمية، وطبيعة التسهيلات التي تقدمها لا سيما على صعيد النقل السريع الآمن[2].

وقد تطورت صلاحيات ديوان البريد من مجرد وسيلة لنقل الخبر، إلى مؤسسة متخصصة في جمع الأخبار وتنسيقها، ثم نقلها، وقد كان الدافع وراء هذا التطور إدراك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لحجم التحديات الهائلة التي واجهها أثناء فترة حكمه على المستويين الداخلي والخارجي، ولذلك كانت وصيته لصاحب حرسه ابن الزعيزعة" :والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب[3].

وتشير معظم المصادر التاريخية إلى أن الإشراف على البريد كان أمراً صعباً، ومسئولية كبيرة، وكان يختار لها شخص ذو مواصفات خاصة نظراً لحجم وطبيعة العمل التي كانت تمارسها هذه المؤسسة، فبالإضافة إلى مهمة جمع الأخبار ونقلها فقد كان ديوان البريد يمارس ثلاث مهام أساسية ،هي :نقل الولاة المعينين أو المنقولين إلى مناطقهم الجديدة، وبصورة سرية

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج268/5.

(2) ابن منظور، لسان العرب،ج86/3.

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ج119/5

في معظم الأحيان[1]ونقل القطاعات المهمة والصغيرة من الجند إلى الجبهات في أوقات الأزمات ونقل طلبات الخليفة من المواد أو الأشخاص[2].

العمليات النوعية للعيون والجواسيس في العصر الأموي:

أورد المسعودي في كتابه مروج الذهب عن بعض النشاطات التجسسية التي مورست ضد البيزنطيين، ومن هذه النشاطات تلك العملية التي خطط لها وأشرف على تنفيذها الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان ، والتي تم بموجبها خطف قائد بيزنطي من القسطنطينية ونقله إلى دمشق[3] كما استخدم العيون والجواسيس في المهام الدبلوماسية التي زادت أنشطتها في العهد الاموي بشكل كبير ،إضافة إلى مشاركتها في الحرب النفسية ضد الأعداء واستخدامها لأساليب التضليل، والاستطلاع العادي والاستطلاع العميق، ومراقبة الجهاز الإداري، وكذلك مراقبة أداء القادة العسكريين،وعمال الأمصار بأمر من الخليفة[4]كما كان له جهد مميز في اختراق التنظيمات المعادية[5].

ويرى الباحث : حجم التطور الكبير في عمل جهاز العيون والجواسيس ومؤسسته في إطار ديوان البريد الذي كان بمثابة الإطار التنظيمي لهذا الجهاز، وبحجم المهام الكبيرة والخطيرة التي أوكلت إليه ؛ الأمر الذي كان له انعكاس مباشر على أداء الدولة على المستوى العسكري والسياسي داخليا وخارجياً ، وعندما ضعف أداء هذا الجهاز في عهد الخليفة مروان بن

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل والممالك،ج6/321-615.

(2) المصدر السابق،ج6/294-339.

(3)ج4/126-131.

(4)البلادري،أنساب،ج5/248-249.

(5) الطبري ، تاريخ الرسل والممالك،ج2/35.

محمد، كان أحد أهم أسباب انهيار الخلافة الاسلامية في العهد الأموي وصعود نجم الخلافة الاسلامية في العهد العباسي[1].

ونجد تاريخ الخلافة الإسلامية في العصر العباسي الأول[2] في بؤرة اهتمام الكتاب والمؤرخين، لما لتلك المرحلة من أهمية تاريخية وسياسية وحضارية مميزة، فضلاً عن تعرض الحكم الإسلامي فيها إلى محاولات القضاء عليه من عناصر داخلية وخارجية.

نشأت الدولة العباسية عام (132هـ– 749م)[3] ، واستمرت أكثر من خمسة قرون إلى أن انتهت على يد المغول في (656هـ – 1258م)، وقد جرت خلال هذه المدة الطويلة أحداث كثيرة تركت أثرها إلى يومنا هذا.

ويرى الباحث أن الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تداعي الحكم الأموي بسرعة، إلى عامل سياسي بدرجة كبيرة، والدعوة العباسية التي انتشرت في

---

(1) مؤنس ،أطلس التاريخ الاسلامي،ص147.ملحق رقم (1)

(2) العباسيون : ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي عم النبي (ﷺ) ، وقد ولد قبل عام الفيل بثلاثة أعوام ، فهو يكبر المصطفى (ﷺ) بثلاث سنين ، وكان يكنى أبا الفضل وكانت له السقاية وزمزم ، دفعها إليه النبي (ﷺ) يوم فتح مكة وكان يوم العقبة مع النبي (ﷺ) فعقد له على الأنصار . وقد أسلم العباس قبيل فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة . توفي العباس سنة 32 هـ بالمدينة وهو ابن (89) سنة . واشتهر من عقبة: عبد الله ، الذي عرف في التاريخ "بابن عباس" وكان مولده في مكة قبل الهجرة بعامين او ثلاثة .كان مفسراً قديراً ومحدثاً ثقة وفقيهاً وجندياً شجاعاً .توفي في الطائف سنة 67 أو 68 وكان قد نفاه عبدالله بن الزبير إلى الطائف أيام خلافته . ومن أبنائه(علي) وهو أبوالخلفاء من بني العباس ، ولد سنة 40 هـ وكان من أعبد الناس واحلمهم . وقد ارتحل مع أسرته سنة 95 هـ إلى قرية الحميمة جنوبي فلسطين ، أجلاه إليها الوليد بن عبد الملك ، وفيها ولد أكثر ابناءه ، توفي عام 117 هـ . وكان من ولده : محمد داود عيسى ، سليمان ، صالح ، وعبد الله ، وبيت الخلافة في عقب ولده الأكبر (محمد) . وبعد موت علي خلفه في زعامة الأسرة ولده محمد هذا الذي كان على جانب كبير من الدهاء السياسي وطموح النفس . وهو والد إبراهيم الإمام والسفاح أول الخلفاء بني العباس ، والمنصور ثانيهم. مؤلف مجهول، أخبار دولة العباسية ص198–201.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد،(ج93/5).

خراسان ثم توسعت وامتدت غرباً باتجاه مناطق نفوذ الأمويين ثم إلى العراق وبلاد الشام، وبعدها أخذ العباسيون يتعقبون آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد ومن معه[1].

فكان آخر خلفاء بني أمية مطارداً لا يقدر على شيء ولا يستطيع مقاومة هذا التيار العباسي الجارف، فاضطر إلى الفرار إلى مصر، حيث أدركته الجيوش العباسية بقيادة عبد الله بن علي العباسي وأخيه صالح بن علي العباسي، إلى أن ظفرا به في مصر عام (132هـ-754م) وتم قتله على يد صالح، حيث تظهر هذه القصة التاريخية أن الحكم الأموي قد تداعى بسرعة لا تصدق، بعد أن كان يتمتع بقوة عسكرية جعلت سلطته تمتد شرقاً حتى نهر سيحون و جيحون[2] والهند والسند، وغرباً حتى المغرب العربي والأندلس.

وفي مقابل ، ذلك فإن هناك تفسيراً آخر لا يقلل من أهمية العامل السياسي المتمثل بالثورة العباسية، وما عمله الدعاة العباسيون من أعمال بغية تقوية روح النقمة والعداء تجاه البيت الأموي الحاكم، لكن في الوقت نفسه لا يجعل هذا العامل هو الأساس إنما يجعله ضمن عوامل أخرى تكاتفت جميعاً على إضعاف الخلافة الأموية، وبالتالي انهيارها.

---

(1)ابن حزم ،أسماء الخلفاء والولاة ،(ج145/2).

(2) نهر جيحون "أموداريا" ، و نهر "سيحون "سرداريا –يقع الآن في كازاخستان" شمالاً. ويطلق عليها –أحيانا– بلاد الهياطلة وكان أهلها وثنيين من أصول تركية، حلوا بها منذ القرن السادس الميلادي وتتميز بوفرة المياه، لوجود نهري جيحون وسيحون وروافدهما الكثيرة، ما ساعد على خصوبة المنطقة وكثرة الزراعة والعمارة فيها، واجتذاب السكان إليها.(الحموي ، معجم البلدان ،(ج132/5–ج257/1).

يرى الباحث أن الثورة العباسية – أو بالأحرى الدعوة العباسية – وما نتج عنها، من إثارة التناقضات بين صفوف القبائل العربية في خراسان، ما هي إلا نتيجة من نتائج عوامل أخرى متعددة امتدت جذورها إلى الوراء أكثر من نصف قرن من الزمان تقريباً؛ ولهذا فإن هذه النتيجة جعلت تداعي البيت الأموي بهذه السرعة إنما يرجع إلى عدة عوامل عديدة داخلية، سياسية، اجتماعية، إدارية تتعلق بمكانة الدولة الأموية .

وممكن أقول إن قصة هروب الخليفة مروان بن محمد[1] ، آخر خلفاء بني أمية ومطاردته في كل مكان، ما هي في الحقيقة إلا صورة واضحة للتفتت الذي كان يسري في جسم الدولة المريض منذ أكثر من نصف قرن، وما نجاح الدولة العباسية وجمع المؤيدين والأنصار إلا حالة من ملء الفراغ لهذا التفتت الذي أصاب جسم الدولة الإسلامية التي خلت من قيادة سياسية تتماشى وروح ذلك العصر، وعلى هذا انتقل الحكم من أسرة عربية أموية إلى أسرة عربية عباسية.

وموضوع آخر علينا أن لا نغفله، متعلق بالصورة التي صُوِّرَها آخر خليفة أموي على أنه كان ضعيفاً لم يستطع الصمود أمام زحف التيار العباسي القادم من خراسان، أي أنه لم يقوَ على مجابهة هذا الخطر.

---

(1) مروان بن محمد، هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (72 هـ–13 ذو الحجة 132هـ/23 يوليو 750 م) هو آخر خلفاء بني أمية بالمشرق. تولى الخلافة بعد ابن عمه إبراهيم الذي تخلى عن الخلافة له. يكنى بأبي عبد الله القائم بحق الله، كان يعرف بمروان الحمار وبالجعدي وتسميته بالجعدي نسبة لمؤدبه جعد بن درهم وتسميته بالحمار يقال: "فلان أصبر من حمار في الحروب» ولهذا لقب بالحمار فإنه كان لا يفتر عن محاربة الخوارج وقيل: "سمي بالحمار لأن العرب تسمي كل مائة سنة حمار فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان هذا بالحمار. ابن خياط ،تاريخ ابن خياط ص404.

وواقع الأمر أن هذه الصورة ليست الصحيحة تماماً، فمروان بن محمد كان قبل أن يتولى أمور الخلافة الأموية والياً على الجزيرة الفراتية [1]وأرمينية، وظل يحارب الأعداء، وخاض حروباً ومعاركَ مدة اثنتي عشرة سنة، وقد أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن الحدود القفقاسية[2] أمام هجمات الأتراك، وكان ناجحاً من الناحية العسكرية؛ إذ أفلح في نقل ميدان المعارك إلى داخل أراضي الأعداء[3].

إن عوامل انحلال الدولة الأموية ونهايتها؛ ترجع إذن إلى عوامل عدة لا تحددها فترة تاريخية بذاتها، وهي بالتالي ليست عوامل ظهرت وسادت إبان حكم مروان بن محمد، أو أنها سادت في خراسان دون غيرها؛ لكنها عوامل قديمة العهد، ربما يرجع بعضها إلى بداية الخلافة الأموية، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى الآتي:

1- ولاية العهد – حيث شكلت عاملاً حاسماً في ضعف الأمويين.

---

(1) اختصارًا الجزيرة وتاريخياً إقليم أقور هي إقليم يمتد عبر شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا .وهي الجزء الشمالي من وادي الرافدين .يحدها من الشرق جبال زاغروس ومن الشمال جبال طوروس وإلى الجنوب بادية الشام ومنخفضات الثرثار والحبانية.

الجزيرة تضم كلاً من محافظة نينوى و محافظة صلاح الدين و محافظة كركوك وأغلب مناطق محافظة أربيل و دهوك وقسم من محافظة الأنبار حتى مدينة هيت في العراق ومحافظة الحسكة بشكل كامل بالإضافة إلى مناطق من محافظتي دير الزور والرقة في سوريا. ومحافظات أورفا وماردين وديار بكر وبطمان وسعرد وشرناق وأديامان ووان وبدليس وإلازغ أو معمورة العزيز بشكل كامل بالإضافة إلى أجزاء من بينكل وملطية في تركيا .ويطلق حاليا اسم الجزيرة في الغالب على المنطقة بين الحسكة والموصل.(المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .(ص136-1569؛خطاب، بلاد الجزيرة قبل الفتح ،(ج6/1).

(2) القوقاز أو القفقاز أو القفقاس أو بلاد القَبْق منطقة جغرافية سياسية تقع عند حدود أوروبا وآسيا، وهي موطن جبال القوقاز، بما فيها أعلى جبل في أوروبا، جبل ألبروز. وغالباً ما يقسم القوقاز إلى القوقاز الجنوبي والقوقاز الشمالي، معجم البلدان، الحموي،..

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج22/1939-1940 ؛ البلاذري، أنساب الأشراف ج11 / 26؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2 /193؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 123.

2-توريث الخلافة وحصرها بين أفراد البيت الأموي بصورة عامة والفرع السفياني خاصة.

3-عرفت الخلافة الأموية بأنها دولة دنيوية.

4-خروج الدولة الأموية عن المألوف في سياسة الخلفاء الراشدين، وتحولت بمرور الزمن – إلى مشكلة سياسية – إدارية .

5-تعيين ولي العهد للخلافة وترشيحه بطريق غامضة .

6-تعيين أكثر من ولي للخلافة في آن واحد. [1]

والواقع أن الظروف السياسية السابقة والحركات المعارضة التي واجهها الخلفاء الأمويون المتأخرون – سواء تلك التي كانت نتيجة من نتائج ولاية العهد أم تلك التي فرضتها القوى التي عارضت للحكم الأموي كانت هي الضربات المتلاحقة الموجعة التي أرهقت هؤلاء الخلفاء وأتعبت جيوشهم، وفتت وحدة البيت الأموي ومؤيديهم والرجال الذين كانوا يتبعونهم، وأن تلك الظروف قد هيأت فراغاً سياسياً بعد أن تقاتل أبناء البيت الأموي فيما بينهم، وانقسم مؤيدوهم إلى أقسام وشعب، بين مؤيد ومعارض، وبين مناصر ومطالب بالثأر من قتلة هذا الخليفة أو ذاك.[2]

ولذلك فإن نجاح الدعوة العباسية وتزعمها الحركات المناهضة والتفاف معارضي البيت الأموي أو الحاقدين عليه جاء كضربة أخيرة حاسمة أنهت حكم هذه الأسرة.

---

(1) للزيادة انظر عبد الحليم عويس سقوط ثلاثين دولة اسلامية .

(2) للزيادة انظر نفس المرجع .

سرية الدعوة وقيام الخلافة العباسية

يرجع نشاط الدعوة ونجاحها إلى علي بن عبد الله بن عباس ،الذي كان خلفاء بني امية كانوا في قمة القلق من نشاطه ومواقفه [1].

كانت الشخصية المركزية التي انتفع من موقعها العباسيون، أو لنقل محمد ابن علي العباسي هو عبد الله بن محمد بن الحنفية[2] المعروف باسم أبي هاشم الذي مات مسموماً في الحميمة، لكنه قبل أن يموت اختار محمد بن علي[3] لخلافته في الدعوة ضد الأمويين، وأوصاه بوصية مهمة شرح فيها له أسرار الدعوة، وأسماء الدعاة ومحلاتهم، وأسماء الأحياء الإسلامية التي تساند الدعوة، وأسماء القبائل العربية المؤيدة، وقيل إن الصحيفة الصفراء[4] التي أوكلها لمحمد

---

(1)فوزي، العباسيون الأوائل، ج1/ 39-40.

(2) أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (ت- سنة 98 هـ) تابعي مدني، وهو ابن محمد بن الحنفية، وحفيد علي بن أبي طالب، ولد أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية في المدينة المنورة. أبوه هو محمد بن الحنفية، وجده لأبيه علي بن أبي طالب، وأمه أم ولده. وقد كان لأبي هاشم منزلة عالية القدر عند الشيعة، فكانوا يلقونه ويلتفون حوله. وقد قال عنه الزُهري أنه كان يتبع السبئية، يجمع أحاديثهم. وقال أبو أسامة عنه وعن أخيه الحسن: «أحدهما مرجئ، والآخر شيعي»، وقيل إن أبا هاشم أول من ألّف في الإرجاء. وقد توفي عبد الله بن محمد سنة 98 هـ في الحميمة في خلافة سليمان بن عبد الملك، عند محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي أوصى له، وصرف شيعته إليه، ودفع إليه كتبه. وقيل إن وفاته نتجت عن سُمّ دسّه سليمان بن عبد الملك لمن سقى أبا هاشم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5/67

(3)أبو عبد الله محمد بن علي العبّاسي الهاشمي القرشي (51 هـ - 125 هـ)، صاحب الدعوة العبّاسية وأول من دعا أن يكون الملك في بني العباس ، في عهده انتشرت الدعوة لتبلغ العراق وخراسان واتخذ من الحميمة مركزًا له ومقامًا لعيشه حيث قطنها هو وأبناؤه إبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور، الذهبي ،سير أعلام النبلاء،ج6/78

(4) هذه الصحيفة كانت لعلي بن أبي طالب ثم أخذها محمد بن الحنفية من أخويه الحسن والحسين لتكون حصته من علم أبيه فلما حضرته الوفاة دفعها إلى ابنه أبي هاشم ، وفيها « علم رايات خراسان السوداء ، متى تكون وكيف تكون، ومتى تقوم ، ومتى زمانها ، وعلاماتها ، وآياتها وأي أحياء.ابن خلدون، المقدمة،ج1/250

ابن علي تحتوي على الوقت المناسب لإعلان الثورة[1]، فانتقلت بذلك الإمامة من أبى هاشم بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وكان محمد بن علي شخصية ذكية وجريئة، إذ إنه سارع بعد حصوله على هذا المكسب الديني السياسي إلى تنظيم الدعوة، مُرَكّزاً على الدعاية، وجعل هذه الأساليب جميعها سرية جداً، ثم وَزَّع من موقعه في الحميمة تعليمات الدعوة بطريقة سرية إلى الدعاة والنقباء والعمال في الأماكن التي حضروا فيها كلها.

ابتدأت هذه الأنشطة في سنة (100هـ- 718م)، وفي وقت قصير استطاع محمد بن علي ودعاته كسب الكثير من المؤيدين، لا سيما في الأجزاء الشرقية، خاصة في خراسان، حيث كانت تبعد جغرافياً عن مركز الخلافة الأموية، وهي التي كانت موطن المعارضين والمتذمرين، سواء كانوا بعض القبائل اليمانية التي امتعضت من سياسة مروان وغيره من الخلفاء الأمويين المتآخرين الذين مالوا إلى القيسية[2] دون اليمانية[3]، علاوة على ذلك فإن خراسان كانت موطن

---

(1)الدينوري ، الأخبار الطوال، ص332؛ فوزي، العباسيون الأوائل ص139.

(2)القيسية هي مجموعة كبيرة جداً من القبائل العربية يقال لهم مضر السوداء، وينتسبون لقيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان، وقيس هو شقيق إلياس بن مضر الذي تنحدر منه قبائل خندف، اشتهرت قبائل قيس عيلان القيسية بنزاعها مع القبائل القحطانية طيلة التاريخ الإسلامي. وتضم عدة أفرع أبرزها هوازن وغطفان وبني سليم التي انحدرت منها شعوب وقبائل كثيرة بالإضافة إلى فروع أصغر هي عدوان وفهم وباهلة ومحارب وغني. ابن خلدون، العبر، ج 104/4.

(3)القحطانية أو اليمنية ذوو الأصول العربية الأصيلة، وكانوا يتكلمون العربية وأصلهم من اليمن رغم صعوبة الحسم العلمي في هذا الميدان. إذن (العرب العاربة هم –اليمنيون – القحطانيون، أبناء قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، كما يذكر ذلك أكثر النسابين التقليديين)، ويعتبر قحطان شخصية مختلَفا عليها وعلى وجودها الحقيقي. ويذهب بعض الباحثين إلى أن (قحطان هو جد العرب السبئيين، وهذا يؤكد أن سكان جنوب الجزيرة العربية لم يكونوا ينسبون أنفسهم لرجل واحد اسمه "قحطان"، بل كان "قحطان" أسم قرية أو قبيلة من القبائل في ذلك).(مجهول ،أخبار الدولة العباسية ،(ص48-58)؛مؤنس، فجر الأندلس(ص194-195).

المسلمين من غير العرب الذين أسلموا لا لشيء إلا لطعن في العرب وحضارتهم، أولئك الشعوبية، الذين كانوا يحقدون على الحكم العربي الأموي، وقد استثمر الدعاة العباسيون نفوس هؤلاء الموالي فرفعوا شعار المساواة[1].

نشاط الدعاة السري

نشط الدعاة العباسيون في نشر دعوتهم وهم يتجولون سراً في كور خراسان ومدنها ورساتيقها[2]، بزي التجار وأصحاب حاجة وطلاب علم لكي يفلتوا من أعين الأمويين، وظلوا يبشرون بالدعوة حوالي عامين، بعدها رحلوا إلى الحميمة ليقدموا تقاريرهم التي توضح نتائج نشاطاتهم، خاصة في خراسان التي غرسوا فيها غرساً يطمعون أن يثمر في وقته، وعلى أثر موت محمد بن علي العباسي خَلِفَه أبناؤه إبراهيم ،وأبو العباس ،والمنصور ليكملوا المسيرة التي بدأها محمد بن علي، فحمل إبراهيم لواء الدعوة العباسية وتوسع في إرسال الدعاة إلى خراسان والأطراف الأخرى من العالم الإسلامي[3].

لقد وافق تولي إبراهيم بن محمد زعامة الدعوة بدايةَ فترة الضعف التي عانى منها البيت الأموي الحاكم على إثر وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك، وهو ذاته يعد مرحلة جديدة في حياة نشاط الدعاة[4].

(1) للزيادة انظر: عبد الحليم عويس سقوط ثلاثين دولة اسلامية .

(2) مفردها رستاق – قرى ، مقاطعة ، جمع : رساتيق ورستاقات (المعجم الوسيط)

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك(ج306/4)؛ابن الأثير و الكامل في التاريخ (ج319/5).

(4) مجهول: أخبار الدولة العباسية ص273.

كان من أُولى نتائج هذه الأوضاع خروج بعض أنصار الدعوة العباسية في مرو[1] مستغلين ظروف ضعف الأمويين السياسي، لكن إبراهيم لم يوافق على هذا العمل الذي لم يعجبه توقيته، فبعث في سنة 126هـ / 744م[2] مبعوثاً سرياً ينصح الثوار في مرو بالتراجع، ويثنيهم عن الحركة ويدعوهم وللعودة إلى الطاعة والانضباط، وفي سنة 128هـ.[3] اضطر إبراهيم الإمام إلى إرسال مبعوث آخر إلى مرو وهو أبو مسلم الخراساني مشرفاً ومسؤولاً عن الدعوة العباسية، ليتولى الإشراف على شؤون الثورة ويقيم في مرو، وبالفعل فقد ظل منذ سنة (126هـ حتى سنة 132هـ / 744 – 749م) مشرفاً ومسؤولاً عن الدعوة العباسية وتهيئة إمكانات نجاحها، فأعلن الثورة، ورفع الرايات السود علانية في شهر شوال[4] من سنة 129هـ – 747م، وخلال يومين فقط من إعلان الثورة حصلت على تأييد واسع بين قرى مدينة مرو، وتزايد جمعُه حتى بلغ حوالي سبعة آلاف رجل خلال شهر واحد فقط[5].

استمر أبو مسلم والزعماء الآخرون بحشد الجند والمؤيدين، في حين عيّن إبراهيم الإمام قحطبة بن شبيب الطائي قائداً للجيش العباسي الزاحف نحو نصر

---

(1)مدينة مرو الشاهجان هي المدينة التي اختيرت كعاصمة للعباسيين لما امتازت به من مقومات طبيعية ولما حوته من خيرات وفيرة جعلت منها مدينة جذب واستقطاب لكل الطامحين والباحثين عن السلطة والحكم فكانت منازل ولاة خراسان .الحموي، البلدان ص99.

(2) مجهول: أخبار الدولة العباسية ص274.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك(ج307/4).

(4) مجهول: أخبار الدولة العباسية ص275 – 277

(5)مجهول ،أخبار الدولة العباسية (ص275–277)؛الطبري، تاريخ الرسل والممالك،(ج307/4).

ابن سيار والي الأمويين، فوقعت معركة بين الجيشين قرب مدينة طوس[1] انتهت باندحار جيش نصر، وسيطرت الجيوش على طوس ثم نيسابور[2].

فتنبه الخليفة الأموي حينئذ إلى خطورة الوضع، فأرسل جيشاً للقضاء على الثورة قوامه عشرة آلاف مقاتل، لكن الجيش أخفق في معركة قرب مدينة جرجان[3] في ذي الحجة سنة 130هـ / 748م وفي سنة 131هـ/749م [4]التقى جيش العباسيين بجيش أموي آخر أكثر عدداً قرب أصفهان، لكن قحطبة[5] هزمه، وزحف العباسيون إلى نهاوند[6] ودخلوا المدينة بعد فترة قصيرة من

---

(1)طوس هي مدينة تاريخية أثرية بإيران. كانت من كبرى مدن خراسان القديمة حتى هجوم المغول وهدمهم لها، فقد هاجر أهلها إلى قرية سناباد. الحموي، معجم البلدان، ص 93؛اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج2/408؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 411؛ البروسوي، أوضح المسالك، ص 446؛ منش، الجغرافيا التاريخي لهجرة الإمام الرضا ، ص 139 ـ 140.

(2) مجهول ،أخبار الدولة العباسية (ص275–277)؛الطبري، تاريخ الرسل والممالك،(ج4/307).

(3) جرجان أو كركان (بالفارسية:گرگان) – وكانت قديماً تسمّى أستراباذ أو أستراباد – إحدى المدن الشهيرة في إيران، وتقع في شمالي إيران حالياً وكانت جرجان مركز منطقة استرآباد. وإليها ينتسب الشريف الجرجاني والميرداماد الحسيني الفيلسوف والمير فندرسكي واللغوي النحوي علي الفصيحي وكذلك الأمين الأسترابادي. وقد سيطر الملمين على هذه المدينة في زمن سليمان بن عبد الملك. الحموي، معجم البلدان، ج5 /353

(4) مجهول ،أخبار الدولة العباسية (ص276)؛الطبري، تاريخ الرسل والممالك،(ج4/308).

(5) قحطبة بن شبيب الطائي أحد قادة بني العباس. ولد في نهاية القرن الأول الهجري. وقد صحب قحطبة بن شبيب أبا مسلم الخراساني، وناصره في إقامة الدعوة العباسية بخراسان. كان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي ممن استجاب له في خراسان سنة (103هـ–720م).في عام (132هـ–750م) التقى قحطبة بن شبيب مع أمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وانتصر جند قحطبة، ولكن معن بن زائدة قتل قحطبة. وقد توفى قحطبة مقتولا سنة (132هـ) .البلاذري ،أنساب الأشراف، 9ج/314؛ بن خياط ،تاريخ، 390ص.

(6) ماه دينار: هي مدينة نهاوند أو ماسبذان، واسم هذه الكورة مضاف إلى اسم القمر وهو ماه، وكان في ممالك الفرس عدة مدن مضافة الأسماء إلى اسم القمر، وهو ماه، نحو ماه دينار وماه نهاوند وماه بهراذان وماه شهريا ران وماه بسطام وماه كران وماه سكان وماه هروم، فأما ماه دينار فهو اسم كورة الدينور، وقيل إن أصله ديناوران؛ لأن أهلها تلقوا دين زردشت بالقبول، ونهاوند اسم مختصر من نيوهاوند ومعناه الخير المضاعف، وأقدر تقديرا لا سماعا أن ماه الذي هو اسم القمر إنما يقحمونه على اسم كل بلد ذي خصب لأن القمر هو المؤثر في الأنداء والمياه التي منها الخصب .ماه شهريا ران: قد شرح في ماه دينار.(الحموي ، معجم البلدان (ج5/49)،

الحصار، وبذلك أصبح الطريق نحو العراق مفتوحاً، فتوجه قحطبة نحو الكوفة بسرعة واشتبك مع جيش يزيد بن هبيرة[1] والي العراق، فكانت النتيجة إلى جانب قحطبة أيضاً في موقعة حدثت على شاطئ الفلوجة[2].

دخل ابن قحطبة حصن الكوفة دون قتال يوم الثلاثاء، الواقع في الرابع عشر من المحرم عام 132هـ / 749م، وبدخوله صار أبو سلمة الخلال[3] وزيراً نيابة عن العباسيين ومع أن اسم إبراهيم بن محمد ،إمام الهاشمية، كان الاسم الشائع للخلافة العباسية، غير أن وفاته دعت إلى تعيين أخيه أبى العباس

(1) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، ويكنى أبا خالد، وكان من الفرسان المؤيدين لبني أمية، وتولى عدة إمارات في الدولة الأموية أثناء حكمهم .الذهبي، سير الأعلام ،ج208/6.

(2) يتفق أهل اللغة أن كلمة (فلوجة) أو (فلوج) بلا هاء لها معان ومدلولات عديدة منها الأرض الطيبة البيضاء المستخرجة للزرع أو المصلحة له، والجمع فلاليج، ومنه سمي موضع على الفرات (فلوجة)، وهي قرية من قرى السواد في العراق الفلوجة بالفتح ثم التشديد والواو ساكنة، وجيم، قال الليث فلاليج السواد قراها وإحداها فلوجة، والفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى قريتان كبيرتان الاولى في سواد بغداد والثانية في الكوفة قرب عين التمر. ويقال الفلوجة العليا والفلوجة السفلى أيضا والمشهور هي على شاطئ الفرات عندها فم نهر الملك في الجانب الشرقي. البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع،(ج1030/3)؛ ابن منظور ، لسان العرب 13040ص

(3) أبو سلمة الخلاّل ، واسمه حفص بن سليمان الهمداني أحد دعاة بني العباس في بداية دولتهم. اختلف في سبب تسميته بالخلال؛ إذ قيل إن السبب هو سكناه في درب الخلالين في الكوفة، وقيل إن السبب أنه كان يصنع الخل. كان صلة الوصل بين خراسان ، والحميمة (مركز بني العباس)، وسلم الخراسانيين الرئاسة إليه بعد دحر قوات الأمويين عن خراسان والكوفة، وسُمّي وزير آل محمد، وأعلن الإمامة الهاشمية، وكان يريد تسليم الخلافة لثلاثة من العلويين، وهم :جعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن المثنى، وعمر الأشرف بن علي زين العابدين. وكتب إليهم، ولم يستجب إليه أحد منهم. وكان أبو العباس السفاح يعلم ذلك، ولما بويع بالخلافة، جاء أبو سلمة يعتذر إليه، فتظاهر السفاح بقبول اعتذاره، ثم أوعز إلى أبي مسلم الخراساني أن يقتله، ففعل وأرسل رجلاً فاتك يدعى مرار بن أنس الضبي فقتله، (ابن خياط، تاريخ ابن خياط حوادث سنة 132هـ/750م ؛ابن منظور ، لسان العرب ،ص2649)

عبد الله بن محمد خلفاً له [1]، وبذلك فإن نجاح الدعوة العباسية بدخولها الكوفة وتسلم أبي العباس كرسي الخلافة؛ جعل دعائم الدولة الأموية تتقوض بشكل نهائي، ولا سيما بعد تعقب العباسيين فلولَ الجيش الأموي الهارب إلى مصر. ويرى الباحث :كانت الثورة العباسية هي الضربة القاضية التي أنهت حكم الأسرة العربية الأموية، التي أتعبتها الظروف والمشاكل السياسية والإدارية والاجتماعية حتى أصبحت عاجزة عن الوقوف أمام الجيش العباسي المتوجه نحو الكوفة، أو الصمود في وجهه.

وبمقتل مروان بن محمد في ذي الحجة سنة 132هـ/750م بمصر، زالت دولة بني أمية التي عمرت ألف شهر، هي قرابة إحدى وتسعين سنة منذ أن تنازل الحسن ابن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان سنة 41 هـ حتى مصرع مروان[2].

بدء الصراع المسلح بين الأمويين والعباسيين:

وفي أواخر سنة 130هـ / 747 م أرسل نصر بن سيار جيشاً لمحاربة العباسيين، فاندحر الجيش الأموي، وترك نصرُ بن سيار مدينةَ نيسابور فدخلها الجيش العباسي، واتخذت قاعدة ومقراً للعمليات العسكرية للجيش العباسي.[3] كما تم التخلص من زعماء اليمانية، علي الكرماني ،وأخيه عثمان أبى داوود، وكان أبو مسلم قد طلب من علي الكرماني "أن يسمي له خاصته ليوليهم ويأمر

---

(1)عبد الحي ،الثورة العباسية ، (ص 250-256)؛ الخربوطلي، الدولة العربية الإسلامية، (ص 309-313).

(2)ابن كثير ، البداية والنهاية ،(ج10/47).

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 5/380).

لهم بجوائز وكساء فسماهم له، فقتلهم جميعاً" [1]وبذلك أخذت أهداف أبي مسلم الشعوبية تتضح للتخلص من الزعماء العرب البارزين بعد أن أدى التحالف معهم إلى الغرض المنشود بالقضاء على المقاومة الرئيسة لنصر بن سيار[2].

أثرت هذه الانتصارات ، التي أحرزتها الجيوش العباسية، فانسحب نصر بن سيار غرباً تاركاً ولاية خراسان للعباسيين، فقام أبو مسلم بتعيين العمال عليها.[3]

ونتيجة لما وصل إليه حال نصر بن سيار في خراسان اضطر ابن هبيرة إلى إمداده بالجند، بناء على توجيهات الخليفة الأموي مروان بن محمد، فأرسل نباتة بن حنظلة الكلابى على رأس حملة إلى جرجان، إلا أن هذا القائد لم يتعاون مع نصر بن سيار، بل سار بمفرده، فالتحم معه قحطبة بن شبيب الذي استطاع دحر هذه الحملة، وقتل قائدها في ذي الحجة سنة 130هـ / 747.[4] وبعد فشل هذه الحملة انسحب نصر إلى الري، حيث مرض وتوفي سنة 131هـ / 748م، والثورة العباسية في خراسان تزداد وتنتشر بسرعة ، وكان هذا بفعل الدعاة العباسيين الموجودين في العراق، بحيث أجبروا ابن هبيرة على عدم إرسال أية نجدات إلى نصر ابن سيار.[5]

وتوجه قحطبة بن شبيب وابنه الحسن بالجيش العباسي غرباً، وأخضع له المدن الواحدة تلو الأخرى، فأخضع الري وهمدان ونهاوند ومدناً أخرى في مقاطعة الجبال، فأصبح الطريق إلى العراق مفتوحاً وممهداً لتتقدم فيه الجيوش

---

(1) الطبري و تاريخ الرسل والممالك ،(ج367/7).

(2) المصدر السابق(ج376/7).

(3)المصدرنفسه ج380/5).

(4)المصدر نفسه (ج 7/401-402).

(5)ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 395/5 -386).

العباسية، ثم أرسل قحطبة ابنه الحسن على مقدمته إلى العراق، أما ابن هبيرة فقد تقدم شرقاً وعسكر في جلولاء، ولكن قحطبة استطاع بمهارته تجنب جيش ابن هبيرة، ثم عبر نهر دجلة متجهاً غرباً نحو الكوفة، فتبعه ابن هبيرة، وسارا حتى وصلا الفرات، فعسكر ابن هبيرة على الضفة الشرقية، وعسكر قحطبة على الضفة الغربية لنهر الفرات.[1]

وفي ليلة 8 محرم 132هـ /749م عبر قحطبة نهر الفرات مع فرقة من الجند، فهاجموا جيش ابن هبيرة، فانسحب ابن هبيرة على إثرها إلى واسط وتحصن بها، أما قحطبة فقد توفي في هذه المعركة في ظروف غامضة، ويبدو أنه مات غريقاً في نهر الفرات، ثم عُين الحسن بن قحطبة محل أبيه قائداً للجيش العباسي، فدخل الكوفة منتصراً يوم 11 محرم 132هـ / 749م، وسلم الأمر إلى أبي سلمة الخلال الذي دعي بوزير آل محمد.[2]

علم مروان بن محمد أن إبراهيم الإمام هو صاحب الدعوة، فأرسل إلى عامله على البلقاء يطلب منه سرعة القبض عليه، فأرسله إلى حيث أودعه السجن[3]، ولما علم إبراهيم بما سيؤول إليه مصيره نعى نفسه لأهل بيته،

---

(1)ابن كثير، البداية والنهاية (ج10 / 38 -39).

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 403/5-404).

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك، (ج 370/7-377)؛ المقريزي، الخطط المقريزية ، ص 67 وهناك رواية أخرى للطبري تذكر بأن كتاباً لإبراهيم بن محمد موجهاً إلى أبي مسلم الخراساني وقع في يد مروان بن محمد فكتب مروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتابة إلى صاحبه بالبلقاء أن يسير إلى الحميمية، ويأخذ إبراهيم بن محمد ويوجه به إليه بينما سار بقية أهله وشيعته إلى الكوفة، تاريخ الرسل والملوك (ج 422/7).

وأوصى بالإمامة إلى أخيه أبي العباس، وأمر أهله بالرحيل من الحميمة إلى الكوفة.[1]

وأن يكونوا في طاعة أبي العباس[2]، وانتهت بعد ذلك حياة إبراهيم وهو في سجن بني أمية بحران سنة 130هـ/747م، واختُلف في سبب موته.[3]

وكان مقتل مروان بن محمد لإبراهيم الإمام سبباً في تسريع قضاء العباسيين على الخلافة الأموية، وإعلان العباسية، فقد أوصى إبراهيم الإمام عندما قبض عليه في جملة ما أوصى، بالإسراع بإعلان تأسيس الدولة، وبالجد والحركة، وبدأت حروب الدعوة التي يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل، هي: مرحلة فتح خرسان، ومرحلة فتح العراق، ومرحلة معركة الزاب، والرابعة مرحلة فتح الشام وسقوط الخلافة الأموية[4].

وبعد مقتل إبراهيم؛ نقلت الأنباء إلى أبي العباس دخول الحسن بن قحطبة الكوفة، فخرج إليها في أهله يتقدمهم أعمامه: داود، وعيسى، وصالح ،وعبد الله ،وإسماعيل، وعبد الصمد، وأخوه أبو جعفر، وابن عمه عيسى بن موسى ابن محمد[5].

وظل العباسيون- طوال مدة دعوتهم السرية- لا يذكرون للناس أنهم طلاب خلافة، وإنما يطلبون إسقاط الدولة الأموية الجائرة، التي طالما أرهقتهم بعسفها

(1) ابن قتيبة الإمامة والسياسة ، (ج 139/2)؛ المسعودي، مروج الذهب، (ج267/3)؛ أبو الفداء، تاريخ أبو الفداء (ج221/1).

(2) المقريزي، الخطط المقريزية (ص68).

(3) المسعودي، مروج الذهب (ج 267/3)؛ المقريزي، الخطط المقريزية (ص 67).

(4) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية،(ص273).

(5) الطبري . تاريخ الرسل والممالك (ج27,97/6)؛ضيف، العصر العباسي الأول (ص 12).

وظلمها، ولطالما استغلتهم مع الاستبداد بالشعب واستعباده، ومع ما يعيش فيه الأمويون من ترف بالغ أفسد أداة الحكم إفساداً لا صلاح لها بعده إلا بمحوهم محواً، وبذلك وارى العباسيون أشخاصهم وقدموا القضية التي نصبوا أنفسهم للدفاع عنها، قضية نصرة الحكم الصالح ونصرة الحق والعدل على الباطل والظلم المتصل، ولكي يُحكموا خطتهم كانوا لا يأخذون البيعة لأنفسهم بالخلافة، إنما يأخذونها لإمام رِضاً[1] من آل البيت النبوي، حتى لا يثيروا عليهم أبناء عمهم العلويين، بل حتى يجمعوهم تحت لوائهم، وكانوا يشيعون دائماً أنهم نهضوا لهذا الأمر كي يثأروا للشهداء من أبناء فاطمة الزهراء[2].

وكان أبو سلمة الخلال الذي لقبوه بـ(وزير آل محمد) يرى أن يختار للخلافة أحد أحفاد علي بن أبي طالب، ومن أجل ذلك أخفى أمر أبي العباس وأهله حين نزلوا الكوفة وعزلهم عزلاً تاماً عن جند خراسان، غير أن أبا العباس استطاع الاتصال بأبي مسلم، حيث وجه إليه من أطلعه على نوايا أبي سلمة، فأرسل إليه وفداً من زعماء الدعوة بخراسان سلموا عليه بالخلافة، واضطر أبو سلمة اضطراراً أن يعلن تأييده[3] له، واتجه أبو العباس تواً إلى المسجد الجامع في الكوفة، فبايعه الناس، و ارتقى المنبر، فاشرأبت إليه الأعناق وأصغت إليه الآذان، فإذا هو يحتج بآية القرآن الكريم على أن بيته العباسي أحق بالخلافة من بيت العلويين، وكان متوعكاً فانقطع عن متابعة الكلام، وتابعه عمه داود متحدثاً

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج27/6– 79).

(2) المسعودي ، مروج الذهب .(ج 183/3).

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج85/6)؛ المسعودي، مروج الذهب، (ج183/3)؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج86/3).

باسمه، مؤكداً فضل الخراسانيين في تحرير الأمة من نير الأمويين[1]، ومن حكمهم الباغي الفاسد، ولم يطمئن أبو العباس لمقامه في الكوفة، دار العلويين من قديم، فتحول عنها إلى معسكر الخراسانيين، ثم فارقه إلى الحيرة، وأخذ ببناء الهاشمية لتكون مقر سلطانه، وأغرى أبا مسلم الخراساني بأبي سلمة فدس إليه من قتله[2].

وكانت الجيوش قد اتجهت لمتابعة حرب مروان بن محمد بقيادة عبد الله ابن علي عم السفاح، فالتقت به على الزاب شمالي العراق، وهزمته هو وجيشه هزيمة ساحقة، فولى مع بعض فلول جيشه حتى حران وتركها إلى نهر أبي فُطرس بفلسطين والأردن، وتبعه عبد الله بن علي، وتَلْقَاهُ بلدان الشام بالتهليل والترحيب إلا ما كان من دمشق، ولكنها سرعان ما انقادت له، وبرحها إلى نهر أبي فُطرس، فإذا مروان قد آوى إلى مصر، فأرسل وراءه أخاه صالحاً فما زال يفر أمامه من بلدة إلى بلدة حتى لقي حتفه في بوصير من بلدان الصعيد لأواخر سنة 132 للهجرة، وكان لا يزال يزيد بن عمر بن هبيرة يقاوم في واسط، وقد ضرب من حوله الحصار، حتى إذا جاءه نعي مروان بن محمد أخذ يفاوض العباسيين في التسليم لهم، وسرعان ما عقدوا له أماناً فتح على إثره أبواب واسط، غير أنهم عادوا ففتكوا به وبكثيرين ممن كانوا معه[3].

مضوا العباسيون يفتكون بأفراد البيت الأموي فتكاً ذريعاً يريدون استئصالهم من الأرض، حتى اتخذ ذلك شكل احتفالات دامية، وكان أول من بدأها عبد الله

---

(1)الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج81/6).

(2) المسعودي، مروج الذهب، (ج199/3)؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج89/3).

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج 104/6).

ابن علي؛ إذ دعا في أبى فطرس نحو ثمانين منهم إلى وليمة، ولم يكادوا يجتمعون لها حتى انبرى بعض الشعراء يحرضونه على الفتك بهم ثأراً للإمام إبراهيم بن محمد ومن قُتلوا من العلويين والهاشميين، فأمر بضربهم جميعاً بالعمد[1]حتى يلقوا حتفهم[2] نكالاً لهم ولآبائهم. وصنع صنيعه بجماعات أخرى منهم السفاح وعمَّيْهِ داود وسليمان[3]، وكأنهم لا يريدون إبقاء أحد منهم على وجه الأرض، وحتى موتاهم لم يفلتوا من هذا العقاب الصارم؛ إذ يقال إنه نُبشت قبور خلفائهم– ما عدا قبري معاوية وعمر بن عبد العزيز الخليفة الورع– وحُرقت بقايا جثثهم بالنار تحريقاً [4]. وكان هذا البطش الذي لا يبقي ولا يذر دافعاً لعبد الرحمن الداخل حفيد هشام بن عبد الملك إلى أن يلوذ بالفرار إلى الأندلس، التي أسس فيها دولة أموية جديدة ظلت نحو ثلاثمائة عام[5].

---

(1) وإذا ضرب النفر الرجل حتى يموت تحت أيديهم قتلوا به جميعاً فإن هو مات بعد ضربهم كانت القسامة وإذا كانت القسامة لم تكن إلا على رجل واحد ولم يقتل غيره ، يرى مالك وقال المغيرة المخزومي يقسم
على الجماعة في العمد ويقتلون بالقسامة كما يقتلون بالشهادة القاطعة قال المغيرة وكذلك كان في الزمن الأول إلى زمن معاوية ولأشهب وسحنون في هذا المعنى، أما الشافعي والكوفيون فلا قود عندهم في القسامة وإنما تستحق بها الدية ويقسم عند الشافعي على الواحد وعلى الجماعة وتستحق الدية على الواحد في ماله في العمد وعلى الجماعة في أموالهم ،وأما عند الكوفيين فيحلف أهل المحلة ويغرمون وقالوا في الشهادة على القتل إنهم إذا شهدوا أنه ضربه بسيف فلم يزل صاحب فراش حتى مات فعليه القصاص ولم يتكلم ولم يفق
حتى مات قتل به، وإن أكل أو شرب وعاش ثم مات ففيه القسامة ويحلف المقسمون أنه مات من ذلك الضرب. ابن عبد البر، الاستذكار ،(ج213/7).

(2)الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج 97/6)؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج92/3).

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج97/6)؛ الأصفهاني ،الأغاني (ص111).

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج141/3؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج93/3.

(5) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج1427/1–429؛ابن عذاري، البيان المغرب،ج116/3–120.

وعلى هذا النحو ظفرت الثورة العباسية بالبيت الأموي الذي كانت نفوس الرعية تمتلئ سخطاً وحفيظة عليه لما أذاقهم من الظلم، ولما حرمهم من الإنصاف والعدل الاجتماعي، ولما ازدراه من الحق والواجب، ورأى العباسيون أن يتخذوا من العراق موئلاً لخلافتهم، فعلا نجمه، بينما هوى نجم الشام التي أصبحت ولاية تابعة له بعد أن كان يتبعها، واتخذ السفاحُ الهاشميةَ مقر الدولية، ولم يلبث أبو جعفر المنصور أن اختار قرية صغيرة على الضفة الغربية لدجلة لتكون حاضرة الخلافة، هي بغداد(1).

وعلى إثر وصول الأسرة العباسية إلى الكوفة برئاسة أبي العباس، وعلى الرغم من كتم أبي سلمة أمر وصولهم إليه عن القواد والشيعة أجمعين، إلا أن هذا الأمر قد عرفه القواد والشيعة، وعرفوا المكان الذي كان فيه أبو العباس وبايعوه بالخلافة، فبايعه أبو سلمه(2).

وخرج أبو العباس في يوم الجمعة 13 ربيع الأول سنة 132هـ –749م وصعد المنبر وهو يرتدي دراعة سوداء وكساء أسود، فخطب في الناس خطبة أظهر فيها مكانة آل الرسول وما خصهم به القرآن من آيات، ثم ذكر جور بني أمية وظلمهم، ووعد الناس خيراً وزادهم في أعطياتهم مائة درهم، وخص أهل

---

(1) ورد اسم بغداد في المصادر القديمة بعدة صيغ ، مثل بغداد، بغداذ ، بغدان، معذاد، مغداذ، ويُسمِّيها بعض الأتراك إلى اليوم (بغدات)، وسُمِّيت بمدينة السلام نسبة إلى نهر دجلة الذي كان يُسمَّى نهر أو وادي السلام، وهذا الاسم أطلقه عليها أبو جعفر المنصور تفاؤلاً به، وسُميَّت المنصورية ومدينة المنصور نسبة إلى الخليفة المنصور كما سُمِّيت الزوراء نسبة إلى ازورار الباب أو القبلة في المسجد أو من ازورار أي قوس أو ميل نهر دجلة (المسعودي، مروج الذهب (ج3/ 992)؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية (ص163)؛ الحموي، معجم البلدان (ج678/1) ؛ ابن كثير البداية والنهاية (ج1/ 97).

(2)الذهبي ، سير أعلام النبلاء،(ج78/6).

الكوفة بالجزء الأخير من خطبته قائلاً لهم: "يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنيكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المنيح"[1].

وعلى هذا فإن أبا العباس أشاد في خطبته بأهل الكوفة، وبأن حالهم ستكون حسنة في خلافة العباسيين، ثم طلب منهم الاستعداد للعمل معه، وذكر زيادة أُعطياتهم، ثم قال لهم: استعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح[2].

وتذكر المصادر التاريخية مثل كتاب تاريخ الرسل والممالك و وفي المختصر في أخبار الخلفاء وكتاب الإمامة والسياسة أن أبا العباس سُمِّي بالسفاح منذئذ، واختُلف في شرح هذه العبارة، أن هذا اللقب أطلق عليه لكرمه، وطول باعه، أو اتخذه لكثرة ما سفك من الدماء، وتجعل بعض المصادر هذا اللقب لعبد الله بن علي[3].

ويرى الباحث : مهما تعددت التفسيرات فإن ما بدا ظاهراً للعيان بعد ذلك أن الأسرة العباسية ،التي تسلمت الحكم ،قد وطدت العزم على استخدام القوة لتثبيت مركزها مهما كلفها ذلك.

---

(1)الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج 426/7)؛ المقريزي ،الخطط المقريزية (ص 72).

(2) الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج 426/7).

(3) الطبري، (ج 425/7–426)؛ ابن الساعي ، (ص6)؛عمر(ص 201)؛ ابن قتيبة، (ج 132/2).

أسس الخلافة العباسية وأركانها

1- أبو العباس عبد الله بن محمد، المعروف بأبي العباس السفاح (132-136هـ /750-754م).

هو أول خلفاء الدولة العباسية، تولى الخلافة في 3 ربيع الآخر سنة 132هـ/750م وخطب في صبيحة اليوم التالي لخلافته بجامع الكوفة خطبة مدح فيها آل محمد، وندد بالأمويين الذين اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين، ثم ختم خطبته بقوله: "أنا السفاح المبيح والثائر المنيح، ولهذا السبب لقب بالسفاح[1].

وأن اسم السفاح لم يرد في كتابات المؤرخين إلا منذ القرن الرابع الهجري، و أن ابن قتيبة صاحب كتاب الإمامة والسياسة يطلق اسم السفاح على عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، عم أبي العباس الذي اشتهر بشدة البطش وسفك الدماء وهو الذي قتل مروان في مصر ومثَّل بأهل الشام[2]، و ينفي صفة القوة وسفك الدماء عن أبي العباس الذي اتصف بالحِلم وكرم الأخلاق وكراهيته سفك الدماء، ويبرأه من المذابح التي جرت بداية قيام الدولة[3]، وينسبونها إلى أعمام أبي العباس، كعبد الله بن علي الذي يسميه اليعقوبي بالسفاح، وداود، وسليمان، وإسماعيل، وصالح[4]، ولكن مهما دوفع عن أبى

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك (ج 426/7).

(2)(ج 132/2).

(3) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة و(ج132/2).

(4)العبادي، التاريخ الإسلامي ج2/ ص70؛ العبادي، التاريخ العباسي والفاطمي ص41-44. ويميل الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد إلى تبرئته من أعمال القتل وسفك الدماء ويأتي في ذلك بشواهد عديدة ماجد، العصر العباسي الأول ج50/1.

العباس ويرئ من هذه التهم؛ فإنه هو المسؤول عن المذابح البشعة التي اقترنت بقيام الدولة العباسية، أما القول بأن اسم السفاح لم يرد في مدونات القرن الثالث فمردود، بدليل أن مؤلفاً مجهول الاسم (من القرن الثالث الهجري) لعله ابن النطاح مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله العباسي[1] يسمي أبا العباس بالسفاح[2]، ويرى الباحث بأن لقب بالسفاح لكثرة ما سفك هو من دماء أو ما سفك في عهده من دماء الأمويين.

وعندما خرّ ساجداً لله عندما وصله رأس مروان بن محمد ثم رفع رأسه، وقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك، لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين، وترديده قول الشاعر:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني[3]

ومن أمثلة سفكه الدماء؛ ما فعله بسليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان في مجلسه، مطمئناً إلى أمان حصل عليه من الخليفة، فسمع السفاح مولى له ينشده:

لا يغرنـك ما تـــرى من رجــال إن تحت الضلوع داء دوياً

فضـع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرك أمويـاً[4]

فأمر السفاح في الحال بقتل ضيفه سليمان، و يرى الباحث :بهذه السياسة النادرة بدأ العباسيون مذابحهم، فغدروا بالأمويين في أبى فطرس، وحذوا حذو

---

(1) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص18.

(2) المصدر نفسه، ص410، 412.

(3)المسعودي،مروج الذهب ج257/3، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج427/5.

(4)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج429/5؛ابن الطقطقي،الفخري في الآداب السلطانية ص134.

خليفتهم السفاح، وأعتقد أنه لو لم يكن أبو العباس هو الذي شن هذه السياسة الانتقامية وباركها ما تجرأ بنو العباس على عبد الله بن علي[1] وسليمان بن علي[2] وغيرهما، وعلى البطش ببقايا الأمويين، وتتبع أولادهم وأطفالهم في كل مكان تصل إليه عساكر العباسيين، وكان مع ذلك جواداً بالمال[3].

و يرى الباحث أنه :يمكن على هذا الأساس تفسير وصف السفاح نفسه بهذا الاسم بأنه كان يتوعد من ينوي الخروج عليه بسفك دمه، وأما المبيح فمعناها الرجل الجواد كثير العطايا، ولعله كان يقصد أنه بقدر ما هو سفاح فهو كريم ببذل المال لمن استحقه، والواقع أن هذه السياسة الحكيمة التي التزمها أبو العباس وقوامها الشد والجذب، والشدة واللين، والترهيب والترغيب، كانت ضرورية في أول قيام الدولة العباسية، فقيام الدولة يقترن دائماً بمثل ذلك، وهي على العموم سياسة مجدية؛ لأنها تمكّن لنفوذ الدولة الجديدة.

وأول ما قام به أبو العباس أنه عزم على اتخاذ قصر لخلافته يكون قريباً من شيعته وأنصاره بدلاً من دمشق حاضرة دولة بني أمية ، ومن المعروف أنه نزل بادئ ذي بدء في موضع قريب من الكوفة يسمى هاشمية الكوفة، ولكنه انتقل منها بعد عامين إلى مدينة الأنبار الواقعة على نهر الفرات إلى الشمال من

---

(1) أمر عبد الله بضرب تسعين رجلاً من بني أمية بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الأنطاع، فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً، وهو الذي أمر بنبش قبور بني أمية بدمشق، وهو الذي تتبع بني أمية وقتلهم بنهر أبى فطرس. وقد نسب ابن الطقطقي،في الفخري في الآداب السلطانية، هذا العمل الإجرامي إلى السفاح، ص134.

(2) قتل سليمان بالبصرة جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية، فأمر بهم فسحلوا (أي جرّوا من أرجلهم) حتى ماتوا وألقوا على الطريق، فأكلتهم الكلاب. الأصفهاني، الأغاني، ص162.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص241.

نهر الكوفة، فأقام بجوارها مدينة عرفت بهاشمية الأنبار[1] اتخذها داراً للخلافة، وظلت الأنبار مقر الدولة العباسية مدة سبع سنين، إلى أن قام المنصور ببناء مدينة بغداد في سنة 145هـ/762مـ، ورأى أبو العباس ضرورة القضاء على بقايا الأمويين حتى تستقر دعائم دولته ويصفو له الأمر، فقام بمذابح بشعة، منها مذبحة نهر أبي فطرس عندما أعلن أمانه لكل أمير أموي يسلم نفسه للسلطات العباسية، وطلب من هؤلاء الأمراء الفارين تسليم أنفسهم، فلما اجتمعوا لهذا الغرض انقض عليهم العباسيون بإيعاز من عبد الله بن علي العباسي فقتلوهم، وكان فيمن قُتل محمدُ بن عبد الملك بن مروان، والنمرُ بن يزيد بن عبد الملك، وعبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأخوه سعيدُ، وعلى الرغم مما اتصف به أبو العباس السفاح من قسوة فإنه كان كريماً كثير البذل، وكان شاعراً يميل إلى الأدب وسماع الغناء، وكان يظهر لندمائه ويجالسهم ويجزل لهم العطاء، وكانت تعجبه مفاخرات العرب من نزار واليمن[2]، ويقول الصولي في سخائه: "وكان السفاح أسخى الناس، ما وعد عدةً فأخرها عن وقتها، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها".[3]

2- أبو جعفر المنصور: 136-158هـ (754-775م)

كان السفاح قد عقد سنة 136هـ /754م لأخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد بالخلافة من بعده، وجعله ولي عهد المسلمين، على أن يليه في ولاية العهد عيسى بن موسى بن محمد العباسي، فلما توفي السفاح كان أبو جعفر

---

(1)السيوطي، تاريخ الخلفاء ص241.

(2) المسعودي، مروج الذهب ج3/ ص271.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص240.

بمكة، فأخذ عيسى بن موسى البيعة لأبى جعفر وكتب إليه يعلمه بوفاة السفاح والبيعة له، وهكذا ولي المنصور الخلافة والأخطار ما تزال محيطة بالدولة، فهناك العلويون من آل حسن وجماعة من أقاربه وأنصاره يكيدون له، وكان أبو جعفر – حسبما قال السيوطي: "فحل بني العباس، هيبة، وشجاعة، وحزماً، ورأياً وجبروتاً، جامعاً المال، تاركاً اللهو واللعب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه، وهو الذي ضرب أبا حنيفة – رحمه الله– على القضاء ثم سجنه، فمات بعد أيام[1]، ويصفه ابن الطقطقي بقوله: "كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة منهم، و التدبيران السديدة، وقوراً شديد الوقار، حسن الخلق في الخلوة، من أشد الناس احتمالاً لما يكون من عبث أو مزاح. ويضيف إلى هذه الصفات صفة المكر والتيقظ، وينسب إليه أصل الدولة، وضبط المملكة وترتيب القواعد وإقامة الناموس[2].

ولهذا كله يُعَدُّ أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية[3].

ويرى الباحث ولا شك أن الفترة التي قضاها المنصور في الخلافة العباسية تُعدُّ من أهم عصور الخلافة ،إن لم تكن أهمها على الإطلاق، فقد حكم ما يقرب من(22)عاماً.

---

(1)السيوطي، تاريخ الخلفاء ص242.
(2)الفخري في الآداب السلطانية (ص141، 143).
(3) ماجد، العصر العباسي الأول، ص55.

كذلك أقدم أبو جعفر المنصور في سنة 137هـ /755م على قتل أبى مسلم الخراساني قائد الثورة على الأمويين في خراسان، ويعزون قتل المنصور له إلى الأسباب الآتية:

أ. تمادي أبي مسلم في زهوه وإسرافه في قتل النفوس البريئة.

ب. تقدمه على المنصور في طريق الحج، وعدم انتظاره إياه في طريق العودة عندما بلغه نبأ وفاة أبى العباس السفاح[1].

ت. بعد وفاة السفاح أرسل أبو مسلم إلى المنصور رسالة يعزيه فيها دون أن يهنئه بالخلافة[2].

ث. كان المنصور قد أمر الحسن بن قحطبة، والي الجزيرة، أن يلحق بأبي مسلم عند توجهه لمقاتلة عبد الله بن علي في الشام، فكتب قحطبة إلى مالمورياني وزير المنصور يقول: "إني قد رأيت بأبي مسلم أنه يأتيه كتاب أمير المؤمنين فيقرؤه ثم يلقي الكتاب من يده إلى مالك بن الهيثم فيقرؤه، ويضحكان استهزاء"[3].

ج. تجرؤه على قتل سليمان بن كثير الخزاعي أحد شيوخ الدعوة العباسية دون استشارة الخليفة.

---

(1) خاصة بعد انتصاره على عبد الله ابن علي عندما أراد المنصور أن يختبر مدى طاعته له، فأرسل إليه رسولاً ليحصي عليه الغنائم، فغضب وتناول أبا جعفر بلسانه، وأراد قتل الرسول لولا تدخل أصحابه. المسعودي ،مروج الذهب، (ج290/3)؛ الحموي، معجم البلدان، (ج366/2).

(2)المسعودي ،مروج الذهب، (ج290/3)؛ الحموي، معجم البلدان، (ج366/2).

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (ج419/5).

ح. تحديه أمر المنصور عندما صرفه عن ولاية خراسان و ولاه الشام ومصر وقوله: "هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي"[1]، واستمراره في السير إلى خراسان.

خ. تقديمه اسمه على اسم الخليفة في رسائله، وانتسابه إلى سليط ابن عبد الله بن عباس[2].

والواقع أن أبا مسلم تمادى في الاعتداد بنفسه لاستشعاره أنه صاحب الفضل الأعظم في قيام الدولة العباسية، وتجاوز حدود سلطاته إلى حد أخاف منه المنصور على خلافته.

وتوفي المنصور في سنة 158هـ /775م بالقرب من مكة وهو في طريقه للحج[3].

3- المهدي بن المنصور (158-169هـ/775-785م)

هو محمد بن عبد الله المنصور، بويع له بمكة يوم توفي أبوه، وحكم المهدي قرابة 11 سنة قضتها الدولة في سلام، وساعد على ذلك ميله إلى السلم واستقرار أمور الدولة في حياة أبيه، وقد عكف المهدي على الفنون، وخاصة العمارة، فأقام سور الرصافة، وبنى مسجدها، ووسع المسجد النبوي بالمدينة، وجمله بالفسيفساء والعمد، وكسا الكعبة سنة 160هـ /777م بالديباج والخز والقباطر، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر[4]، وبنى على جوانب الطريق المؤدي

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج365/2- 366).
(2) الدوري، العصر العباسي الأول ص25.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (ج436/5).
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج2/ 396).

إلى الحج منازل ومحطات لراحة الحجاج[1]، وأمر بالزيادة في المسجد الجامع بالموصل في سنة 163[2]/780م ، وكان المهدي من أكثر الخلفاء العباسيين حباً للموسيقى والغناء [3].

وكان المهدي شديداً على أهل الضلال والزندقة، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم[4].

ففي عهده ظهرت حركة المقنعية بزعامة المقنع الخراساني[5] سنة 159هـ/776م.

كذلك ظهرت في أيام المهدي حركة الزندقة، وكان أصحاب هذه الحركة ينادون بالإباحية المطلقة والفوضى، والتحلل من القيم والروابط الاجتماعية جميعها، وقد تتبع المهدي الزنادقة في كل مكان، ونكل بهم، وعين لمطاردتهم رئيساً يعرف بصاحب الزنادقة، قتل منهم أعداداً هائلة، وبلغه أن صالح بن أبي

---

(1)اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج2/ص402؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص256.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ ص76.

(3) فارمر، تاريخ الموسيقى الأندلسية ص142.

(4) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص181.

(5) كان قائد هذه الحركة رجل من أهل مرو – موطن النحل الفارسية– أعور، قصير القامة، دميم الخلقة، اتخذ لوجهه قناعاً من ذهب لإخفاء قبح وجهه، وادعى الألوهية، وكان يقول إن الله خلق آدم، فتحول في صورته نوحاً، وهكذا هلم جرا إلى أبى مسلم الخراساني، ثم تحول إلى هاشم، وسمى نفسه هاشماً، وكان يقول بالتناسخ، فتابعه في الضلال خلق كثير، وكانوا يسجدون إلى ناحيته أين كانوا من النواحي، وكانوا يقولون في الحرب: يا هاشم أعِنَّا. وتجمع حوله حشد كبير من التابعين وتحصنوا في قلعة بسنام وسنجردة من رستياق كش، وأعانه الترك في بخارى والصند. ولكن هذه الحركة لم يطل أمدها، فقد انتهت بهلاك المقنع، ذلك أن المهدي سير إليه جيشاً بقيادة معاذ بن مسلم، وسعيد الحرشي أوقع بأصحاب المقنع فهزمهم، فلما أيقن المقنع بالهلاك، جمع نساءه وأهله وسقاهم السم، وأمر أن يحرق هو بالنار حتى لا يُمثَّل بجثته إبن الأثير، الكامل في التاريخ ج6 /52؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص162.

عبيد الله كاتبه زنديق، فأحضره، فلما تأكد لديه ذلك قتله، والمهدي أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين[1].

وفي عهد المهدي ساءت العلاقات بين البيزنطيين والعباسيين، فلم تنقطع الحرب البرية البحرية بينهما، فمنذ سنة 159هـ/776م توالت حملات المهدي على البيزنطيين، وقد رد البيزنطيون على تلك الغارات، فأغاروا على مرعش[2] وأحرقوها، فجعل المهدي ابنه هارون في حلب لمهاجمة البيزنطيين[3]، وعمل هارون على مقاتلتهم، فوصل جيشه إلى سواحل البسفور، وأرغم الإمبراطورة إيرين الوصية على ابنها قسطنطين السادس، على أن تدفع للمسلمين مبلغاً قدره سبعون ألف دينار سنوياً، وعقدت الهدنة بين المهدي وإيرين لمدة ثلاث سنين[4].

4- الهادي بن المهدي: 169-170هـ (785-786م)

هو أبو محمد موسى الهادي بن المهدي، بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المهدي، وفي عهده القصير ضعفت الخلافة العباسية، فقد أصبحت أموال الدولة تصرف على المقربين والمتصلين به من الشعراء وغيرهم، كذلك بدأت نساء القصر يتدخلن في شؤون الدولة، مما قلل هيبتها، فكانت أمه الخيزران حاكمة مستبدة بالأمور الكبار، وكانت المواكب تدنو إلى بابها، وقيل

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج2/ص400.

(2) هي مدينة تقع على نهر جيحان، وتسمى باللغة اليونانية مراسيون وهي أول درب الحدث، من الثغور الشامية ابن كثير ،البداية والنهاية ج311/2.

(3) انظر ملحق رقم (4)ص234.

(4)اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج2/ص66.

إنها سعت إلى قتله لمَّا وعك، فسمته، وقيل غموا وجهه ببساط جلسوا على جوانبه[1].

وفي عهد الهادي بدأت ظاهرة استقلال الأطراف في الدولة العباسية، وقامت الفتن والمنازعات في الداخل، فقد ثار العلويون الحسنيون في الحجاز سنة 169هـ/785م بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فأرسل الهادي لإخماد حركتهم جيشاً إلى مكة بقيادة محمد بن سليمان، وتم الاشتباك في وادٍ بطريق مكة يسمى فخ، فقتل الحسين ومن معه من أهل بيته، وفر أحد أقاربه وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن، فأتى مصر، ومن هناك خرج إلى المغرب الأقصى ، فاستجاب له من فيها من البربر، وتمكن بفضل هؤلاء الأتباع من تأسيس دولة الأدارسة[2] [3].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6/ص100، السيوطي تاريخ الخلفاء ص160 وما يليها. يعللون سبب حقدها عليه بأنه حاول إقصاء أخيها هارون الرشيد عن الخلافة والبيعة لابنه جعفر، فخافت الخيزران على هارون، وكانت تحبه، ففعلت بالهادي ما فعلت. وقيل إنه كان شديد الغيرة على الخيزران، فكره منها خروجها في المواكب واتهمها بمصاحبة رجل يقال له عبد الله بن مالك، فغاضبها وأقسم لأضربن عنقه. (المسعودي، مروج الذهب ج3/ 328؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6/ 100، ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص173).

(2)ابن كثير ، البداية والنهايةج2/426.

(3) الأدَارِسَة هي سلالة حكمت المغرب، أسّسها إدريس بن عبد الله الملقب بإدريس الأول793-788 م ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد بن عبد الله، نجا بنفسه من المذبحة التي ارتكبها الجيش العباسي في موقعة فخ في مكة المكرمة، فر إلى وليلي بالمغرب .تمت مبايعته قائداً وأميراً وإماماً من طرف قبائل الأمازيغ في المنطقة. وسع حدود مملكته حتى بلغ تلمسان 789م ثم بدأ في بناء فاس .قام هارون الرشيد بتدبير اغتياله سنة793 م .لادريس الأول) قام ابنه إدريس الثاني-793 828م ،الذي تولى الإمامة منذ804 م، بجلب العديد من الحرفيين من الأندلس وتونس، فبنى فاس وجعلها عاصمة الدولة، كما دعم وطائد الدولة. قام ابنه محمد بن إدريس الثاني836-828) م (عام836 م بتقسيم المملكة بين إخوته الثمانية (أو أكثر). كان لهذه الحركة تأثير سلبي على وحدة البلاد. بدأت بعدها مرحلة الحروب الداخلية بين الإخوة. منذ932 م وقع الأدارسة تحت سلطة الأمويين حكام الأندلس، والذين قاموا لمرات

وكان الهادي عنيفاً في محاربة الزنادقة سنة 169هـ/785م التي تولى فيها الخلافة، فقتل منهم جماعة[1] فيهم علي بن يقطين، ويعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس[2].

5- هارون الرشيد: 170-193هـ (786-809م)

هو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي، من أعظم خلفاء بني العباس وأكثرهم ذكراً في التاريخ العباسي[3]، لما اتصف به من كرم وجود، ولما وصلت إليه الدولة الإسلامية في عهده من نهضة حضارية بلغت ذروتها، فقد أصبحت بغداد في أيامه كعبة العلم والأدب[4]، ومركز التجارة[5] والصناعة، حتى أصبح اسمه مقروناً بألف ليلة وليلة، وفي عصره ارتقى فن الغناء والموسقى بفضل جهود مغنيه إبراهيم الموصلي وعوادة زلزل، وظهر في أيامه شعراء عظام أمثال أبي العتاهية والعباس بن الأحنف، ومروان بن أبي حفصة، ومؤرخين أمثال الأصمعي والوافدي، وفي عهده أيضاً ظهر التأثير الفارسي في الحياة الاجتماعية، فاحتفل الناس بالأعياد الفارسية القديمة كالنوروز الذي أصبح يحتل منذ قيام الدولة العباسية ما كان له من عظمة وروعة، ولم يقتصر الاحتفال بهذا العيد على الفرس حسب تقاليدهم القديمة؛ بل عُدّ عيداً شعبياً عاماً، كما احتفل

عدة بشن حملات في المغرب لإبعاد الأدارسة عن السلطة .ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ص172-175.

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص260.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ 89.

(3)حسن ،تاريخ الإسلام ،ج115/2.

(4)المرجع السابق ج117/2.

(5)انظر ملحق رقم (5)ص236.

به الخلفاء احتفالاً رسمياً[1]، وأصبحت الأزياء تتبع النمط الفارسي كما انتشرت الأطعمة والأشربة الفارسية، ومن أنواع الأطعمة الفارسية التي شاعت في هذا العصر الكبار[2][3]الاسفاناخ[4]، ومن أمثلة الحلوى الفارسية

الفالوذج[5][6] والخشكنانج[7]، ويتميز عصر الرشيد بقيام عدة ثورات: منها ثورات العرب في الشام ومصر والموصل، وفتنة الخوارج في الجزيرة[8]، وخروج العلويين في طبرستان وأفريقية (تونس)، وفي عصره نكبة البرامكة سنة 187هـ بعد أن سيطروا على الدولة اقتصادياً وإدارياً، وكانوا يهيمنون على جميع مرافق الدولة في الحكم، والشؤون المالية، والإدارة، والعلوم، والفنون[9].

---

(1) الصياد، النوروز وأثره في الأدب العربي ص48.

(2) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف ج1/ ص211.

(3)هو سلق الأضلاع بالبن ويضع عليها الثوم الملح وتسلق حتى تنضج البغدادي ،الطبيخ، ص65.

(4)صنْعتها: أن يؤخذ اللحم السمين فيقطع ويلقى اللحم في الدهن ويوضع عليه الماء ويوضع عليه الحمص والكسفرة والكمون والفلفل والمصطكى. البغدادي ،الطبيخ، ص32.

(5) هو من أصناف الحلوى التي كانت شهيرة ويألف العرب أكلها في شهر رمضان "الفالوذج" وهي تعمل من الدقيق والماء والعسل. لفظة معربة عن "بالوذة" (بالوظة). وتشير أخبار العرب إلى أن أول من عمل الفالوذ في بلاد العرب عبد الله بن جدعان، وكان سيداً شريفاً من مطعمي قريش كهشام بن عبد مناف فقد وفد هذا القرشي على كسرى وأكل لديه الفالوذ، فابتاع من عنده غلاماً يصنعه وقدم به مكة فصنع الفالوذ ووضع موائده بالأبطح إلى باب الكعبة ثم نادى: من أراد أن يأكل الفالوذ فليحضر الصاوي، رمضان زمان ص24–25.

(6)البغدادي ،الطبيخ ص78.

(7) هو أن يؤخذ الدقيق السميذ الفائق، ويجعل على كل رطل ثلاث أواق شْرَيَج، ويُعجن قويًّا، ويُترك حتى يختمر، ثم يقرص مستطيلا، ويُجعل في وسط كل واحدة بمقدارها من اللوز والسكر ثم تجمع وتخبز في الفرن البغدادي ، الطبيخ ص80.

(8) ثار الصحصح الخارجي في الموصل سنة 171هـ، وثار الفضل الخارجي في نصيبين سنة 176، والوليد طريف الشاري في الجزيرة الفراتية سنة 178 وحمزة بن عبد الله الأزرق في سجستان سنة 179، كما خرج كثيرون غيرهم، وقد اضطر الرشيد إلى هدم سور الموصل بسبب كثرة ثورات الخوارج بها (فوزي، الرسائل المتبادلة بين الخليفة والثائر ص260 وما يليها).

(9)الجهشياري ، الوزراء والكتاب ،ص189–190.

أما عن علاقة الدولة العباسية بالدولة البيزنطية فكانت علاقة حرب، بخلاف علاقتها بالدولة الكارولنجية التي ارتبط عاهلها شارلمان (768م-814م) مع الرشيد بعلاقات المودة والصداقة، وتبادل الجانبان الهدايا والسفارات[1]، ومن المعروف أن الرشيد قاد الحملات ضد البيزنطيين بنفسه، ففي سنة 181هـ خرج على رأس جيش كثيف إلى آسيا الصغرى واجتاز منطقة الثغور، واقتحم المواقع البيزنطية في آسيا الصغرى، وافتتح حصن الصفصاف، كما غزا قائده عبد الملك ابن صالح بلاد البيزنطيين في السنة نفسها، فبلغ أنقرة[2] فاضطرت الإمبراطورة إيرين إلى القبول بسلم مهين لبيزنطة من العباسيين، ثم قامت في بيزنطة حركة انقلابية ضد إيرين في 187هـ (802م) أطاحت بحكمها، وخلفها الإمبراطور نقفور الأول (802-811م) الذي نقض الهدنة، وامتنع عن دفع الجزية، ويروي ابن الأثير هذا الخبر بقوله: "وكان يملك الروم حينئذ امرأة اسمها إيرين فخلعتها الروم وملكت نقفور، وتزعم الروم أنه من أولاد جفنة بن غسان، وكان قبل أن يملك يلي ديوان الخراج، وماتت إيرين بعد خمسة أشهر من خلعها، فلما استوثقت الروم لنقفور كتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أمّا بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافها إليها، ولكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فأرجع ما حصل لك من

(1) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ،ص288.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ ص158.

أموالها، وافتد نفسك بما نقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك"[1]، فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر أحد أن ينظر دون أن يخاطبه، وكتب على ظهر الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام"[2]، وعلى إثر ذلك زحف بجيوشه مخترقاً آسيا الصغرى حتى نزل على هرقلة[3]، ففتحها وغنم غنائم كثيرة وانتصر على البيزنطيين في مواقع عديدة، وأرغم الإمبراطور نقفور على إبرام معاهدة صلح تعهد فيها بدفع الجزية من جديد، ولكن البيزنطيين نقضوا هذه المعاهدة مرة ثانية، وهاجموا الدولة العباسية والرشيد في طريق عودته، وهزموا المسلمين في جنوبي آسيا الصغرى منتهزين انشغال الخليفة ببعض الفتن الداخلية، ولكن الرشيد خرج في سنة 190هـ/805م . وفتح هرقلة والصفصاف وملقونية وغيرها، وأسر من البيزنطيين ستة عشر ألفاً[4]، وفرض جزية عليهم قدرها خمسون ألف دينار.

توفي الرشيد وهو غاز بخراسان، فدفن بطوس في 3 جمادى الآخرة سنة 193هـ/808م .، وكان قد بايع بولاية العهد لأولاده الثلاثة: الأمين سنة 175هـ، ثم المأمون سنة 182هـ/798م .، ثم المؤتمن سنة 186هـ/802، وقسم دولته

---

(1)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ص185.

(2)المصدر السابق ج6/ ص185.

(3) هرقلة: مدينة ببلاد الروم تقع شمالي غربي طرسوس، وقد تحرف هذا الاسم فأصبحت تسمى (أركلية.). الحموي، معجم البلدان، ج961/4؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ج410/2.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص268.

بينهم، فعهد بالقسم الشرقي إلى المأمون، وبالجزيرة والعواصم إلى المؤتمن، أما الأمين فتولى الشام والعراق إلى آخر المغرب(1).

6- محمد عبد الله الأمين: 193-198هـ (808-813م)

هو ولد الرشيد من زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور(2)، ولي الأمر بعد الرشيد صبيحة الليلة التي توفي فيها، وكان المأمون حينئذ بمرو، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها المؤرخون إليه(3)، وإقباله على اللهو وانقطاعه إلى معاشرة المجان عن تدبير الدولة، وتوجيهه إلى جميع البلدان في طلب الملهمين، واستخفافه بأخويه وبقواده، وإسرافه في الإنفاق على ملذاته ومتعه – على الرغم من ذلك كله– فقد كان شجاعاً فصيحاً أديباً كريماً(4)، ويرى الباحث ما وصمه به المؤرخون فإنما يعبّر عن النزعة الشعوبية التي عدّت النزاع بين الأمين والمأمون صراعاً بين القومية العربية والقومية الفارسية، وكان من الطبيعي أن تمجد العناصر الفارسية المأمون في صراعه ضد الأمين؛ لأن

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ ص173.

(2)أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور العباسي (ت 216هـ/831م) وكنيتها أم جعفر ولقبها زبيدة ، لقبها به جدها أبو جعفر المنصور لبياضها ونعومتها وهي طفلة . الزركلي ،الأعلام ،ج73/3؛ج35/7.

(3) ذكروا أنه كان سيئ التدبير، كثير التبذير، ضعيف الرأي، أرعن لا يصلح للإمارة، ويدللون على ذلك بأنه أمر أول ما بويع بالخلافة ثاني يوم أمر ببناء ميدان بجوار قصر المنصور للعب بالكرة، وأنه عزل أخاه المؤتمن سنة 194هـ، عما كان الرشيد ولاه، ووقعت الوحشة بينه وبين أخيه المأمون، بسبب سعي الأمين على عزل المأمون، فأسقط اسم الأمين من الطراز، وقطع البريد عنه. بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس،ج333/2-337.

(4) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص193. ومن الأمثلة على كرم عنصره، أن الفضل ابن الربيع اقترح عليه لما تأزم الموقف بعد هزيمة قوات الأمين أن يأخذ ولدي المأمون رهينة حتى ينفذ له مطالبه فإذا أبى تنفيذها قتلهما، فرد عليه الأمين: "أنت أعرابي مجنون، أدعوك إلى ولاية أعنه العرب والعجم وأوليتك خراج الجبال إلى خراسان وأرفع منزلتك على نظرائك من أبناء القواد والملوك، وتدعوني إلى قتل ولدي وسفك دماء أهل بيتي" (ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ج6/ ص254).

المأمون بحكم كون أمه فارسية؛ يمثّل النزعة الشعوبية، وكان وزيره الفضل بن سهل فارسياً[1]، وكان أبو ماي أبو الفضل مجوسياً إلى أن أسلم في زمن الرشيد، واتصل بالرشيد عن طريق جعفر البرمكي، فعيّنه الرشيد مع ابنه في إدارة القسم الشرقي من دولته

ويرجع سبب الفتنة بين الأمين والمأمون إلى أن الفضل بن الربيع وزير الأمين فطن إلى أن المأمون إذا آلت إليه الخلافة وهو حي لن يبقي عليه، فسعى الفضل إلى إغراء الأمين وحثه على خلع المأمون من ولاية العهد، والبيعة بولاية العهد لابنه موسى بن الأمين، فبادر الأمين بالدعاء لابنه بالإمارة بعد الدعاء للمأمون للمؤتمن ثم خلع المؤتمن ووجهه إلى المأمون يطلب إليه أن يقدم ابنه موسى على نفسه ويحضر عنده، فاستشار المأمون وزيره الفضل ابن سهل وخاصته، فأغروه بالامتناع، فامتنع، وكتب يعتذر[2]، وفي نفس الوقت عمد الفضل إلى استمالة العباس بن موسى رئيس وفد الأمين إليه، ملوحاً له بإمارة بعض مواضع من مصر، فأجاب إلى بيعة المأمون، وأصبح العباس عيناً للمأمون يكتب إلى الفضل بن سهل بأخبار الأمين من بغداد[3]، ثم عمل الفضل ابن سهل على توسيع هوة الخلاف بين الأخوين، فحرض المأمون على الاستقلال بخراسان عندما أرسل الأمين إلى عماله في خراسان يطلب منهم

---

(1) الفضل بن سهل: قام الامين بتولية الفضل بعد مقتل ابن ماهان وعقد له على المشرق من جبل همذان إلى التبت طولًا، ومن بحر فارس إلى بحر الديلم وجرجان عرضًا، وجعل له عمالةً ثلاثة آلاف ألف درهم، وعقد له لواءً على سنان ذي شعبتين، ولقبه ذا الرياستين، رياسة الحرب، والقلم، وحمل اللواء علي بن هشام، وحمل القلم نعيم بن حازم، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،425/5.

(2) ابن الطقطقي، في الفخري في الآداب السلطانية ص194.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ ص230.

النزول عن بعض كورها، فامتنع المأمون عن إجابة الأمين إلى طلبه، وأمر بسد الطرق والمنافذ المؤدية إلى خراسان بثقات رجاله حتى يمنعوا أي أحد من العبور، فحظر أهل خراسان أن يستمالوا برغبة أو رهبة، وضبط الطرق بثقات أصحابه فلم يمكنوا من دخول خراسان إلا من عرفوه، وأتى بجواز، أو كان تاجراً معروفاً، وفتشت الكتب[1]، بل عمد المأمون إلى مكاتبة ملك كابل وملوك الترك وخاقان التبت، الذين خرجوا على طاعة الأمين وبعث إليهم ببعض الهدايا[2].

فلما علم الأمين بذلك بايع لولده موسى بولاية العهد، وسماه الناطق بالحق، وأمر بالدعاء له على المنابر، وقطع ذكر المأمون والمؤتمن في ربيع الأول سنة 195هـ/810م ،[3] وأرسل إلى الكعبة بعض الحجبة فأتوه بكتابيّ العهد اللذين وضعهما الرشيد في الكعبة ببيعة الأمين والمأمون، فأحضرهما عنده، فمزقهما الفضل بن الربيع، وكان لنكث الأمين لعهد ابنه أثر عميق في إغضاب أهل خراسان وغيرهم، ثم تطورت الفتنة، وأصبحت نزاعاً بين الفرس أنصار المأمون والعرب أنصار الأمين، وقد ساند الأمين في موقفه ضد الفرس وزيره الفضل ابن الربيع، وعلي بن عيسى بن ماهان، وعبد الرحمن بن جبلة أعظم قواده، أما المأمون فقد وقف إلى جانبه الفضل بن سهل، ومن قواده هرثمة

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج6/ص231؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص195.

(2) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص196.

(3) موسى بن محمد الأمين بن هارون الرشيد العباسي: أمير، ثارت من أجله الفتنة بين الأمين والمأمون العباسيين. وكان أبوهما (هارون الرشيد) قد جعل ولاية عهده للأمين ثم للمأمون، فلما مات الرشيد وولي الأمين الخلافة خلع أخاه (المأمون) من ولاية عهده وجعلها لابنه موسى وهو طفل، وسماه) الناطق بالحق (فقامت الحرب بين الأخوين وانتهت بقتل الأمين سنة 198 هـ وتفرد المأمون بالخلافة.الزركلي، الأعلام ،327/7.

بن أعين[1] وطاهر بن الحسين، وبدأ الأمين يجهز قواته لمواجهة الفتنة، ثم أمر علي بن عيسى بن ماهان بقيادته لحرب المأمون بعد أن جهزه بخمسين ألف فارس، وكتب إلى أبي دلف القاسم بن إدريس العجلي، وهلال بن عبد الله الحضرمي بالانضمام إليه، وخرج علي بن عيسى في شعبان سنة 195هـ810م ، وركب الأمين يشيعه ومعه القواد والجنود.

7- أبو العباس عبد الله المأمون: 197-218هـ (813-833م)

هو ابن هارون الرشيد من جارية فارسية تدعى مراجل[2]، بويع له بالخلافة وهو بخراسان في سنة 197هـ813م ، وبويع له البيعة العامة ببغداد في سنة 198هـ/814م ، وفي هذه الأثناء كان الفضل بن سهل يستبد بأمور الدولة ويديرها من مرو[3] التي كان ينوي اتخاذها داراً للخلافة، ويحول الإدارة المركزية من العراق العربي إلى خراسان الفارسية، ولكي ينفذ هذا المخطط الخطير؛ حجر على المأمون، ومنع أهل بيته وكبار قواده، من الدخول إليه إلا بإذنٍ منه، ثم أمر على لسان المأمون بتعيين أخيه الحسن بن سهل على إقليم العراق والحجاز

---

(1)هرثمة بن أعين (200هـ– 816م)، هو أمير من قادة الدولة العباسية الشجعان والنبلاء ، ولاه هارون الرشيد مصر سنة 178هـ، ثم وجهه إلى أفريقيا الطبري، تاريخ الرسل والممالك ،ج523/7

(2) مراجل الباذغيسية، توفيت في نفاسها به. ابن عساكر ، تاريخ مختصر دمشق و93/14.

(3) أحد أقاليم خراسان، وقاعدته مدينة (مرو)، التي أضحت في وقت ما عاصمة خراسان، وتدعى (مرو الكبرى) أو (مرو الشاهجان) أي مرو السلطانية، لكونها مقر الأمير الحاكم. يقال أن مؤسسها هو الملك السلوقي (أنطوخيوس الأول)، سنة (280 – 240 ق.م)، وقد جعلها مستعمرة يونانية، ثم استولى عليها الفرس. لها في التاريخ الإسلامي دور واسع كبير. فيها قتل يزد جرد آخر ملوك الفرس وسبيت له ابنتان حملتا إلى العراق ثم إلى المدينة، فتزوج إحداهن الحسين بن علي فولدت له عليا زين العابدين، وتزوج الثانية عبد الله بن عمر فولدت له سالما. ابن كثير ،البداية والنهاية ،316/2.

واليمن[1]، تمهيداً لجعل بلاد الشرق العربي ولايات تابعة لخراسان، وقد أثار هذا الوضع ثائرة العرب في بغداد وغيرها من الحواضر العربية، واستاء له العباسيون، فثار نصر بن شيث من بني عقيل بشمال حلب في أواخر سنة 198هـ (814م) وتغلب على من جاوره من البلاد، واستولى على سيساط من مدن الجزيرة، وانضم إليه حشد كبير من الأعراب، وكثرت جموعه،[2] فأمر الحسن بن سهل طاهر بن الحسين بالسير إلى الرقة لمحاربة نصر بن شيث المقبل في أوائل سنة 199هـ/815م .، بعد أن ولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب[3]، فزحف طاهر واشتبك مع نصر بنواحي كيسوم بالغرب من حلب في قتال شديد أبلى فيه نصر وأتباعه العرب بلاءً عظيماً، وارتد طاهر إلى الرقة شبه مهزوم، وترتب على ذلك ارتفاع شأن نصر ابن شبث بالجزيرة، فقد قوي من أمره وعلا شأنه، وتوافد عليه الأتباع والأنصار، ولم يرضَ ابن شبث أن يجعل من هذا النصر مكسباً شخصياً له، وإنما عبّر عن ثباته على المبدأ عندما أتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له: "قد وترت بني العباس رجالهم وأعلقت عنهم العرب، فلو بايعت لخليفة كان أقرب لأمرك" فقال: "من أي الناس؟" قالوا: "نبايع لبعض آل علي بن أبى طالب" فقال: "أبايع بعض أولاد السوداوات فيقول إنه هو خلقني ورزقني؟ قالوا: "فنبايع لبعض بني أمية" فقال: "أولئك قد أدبر أمرهم، والمدبر لا يقبل أبداً، ولو أسلم على رجل مدبر لأعداني إدباره، وإنما هو في بني

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص279.

(2)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج6/113-302

(3)المصدر السابق نفس الجزء والصفحات.

عباس، وإنما حاربتهم محاماة على العرب؛ لأنهم يقدمون عليهم العجم[1]، ولم يوفق المأمون في إخماد حركة شيث إلا في سنة 209هـ/824م عندما حاصره عبد الله بن طاهر بكيسوم وضيق عليه حتى طلب الأمان[2]، وكما عجز الحسن ابن سهل عن إخماد ثورة نصر ابن شيث العقيلي؛ أخفق في إخماد الفتن التي اشتعلت في العراق- وبالذات في البصرة والكوفة- حيث استغل العلويون هناك ضعف نفوذ الحسن بن سهل واستبداد الفضل بن سهل بالمأمون وأعلنوا ثورتهم عليه، ففي سنة 199هـ/814م . ظهر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بالكوفة، ودعا إلى الرضا من آل محمد، والعمل بالكتاب والسنّة، وهو المعروف بابن طباطبا، وقاد الثورة أبو السرايا السري بن منصور، القيم بأمره في الحرب، ونجح في إيقاع الهزيمة بالجيوش التي وجهها إليه الحسن بن سهل، واستولى على الكوفة، وعلى الرغم من وفاة محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة، فقد تولى مكانه محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي، وانتشر الطالبيون في البلاد[3]. وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة، وعاثت جيوشه بالبصرة وواسط ونواحيهما، فتغلب على البصرة والمدائن، ثم ولى عمالاً على مكة واليمن والأهواز والبصرة والمدائن،

---

(1)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج308/6.

(2) المصدر السابق، ج388/6.

(3) وثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي، ووثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي، وزيد بن موسى بن محمد بن علي بن الحسين المعروف بزيد النار لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين، وظهر في اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي، وفي مكة محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الذي دعت إليه السبطية من فرق الشيعة وقامت بإمامته (المسعودي،مروج الذهب، ج3/ ص439؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج2/ص445).

واستفحل خطر حركة أبي السرايا، واستعصى على الحسن بن سهل قمعها، فاستنجد بالقائد هرثمة بن أعين، الذي تمكن من هزيمة أبي السرايا وحمله على الفرار من الكوفة في سنة 200هـ /815م إلى القادسية، ومضى من هناك إلى خوزستان، وانتهى به الأمر إلى الوقوع في يد الحسن بن سهل الذي قتله وبعث برأسه إلى المأمون(1). وفي الوقت نفسه ، كانت الثورات تجتاح سائر أقاليم الدولة العباسية، لا سيما في الحجاز واليمن ومصر والشام(2)، ويرجع سبب هذه الثورات إلى تغلب الفضل بن سهل على المأمون "وأنه أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته وقواده، وأنه يستبد بالأمر دونه، فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس، واجترأوا على الحسن ابن سهل وهاجت الفتن في الأمصار"(3).

وفي خضم هذه الأحداث الخطيرة كان الفضل بن سهل يتحكم في أمور الدولة في مرو فلُقب بالوزير الأمير، كما لُقب أيضاً بلقب ذي الرياستين لجمعه بين السيف والقلم(4)، ولإصلاح الأمور كان لا بد للخليفة المأمون من أن يطلعه رجل عربي غيور على حقائق الأمور التي كانت تخفى عليه بسبب الحصار المحكم الذي فرضه الفضل بن سهل على بلاطه، وتمثل هذا الشخص الغيور في شخصية هرثمة بن أعين القائد العربي، الذي قرر السير إلى مرو ليبصر الخليفة بالمؤامرات التي يدبرها بنو سهل وصنائعهم الفرس، وفطن ابن سهل إلى نوايا هرثمة، فاستصدر أمراً من الخليفة بتوليته الشام والحجاز حتى يبعده عن

---

(1) المسعودي ،مروج الذهب، ج3 /440؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج6 /309.

(2)اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج446/2 وما يليها.

(3) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج6/ 302.

(4)المصدر السابق ، ج289/6.

خراسان ويحول بينه وبين الاتصال بالمأمون، ولكن هرثمة رفض تنفيذ هذا الأمر، وواصل سيره إلى مرو قائلاً: "لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين إدلالاً منه عليه، ولما يعرف من نصيحته له ولآبائه، وأراد إعلام المأمون بما يدبره الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الأخبار، وأنه لا يدعه حتى يرده إلى بغداد ليتوسط سلطانه[1]، وبلغت هذه الكلمات مسامع الفضل، فأوهم المأمون بأن هرثمة هو الذي أثار عليه البلاد، وهو الذي دس أبا السرايا، وأنه خالف أمر أمير المؤمنين عندما قلده ولاية الشام والحجاز، وحث الفضل الخليفة على تأديبه حتى يكون عبرة لمن لغيره، وقد نجح الفضل في تغيير قلب المأمون على هرثمة، فلما وصل هرثمة مرو، أمر الفضل بالطبول فدقت لكي يسمعها المأمون، فسأل المأمون عنها، فقالوا له: "هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق"[2]، وفي الوقت نفسه ظن هرثمة أن قرع الطبول يعني قبول قوله، فأمر المأمون بإدخاله، ثم وجه إليه تهمة تأليب أبي السرايا وأهل الكوفة العلويين عليه، ولم يقبل منه أي عذر أو اعتراض فأمر به فدس بطنه، وضرب أنفه، وحبسه، أما الفضل فقد أمر أعوانه بالتشديد عليه وتعذيبه[3]، وأقام هرثمة أياماً في سجنه ثم توفي مقتولاً، وثار أهل بغداد على الحسن بن سهل، وطردوا عماله من بغداد، كما أُخرج علي ابن هشام من بغداد من قبل الحسن بن سهل، وأرادوا مبايعة المنصور بن المهدي العباسي بالخلافة، فامتنع عن ذلك، ثم عرضوا عليه الإمارة عليهم على

---

(1)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ج315/6.

(2)المصدر السابق ،ج317/6.

(3) المصدر نفسه ، ج315/6.

أن يدعو المأمون بالخلافة، فأجابهم إليه[1] في سنة 201هـ عندما أصروا على ذلك قائلين: "لا ترضى بالمجوس بن المجوس الحسن ابن سهل"[2]، وتضامن أهل بغداد على إصلاح ما فسد من أحوال الأمن ووضع حد لجرائم الشطار وقطاع الطرق والعابثين في بغداد نفسها، وعُرف هؤلاء الذين تجردوا لذلك بالمقطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة، ووجد الفضل بن سهل– بعد أن تخلص من هرثمة– الطريق أمامه مهيئ لنقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، فما زال يزين الأمر المأمون لتنفيذ هذه الخطوة، وينفره من آلة العباسيين الذين خرجوا عليه في بغداد، مستغلاً في ذلك ما كان يتحلى به المأمون من مرونة تجاه العلويين، حتى أقنعه باختيار الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ولياً لعهده في سنة 201عه/816م .[3]،وكان الواقع الامني يتحتم على المأمون باختياره من بني العباس ، فلم يجد أحداً أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، فاستقدمه المأمون إلى مرو، وأنزله أحسن إنزال، ثم بايع له بولاية العهد، ولقبه الرضى من آل محمد ﷺ، وأمر جنده بطرح السواد من الثياب والأعلام وارتداء الثياب الخضر في رمضان سنة 201هـ/816م ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، ثم زوجه من ابنته أم حبيب، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا من ابنته أم الفضل[4].

---

(1)المصدر نفسه ،ج 321/6.

(2) المصدر نفسه، ج323/6.

(3)فوزي ،سياسة المأمون تجاه العلويين، ص278–298.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج3 /441؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص199.

ويرى الباحث على ما يبدو أن الإمام علي الرضا قد أطلع المأمون على حقيقة الأوضاع، وأطلعه على سوء الحال من الفتن والحروب والثورات التي استمرت منذ قتل الأمين.

والدليل على ذلك ما اورده ابن الاثير في الكامل في التاريخ على الفضل بن سهل يستره عنه من أخبار[1]. وهكذا تظاهر المأمون وعلي الرضا برضائهما عن تحويل الخلافة إلى العلويين، حتى لا يثيرا ريبة الفضل بن سهل، ولكن أهل بغداد رفضوا خروج الخلافة من ولد العباس، وظنوا أن تحويلها إلى العلويين حلقة في مؤامرة خططها الفضل بن سهل[2]، وكانوا قد استاؤوا من منصور بن المهدي لاعتماده على الشطار من بطانته، فبايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة، ولقبوه المبارك، وخلعوا المأمون في غرة محرم لسنة 202هـ/817م .، وبايعه سائر بني هاشم، فاستولى إبراهيم على الكوفة والسواد كله–أي ارض العراق–، واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى الهادي، وعلى الجانب الشرقي منها إسحاق بن موسى الهادي، [3] وعزم المأمون على السير إلى العراق، فتحرك إلى سرخس، وهناك اغتيل الفضل بن سهل في حمامه، وقيل: في حمام دار المأمون في 2 من شعبان، فاستعظم المأمون ذلك، وأمر

---

(1) ج6/ 346. كذلك أبلغه أن الفضل بن سهل كذب عليه وأن الناس سينقمون على المأمون مكان الفضل ومكان أخيه الحسن ومكان الإمام علي الرضا، واستحضر الإمام علي الرضا عدداً من الشهود فأخبروه بأن أهل بغداد بايعوا لإبراهيم ابن المهدي وأنهم سموه الخليفة السني على أساس اتباعهم للمأمون بالرفض، ثم اطلعوه على أكاذيب الفضل فيما يتعلق بهرثمة بن أعين، وطالبوا المأمون بالخروج إلى بغداد (ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج6/ 347).

(2)المصدر السابق ، ج326/6.

(3) كان يعرف بابن شكلة (المسعودي، مروج الذهب، ج441/3).

بقتل قتلته، ويرى الباحث : إنه هو الذي أمر بقتل الفضل ابن سهل، وذلك أنه لما رأى إنكار أهل بغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بني علي؛ وأنهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل، ورأى الفتنة قائمة ،دس جماعة على الفضل فقتلوه في الحمام .

أخذهم وقدمهم ليضرب رقابهم، فقالوا له: "أنت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا!؟ فقال: أنا أقتلكم بإقراركم، وأما ما ادعيتموه على من أني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة"[1].

وفي مدينة طوس توفي الإمام علي الرضا فجأة في صفر سنة 203هـ/818م ، بسبب تناوله العنب ،ويرى المسعودي وابن الاثير بأن : العنب مسموم فصلَّى عليه المأمون، ودفنه عند قبر أبيه الرشيد، ثم جد المأمون في السير إلى بغداد، فلما علم إبراهيم بن المهدي بقرب وصوله فر من بغداد في الثاني من ذي الحجة سنة 203هـ/818م ، ووصل المأمون إلى بغداد، فنزل الرصافة، ثم تحول ونزل قصره على شاطئ دجلة، وكان قد استقدم معه طاهر ابن الحسين من الرقة ليوافيه بالنهروان، ويصحبه إلى بغداد، ولما استقر في بغداد تلقاه العباسيون، وسألوه أن يترك لباس الخضرة ويأمر بالعودة إلى السواد، فأجابهم إلى ذلك في 23 صفر سنة 204هـ/819م[2]..

أما إبراهيم بن المهدي فقد أمر المأمون بالبحث عنه، فظفر به سنة 210هـ/825م . وكان متنكراً في زي امرأة، فعفا المأمونُ عنه، وأما الحسن بن

---

(1) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص199 وما يليها.

(2)مروج الذهب، ج3 /441؛ الكامل في التاريخ، ج6/ 351.

سهل فقد عزله عن ولاية العراق، و استوزره جبراً لمصابه بعد قتل أخيه، وتزوج بابنته بروان في رمضان سنة 210هـ/825م .، أما طاهر بن الحسين فقد ولاه المأمون على خراسان في سنة 205هـ/820م ، بينما ولى ابنه عبد الله بن طاهر على الجزيرة والشام ومصر، وتوفي طاهر في جُمادى الأولى سنة 207هـ/822م .[1]، وقيل: إنه كان ينوي الاستقلال بخراسان، وقطع اسم المأمون في الخطبة، ولكن الموت فاجأه، فقد ذكر ابن الأثير أن كلثوم بن ثابت بن أبي سعيد، القائم بالبريد في خراسان قال: "فلما كان سنة سبع ومائتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر، فخطب، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له، وقال: اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك، واكفنا مؤونة من بغى علينا وحشد فيها، بلم الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين"[2].

وكان المأمون يحب لعب الشطرنج، ويولع به، وكان يبرر ذلك هذا يشحذ الذهن [3].

وكان المأمون يشترك في المناظرات في الفقه، فأوجد مجالس المناظرة، وكان يجلس لذلك يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكانت المناظرات تتناول المسائل الكلامية، وتجرى داخل غرفة مفروشة، وجرت العادة أن يبدأ المأمون مع من يناظره من الفقهاء بتناول الطعام والشراب، فإذا فرغوا بخروا بالمجامر وطيبوا، ثم يبدأ في مناظرتهم إلى أن تغرب الشمس، ثم تنصب الموائد ثانية فيطعمون

---

(1) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص197؛ السيوطي ،تاريخ الخلفاء ص284.

(2)الكامل في التاريخ ،ج6/ 382.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص300.

وينصرفون[1]، ويرى الباحث : على أن المأمون كان أفضل رجال بني العباس حزماً وعزماً وحِلماً ورأياً ودهاءً وهيبة وشجاعة، وأنه لم يلِ الخلافة من بني العباس أعلم منه.

8- أبو إسحاق محمد المعتصم[2]: 218-227هـ (833-842م)

هو ابن الرشيد من مرادة أم ولده ،التركية، بويع له بعد وفاة أخيه المأمون وهو في غزوته الأخيرة إلى بلاد البيزنطيين في رجب سنة 218هـ، وقد سار المعتصم على سياسة أخيه في حمل الناس على القول بخلق القرآن، فأهان ابن حنبل إهانة بالغة، فقد أحضره أول خلافته وامتحنه بالقرآن، فلم يجب إلى القول بخلقه، فأمر به فجلد جلداً شديداً حتى غشي عليه، وتقطع جلده، وحبس مقيداً[3] كذلك تشدد المعتصم مع العلويين، فتخلص من الإمام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى في الخامس من ذي الحجة سنة 219هـ/834م ، فقد قيل: إن أم الفضل بنت المأمون سمته لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم[4]، كذلك قبض على محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين العلوي، فسجنه في أزج اتخذه في بستان بمدينة سر من رأى (سامراء)، ثم دس إليه السم فمات[5]، واعتقد فريق من الزيدية أنه لم يمت، وأنه مهدي هذه الأمة[6].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج3/ ص432؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص303.

(2)انظر ملحق رقم (4)ص234.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج445/6.

(4) المسعودي، مروج الذهب ج3/ 464.

(5) المصدر السابق ج3/ 464

(6) المصدر نفسه ج3/ 464.

وكان المعتصم شجاعاً قوياً من أشد الناس بطشاً[1]، وكان قائداً موفقاً في حروبه، لقد استحق لقب الخليفة القائد، وهو أول من أدخل الأتراك في الديوان، وكان يتشبه بملوك الأعاجم، ويمشي مشيتهم[2]، واعتمد المعتصم على الأتراك اعتماداً كلياً في الجيش[3]، وأسقط العرب من ديوان العطاء، وأهمل الفرس، فقويت شوكة الأتراك، وارتكبوا الكثير من أعمال الشغب ببغداد، مما أثار عليهم العامة[4]، فاضطر المعتصم إلى تأسيس مدينة تتسع لجنده الأتراك، فأسس مدينة سامراء في سنة 221هـ/835م ، وانتهى من بنائها سنة 223هـ/837م .، وأقام فيها مسجداً جامعاً، وأفرد سوقاً لأرباب الحرف والصناعات، ونقل إليها الأشجار والثمار، وأقام القصور العظيمة التي بلغ عددها سبعة عشر قصراً [5].

وفي عهد المعتصم ازداد خطر بابك الخرمي الذي لاذ بالأقاليم الجبلية الشمالية الشرقية منذ سنة 221هـ/835م .، ولكن المعتصم وضع كل إمكاناته العسكرية للقضاء عليه، وعهد بهذه المهمة إلى قائده الأفشين الذي نجح في

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج3/ 460؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص310.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص315.

(3) ذكر المسعودي أنه كان يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة، وميزهم في الزي عن سائر جنوده، وكان قد اصطنع قوماً من حوف مصر فسماهم المغاربة، واستكثر من الفراغنة والأشروسية (المسعودي، مروج الذهب ج3/ 465.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج466/3.

(5) المصدر نفسه، ج465/3.

القبض عليه، وسيره إلى الخليفة بسامراء، حيث قتل شر قتلة في سنة 222هـ/836م[1].

والمعتصم هو بطل عمورية، ففي عهده ساءت العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية، وكان الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميشيل العموري يعين بابك الخرمي بمعونات عسكرية انتقاماً لما فعله العباسيون زمن المأمون من مساعدتهم لتوماس الصقلي، فقد أغار البيزنطيون في سنة 223هـ/837م على مدينة زبطرة وفتحوها بالسيف، ثم أغاروا على ملطية وقتلوا ونهبوا وسبوا، فاستنفر المعتصم قواته، وسار على رأس جيش ضخم يقوده الأفشين وأشناس، وتمكن من هزيمة الإمبراطور البيزنطي في أنقرة، ثم حاصر عمورية ودخلها بالسيف، وتركها أربعة أيام نهباً للسلب والتدمير، وأراد المسير إلى القسطنطينية ومحاصرتها براً وبحراً، فبلغه عزم العباس بن المأمون على الخروج عليه ومكاتبة الإمبراطور البيزنطي، فعجل المعتصم في مسيره، وقبض على العباس وأنصاره، وفي نبج منع عنه الماء فمات فيها[2].

9- الواثق بالله: 227-232هـ (842-847م)

هو أبو جعفر الواثق بالله هارون بن المعتصم، وأمُّه أم ولد رومية اسمها قراطيس، وكان الواثق يشارك أباه المعتصم في ميوله وآرائه الفلسفية، فتشدد مع الفقهاء، وألزمهم باعتناق آرائه، وانتصر للمعتزلة، وقد أثار بهذه السياسة مشاعر أهل بغداد، فسخطوا عليه، وأنكروا القول بخلق القرآن، وتزعم هذه الحركة أحمد

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج474/2؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3 /470؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6/ ص478.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2/ 476؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج491/6-492.

ابن نصر الخزاعي سنة 231هـ، ولكن الواثق توصل إلى القبض على زعماء الحركة بقيادة أحمد بن نصر الخزاعي في سنة 231هـ/746م ، وجلس إليهم مجلساً عاماً فيه أحمد بن أبى دؤاد قاضي القضاة، وناظر أحمد بن نصر في مشكلة القول بخلق القرآن الكريم، فأنكر عليه بأن نصر ذلك، فقام إلى سيف يقال له الصمصامة وضربه على رقبته ثم طعنه بطرف سيفه في بطنه، وأمر بصلب رأسه عند باب الخرمي ببغداد. وبوفاة الواثق في سنة 232هـ/847م ينتهي خلفاء العصر العباسي الأول[1].

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7 /22؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص315.

الفصل الثاني

مصادر جمع المعلومات في الخلافة العباسية

(العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ)

الفصل الثاني

مصادر جمع المعلومات في الخلافة العباسية

لم تختلف الطريقة التي اتبعها العباسيون في تنفيذ المهمات الاستخبارية في هذا العصر عن الذي سبقهم في العصر الأموي، إلا من حالة التطور في هذا الجانب؛ إذ استدعته الظروف السياسية والعسكرية والاجتماعية الجديدة، فقد سلك خلفاء بني العباس الأوائل الطريقة نفسها التي اتبعها الخلفاء الأمويون، فكانت لهم عيون على هيئة تجارٍ ومَوَالٍ وعبيدٍ وموظفينَ في الدولة، مهمتهم جمع المعلومات والأخبار [1].

ويظهر من خلال بعض الروايات أن الخلفاء العباسين قد أولوا الأشخاص القائمين بالمهمات الاستخبارية اهتمامهم، فكانوا ينتقونهم بعناية من الرجال أو النساء الذين يتصفون بالفطنة والذكاء والدهاء وكتم الأسرار، ويتضح هذا من كلام الخليفة العباسي المأمون؛ عندما قال: "نغفر كل شيءٍ إلا القدح في الملك وإفشاء السر.."[2]، فسرية المعلومات كان يحرص عليها من قبل الخلفاء وغيرهم لئلا تتسرب، فيستفيد منها من يرى أنها لصالحه.

المنظومة الأمنية لدعوة الخلافة العباسية

قامت الدولة العباسية على إثر دعاية واسعة النطاق، دامت حوالي ثلث قرن تقريباً، فضمت إلى صفوفها كل معارضي الأمويين، وأول دعاية قامت في الدولة الإسلامية هي الدعاية العباسية، التي نظمت تنظيماً دقيقاً تحت شعار "الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم"

---

(1) الأصفهاني ،الأغاني ج223/2.

(2)المصدر السابق ج210/2، ج305/6.

وتمكنت في النهاية من أن تؤدي الغرض المقصود منها وهو إسقاط الخلافة الأموية وإقامة الخلافة العباسية.

وبعد استتباب الأمر لمحمد بن علي؛ طلب من أتباعه الجدد التعاون والحذر في التنظيم السياسي، والتبصر للمكروه، ثم جاءه سلمة بن بحير من دمشق فتعاهد مع معه على التعاون، وذكر له وجود أتباع آخرين في الكوفة قائلاً له: "إني غرست لكم غرساً لا تختلف ثمرته، استجاب لي عدد من رهطي وجبرتي وخلطائي، ليسوا من ترى في محبتكم و المناصحة لكم، ونحن نشخص في أمرك، وقد رأيت أن تثبت أسماءهم لتعرفهم وتستظهر بهم على أمرك"(1).

ثم أملى أسماءهم، فكان هذا السجل الذي حوى أسماء أتباع العباسيين، وكان عدد الأتباع تسعة أو ثلاثة عشر – على اختلاف الروايات – من بينهم بكير من ماهان وأبو سلمة الخلال، وموسى بن سريج السراج، وزياد بن درهم الهمداني(2).

وقد حرص العباسيون على إخفاء رغبتهم بالخلافة، فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين؛ بل تحت شعار "الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم"(3)، وسموا أنفسهم الهاشميين، وهي كلمة عامة في مدلولها، وكيفما كان الأمر فالمهم هنا أن محمداً بن علي بن عبد الله هو العباسي الحقيقي الذي سعى لنيل الخلافة، ومن مقره بالحميمة أخذ يدير التنظيم السياسي، أو الدعاية بشكل سري ودقيق، ويرسل الدعاة والنقباء إلى مختلف الجهات، وقد اقتصرت الدعوة في بداية الأمر على الكوفة حتى مرت سنة 100هـ / 718م، ولم يتجاوز عدد المنضمين للتنظيم السياسي الثلاثين فرداً(4).

---

(1) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص190-191.

(2)عبد المنعم، محاضرات في التاريخ العباسي، ص 1-2.

(3) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص194.

(4) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي ص 23.

وقد تبين للدعاة أن الكوفة ليست مكاناً مناسباً لنشر دعاية العباسيين لقربها من دمشق مركز الخلافة الأموية، وقد ناقش الدعاة الوضع سنة 99-100هـ/ 717-718م، واتفقوا على اقتراح جديد لنشر الدعاية العباسية، فقسم اقترح أن تكون بلاد الشام مسرحاً لنشر التنظيم السياسي للعباسيين، أما بكير بن ماهان فقد أكد على منطقة خراسان، وفي سنة 100-101هـ/718-719م أرسل الدعاة بكير بن ماهان إلى محمد بن علي ليسلم له 190 ديناراً جمعها الأتباع في الكوفة، ثم ليسترشدو برأي الإمام بعد وفاة ميسرة النبال دون وارث، فتوجه بكير إلى الحميمة، وعرض عليه وجهة نظره في نشر التنظيم العباسي في خراسان، وأن المجال هناك مفتوح لنشرها، مع وجود الإمكانات المتعددة لنجاحها هنالك، فوافق محمد بن علي وسمح لبكير بالذهاب إلى السند في حاجاته، وأن يختبر الوضع في المشرق في طريقه، فعاد بكير إلى الكوفة، ونقل إلى الدعاة تعليمات الإمام، ثم سافر إلى خراسان في طريقه إلى سند[(1)]، وأمضى شهراً في جرجان وشهرين في مرو محاولاً نشر التنظيم السياسي، وقد نجح في ذلك وحصل على بعض الأتباع البارزين أغلبهم من العرب سنة 101هـ/ 719م، ومنهم سليمان بن كثير الخزاعي ويزيد بن النهيد وأبو عبيدة بن زريق[(2)].

واستطاع سليمان بن كثير الخزاعي أن يَكسب إلى صفوف التنظيم السياسي – لكونه منهم – من وجوه قبيلة خزاعة في خراسان أتباعاً، منهم: مالك بن الهيثم، وعمرو بن أعين، وزياد بن صالح، وطلحة بن زريق، وخالد بن إبراهيم[(3)].

وأخذ هؤلاء بدورهم يكسبون الناس إلى جانب العباسيين، ونتيجة لهذه الجهود أرسل محمد بن علي سنة 102هـ/720م أبا عكرمة زياد بن درهم للاتصال بالأشخاص الذين

(1) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص194-195، 200-201.

(2) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي ص 25.

(3)المصدر السابق ص28.

استمالهم بكير لغرض الاستمرار بالدعاية وقال له: "إنه محرّم عليكم أن تشهروا سيفاً على عدوكم، كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم" [1]. ولهذا فقد سُمّى أنصار العباسيين بالكفية، حتى إعلان الثورة العباسية في خراسان.

الإجراءات الأمنية لحفظ الدعوة العباسية

ويبدو أن الدعاة العباسيين قد التزموا بتوصيات الإمام العباسي محمد بن علي؛ إذ أكد بتوصياته أهمية منطقة خراسان لتكون مسرحاً لتنظيم العباسيين السياسي فقال لهم: عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهم جند لهم أبدان وأجسام وبعد، فإني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق [2] و يرى الباحث أنه هنا لا بد من التأكيد على بدء الدعاية العباسية، وخاصة الفترة الأولى في الكوفة ، فكون الدعاية سرية تامة؛ أضفى الكثير من الكتمان، وعدم الوضوح على أخبارها الأولى؛ ولذا نجد أن مصادرنا التاريخية لا تذكر إلا اليسير من الأخبار عنها قبل سنة 100هـ / 718م، وما تذكره لا يعطي صورة واضحة لسير الدعاية ونشاط الدعاة ، إلا ما كان بارزاً من أحداث، ولما استقر الحكم للعباسيين لم يكن من مصلحتهم كشف الستار عن تنظيمهم وعن سير رجالهم ودعاتهم المشرفين على التنظيم.

ويذكر الطبري في حوادث سنة 107هـ/ 725م أن الإمام محمد بن علي وجَّه عدداً من الدعاة من بينهم عمار العبادي؛ فوشى بهم رجلٌ من كندة إلى الوالي الأموي أسد بن عبد الله القسري، فقتل أسد أصحابه، ثم قبض عليه أسد سنة 108هـ / 726م فقتله [3].

وكان الدعاة يبلغون أخبارهم إلى مسؤول التنظيم في الكوفة، وهذا بدوره يبلغها إلى الإمام محمد بن علي في الحميمة، ويعود السبب لاهتمام العباسيين بمدينة الكوفة مركزاً لدعاتهم ومقراً

(1) رشاد : محاضرات (ص2-3.)

(2) ابن الفقيه، البلدان، ص315؛ مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص 206-207.

(3)تاريخ الرسل والممالك ج7/40، 43

لكبير دعاتهم؛ إلى مركزها المهم في المواصلات، وقد كان الدعاة في بعض الأحيان يكشف أمرهم فيعذبون أو يقتلون، ولا سيما في ولاية أسد بن عبد الله القسري، الذي لقي دعاة العباسيين على يدية محنه كبرى، ولم تنته الا بعد وفاته سنة 120هـ/ 737 م [1] .

وفي هذه الأثناء أمر الإمام إبراهيم[2] بالاهتمام بالتنظيم السياسي في خراسان اهتماماً دقيقاً حتمته ظروف التنظيم، فيجب والحالة هذه الاهتمام بالتدقيق فيمن ينضم إليه خوفاً من الوشاية، والحذر من أن يدخله ذو أطماع شخصية [3]، كل هذا من أجل الحفاظ على سرية الدعاية، وقد اقترح تعيين اثني عشر نقيباً للإشراف على الدعاية والتأكد ممن ينتمي إليها، وكل هؤلاء النقباء لمدينة مرو، ويرى الباحث :على إنه يوجد دلالة أكيدة على أهمية هذه المدينة في التنظيم، أما في سائر الكور، فلكل داعية هو النقيب نفسه، وله أن يختار أمناء لنفسه من أهلها.

كما تم تعيين نظراء النقباء أو نوابهم، لكي يخلفوهم في حال حدوث أمر ما بالنسبة لهم[4]، ويبدو أن الاثني عشر نقيباً كونوا مجلساً مركزياً للإشراف على أمور التنظيم السياسي، وكان سليمان بن كثير الخزاعي من الشخصيات البارزة في مرو ممثلاً أولاً ورئيساً للتنظيم في مرو، وقد كان لهذا الترتيب أثر كبير في تقوية مركز التنظيم والإسراع به نحو النجاح، وفي سنة 125هـ/ 742م توفي محمد بن علي بالحميمة فخلفه ابنه إبراهيم، الذي عرف بإبراهيم الإمام[5].

في هذه الأثناء اتصل بالإمام إبراهيم شاب لم يتجاوز سنه (21) سنة، اسمه عبد الرحمن وكنيته أبو مسلم، وهو الذي أرسله إبراهيم الإمام إلى خراسان لكي يكون ممثلاً للإمام؛

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج10/7 ، 141.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 38/5.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج49/7 -50.

(4) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص215 .

(5) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج198/7 -199، 294 -295 .

لأن سليمان بن كثير الخزاعي رفض استلام مهمة رئاسة التنظيم، وطلب من الإمام إبراهيم أن يرسل أحد أبناء البيت العباسي[1].

وقد واجه تعيين أبى مسلم معارضة سليمان بن كثير الخزاعي، لأنه وجد في تعيينه مفارقة وخيبة للآمال، وبعد ذلك الجهد الذي بذله من أجل التنظيم السياسي وقد عبر عن هذا قائلاً: "صلينا بمكروه هذا الأمر، واستشعرنا الخوف واكتحلنا السهر، حتى قطعت به الأيدي والأرجل، وبريت فيه الألسن حزاً بالشفار، وسلمت الأعين وابتلينا بأنواع المثلات، وكان الضرب والحبس في السجون من أيسر ما نزل بنا، فلما تنسمنا روح الحياة وانفسخت أبصارنا وأينعت ثمار غراسنا طرأ علينا هذا المجهول الذي لا يدري أية بيضة تفلقت عن رأسه ولا من أي عش درج، والله لقد عرفت الدعوة من قبل أن يخلق هذا في بطن أمه[2].

وقد جرت في مكة المكرمة أثناء موسم الحج مناقشه الإمام إبراهيم في السبب الذي جعله يرسل أبا مسلم رئيساً عليهم، ولا سيما أن سليمان بن كثير كان قد طلب من الإمام إرسال ممثل عنه من آل البيت، غير أن الأمر الواقع فرض أخيراً ، فاضطر سليمان إلى قبوله خوفاً على التنظيم السياسي من التصدع والانشقاق، وقد تخوف سليمان بن كثير من هذا التعيين، فلم يقبله، وتخوف ألا يقوى على أمرهم، وخاف على نفسه وأصحابه.

وقد أوصى الإمام إبراهيم أبا مسلم بطاعة سليمان بن كثير فلا يعصي له أمراً [3]، نقل الطبري في ذلك: "ولا تخالف هذا الشيخ – يعني سليمان بن كثير– ولا تعصه، وإذا أشكل

(1) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص270 – 271، فوزي، طبيعة الدعوة العباسية ص 170.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج360/7.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج348/5.

عليك فاكتف به مني"[1]، وقال: "فلا تعصين لسليمان أمراً وقدمه في جميع ما تتدبرون" [2]، وقد قال أبو مسلم لسليمان ابن كثير: "أحسن بي الظن فلأنا أطوع لك من يمينك"[3].

وعندما أسندت قيادة التنظيم السياسي للعباسيين في خراسان إلى أبى مسلم أوصاه الإمام إبراهيم بضرورة التأكيد على العرب في نشر تنظيم العباسيين السياسي وتوسيعه، ومما جاء في وصية الإمام إبراهيم لأبى مسلم: يا عبد الرحمن، انظر إلى هذا الحي من اليمن فألزمهم، واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم[4]، وفي رسالة أخرى يقول:" وإذا قدمت مرو فاحلل في أهل اليمن، وتآلف ربيعة وتوق مضر، وخذ نصيبك من ثقافتهم"[5].

كما حذر الإمام إبراهيم أنصار العباسيين عبر رسائل مختلفة، وأوصاهم بعدم الاشتراك في أية حركة مهما كانت؛ لأن الوقت لم يحن، وعندما أعلن زيد بن علي تمرده في الكوفة لم ينضم إليها العباسيون[6].

ونتيجة لجهود الدعاة العباسيين؛ أخذت الدعوة العباسية تنتشر بشكل واسع، ولأجل هذا ناقش مجلس النقباء خطبة إعلان الثورة وتسمية المدينة التي يمكن أن تصلح لتفجيرها، وتم طرح آراء عديدة بهذا الشأن، فقال قسم منهم: إن أفضل مكان للثورة هو منطقة خوارزم، فإنها بلاد منقطعة عن نصر بن سيار، فإلى أن يرسل إلينا عسكره يكون قد تسامع بنا إخواننا فيأتونا ويكثر جمعنا، فنقوى على من يأتينا، واقترح قسم آخر من النقباء مرو الروذ؛ لأنها متوسطة بين مرو وبلخ، ثم اقترح آخرون مرو الشاهجان، "لأن فيها خلقاً كثيراً من إخواننا، وفيها السلطان قد وهن

---

(1)تاريخ الرسل والممالك ج 360/7.

(2) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص272.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج344/7، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج348/5.

(4) المصدر السابق ج49/7.

(5) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص230 –232.

(6)المصدر السابق ص273.

أمره... ومتى يقوى أمرنا فيها يقوى في غيرها [1]، وقد أيد هذا الرأي سليمان بن كثير الخزاعي قائلاً: "إن قوتنا فيها أعظم، وعدونا أضعف [2]، وقد وافقه أبو منصور طلحة بن زريق، وهكذا اتفق على أن تكون مرو هي مكان الثورة المفضل، فأرسل الدعاة من يخبر أتباعهم للتجمع والالتقاء في مرو في الوقت المحدد، وهو اليوم الأول من عيد الفطر سنة 129هـ، 746م[3].

وأمر أبو مسلم الناسَ بالتجمع في قرية (سفيذنج)[4] قرية سليمان الخزاعي، وكان الإمام إبراهيم قد أرسل لهم اللواء الظل، – أي: بقاء ظل التنظيم في الأرض– والراية السحاب، – أي: عالمية التنظيم– مع رسالة جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأنهُمْ ظُلِمُوا وَأن اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"[5].

ثم انتقل أبو مسلم أواخر سنة 129هـ/746م إلى قرية ماخوان [6]، ولمّا حل عيد الفطر؛ أمر أبو مسلم سليمانَ بن كثير أن يصلي به وبالأتباع، ونصب له منبراً في المعسكر، وأمره أن يبدأ الصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، حسب تعليمات الإمام، وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة والأذان، ثم الصلاة بالإقامة كصلاة يوم الجمعة، لكي يبدل ما كان شائعاً عند الأمويين، ولكي يظهر الفكرة الإسلامية بالرجوع إلى السنة الأصلية، حتى يقضي على بدعة الأمويين بوضع الخطبة قبل الصلاة [7].

---

(1)مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ،ص273.

(2)فوزي، طبيعة الدولة العباسية ص171 .

(3)مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص272–273.

(4)أن سيفذنج: قرية تبعد عن مرو بأربعة فراسخ . الحموي ،معجم البلدان ج298/3.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج358/5.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج353/7–356.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 359/5.

وأرسل أبو مسلم رسالة إلى نصر بن سيار، بدأ بها بنفسه محذراً ومنذراً، وداعياً له بأن يطيعه بالدخول في أمره، فكان جواب نصر أن وجه إلى أبي مسلم جيشاً بقيادة مولى له اسمه يزيد، احتقاراً لأمر أبي مسلم، وإشعاراً له بأنه لا يصلح لقتاله إلا مولى، وكانت نتيجة المعركة انتصار أبى مسلم، وأسر يزيد بعد أن جرح، فأمر أبو مسلم بمداواته حتى يشفى، ثم خيره في أن يدخل في طاعته، أو أن يرجع إلى نصر بن سيار، فحبذ الرجوع إلى نصر، فاشترط عليه أبو مسلم أن يعطي عهد الله وميثاقه ألا يحاربهم، ولا يكذب عليهم، وأن يقول ما رأى من صلاحهم وتمسكهم بالدين والصلاة ، فجاء يزيد إلى نصر بن سيار بما فعله أبو مسلم، ولربما اتخذه أبو مسلم دعاية له ولأمره؛ لأنه قائد جيش ويصدقه الناس فقال له نصر: "لا مرحباً بك، والله ما ظننت استبقاك القوم إلا ليتخذونك حجة علينا، فقال يزيد: والله هو ما ظننت، وقد استحلفوني ألا أكذب عليهم، وأنا أقول: إنهم يصلون الصلاة لمواقيتها بأذان وإقامة، ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله كثيراً، ويدعون للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أحسب أمرهم إلا سيعلو، ولولا أنك مولاي أعتقتني من الرق ما رجعت إليك ولا قمت معهم [1].

ويرى الباحث مما تقدم أن أبا مسلم حاول جهد الإمكان أن يفند مزاعم خصومة الأمويين من أن حركته هي ضد الدين الإسلامي، وأن أتباعه غير متمسكين بشعائر الدين الإسلامي وخارجين عليه.

وقد اتخذت الثورة العباسية اللون الأسود شعاراً لها، فقد أعلن الإمام إبراهيم هذا اللون، "فأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد [2] وفي مناسبة أخرى عبّر الإمام إبراهيم عن أهمية السواد فقال:

---

(1)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 360/5.

(2)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج 353/7.

والسواد يا أبا هاشم لباسنا ولباس أنصارنا، وفيه عزنا، وهو جند أيدنا الله به، فعليكم بالسواد فليكن لباسكم [1].

أما سبب اختيار اللون الأسود شعاراً للعباسيين؛ فيُروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت له راية سوداء من صوف أسود مربعة، رسم فيها هلالاً أبيض تدعى العقاب، وكان يحملها في حروبه مع الكفار [2]، والعرب تسمي الراية العقاب، وكان قداح عبد المطلب حين تخاصم مع قريش على الكنز الذي وجده عند حفر بئر زمزم كان أسود[3]، ولربما هذا الذي جعل بني هاشم يتيمنون بالسواد، وقد أمر إبراهيم الإمام أتباعه بالتوجه صوب خراسان، واتخاذ السواد لباساً وتسود الرايات، ويبدو أن هذا اللون – أيضاً– قد اتخذ بالضد من شعار الأمويين، وهو البياض [4].

لقد ثبت أن التنظيم العقدي في فترة التحضير للثورة العباسية ينم عن عبقرية فذة في الإعداد والترتيب؛ إذ وضع العباسيون الأوائل نهجاً في التنظيم السري، أضحي مثالاً يحتذى طبقته بعض الدول التي قامت في كنف الخلافة العباسية، كالفاطميين، بالإضافة إلى الحركات السرية التي قامت في بلاد المسلمين كالقرامطة، ويقوم هذا التنظيم على السرية المطلقة، وقد انتهج العباسيون الأوائل هذا الأسلوب السرى على إثر الكوارث التي حلت بآل البيت طيلة العصر الأموي، وما عمدت إليه الدولة الأموية من القضاء على الحركات العلوية وعلى زعمائها بشكل خاص، بحيث لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة[5].

---

(1)مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص245.

(2) المصدر السابق ص245.

(3)مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص246–247.

(4)العبادي ،في التاريخ العباسي والفاطمي ص26.

(5) طقوش، تاريخ الدولة العباسية ، ص 18.

وتقوم الدعوة السرية حول إمام من آل البيت يدير دفة هذه الحركات السرية، ويرعى هذه التنظيمات، ويوجه النقباء والدعاة ويقودهم[1]، وقد آلت الإمامة في هذا التنظيم السري إلى بني العباس في فترة مرحلية بالغة الأهمية[2].

وأدرك الإمام محمد بن على العباسي 118-125هـ/736-742م ، الذي آلت إليه الدعوة العباسية، والذي سعي لنيل الخلافة أن نقل حق الإمامة من بيت إلى بيت آخر لا بد أن يسبقه إعداد الأفكار، وتهيئة النفوس لتقبل الوضع الجديد؛ لذلك التزم جانب الحيطة والحذر حين طلب من أتباعه دعوة الناس إلى ولاية آل البيت دون تسمية أحد، وأخذ من مقره في الحميمة ينظم الدعوة ويدير شؤونها، ويرسل الدعاة والنقباء إلى الجهات الملائمة وأهمها خراسان، وذلك عن طريق شبكة سرية متعددة الحلقات، حملت اسم دعوة آل البيت آخذاً بعين الاعتبار الحرص على إخفاء أطماعه بالخلافة، ولا ريب في أن ذلك خدع الكثيرين من مؤيدي الدعوة؛ إذ ظنوا أنهم يعملون لذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

وتجلت مقدرته في وضع هيكلية التنظيم السري الذي قام على الشعارات الدعائية من اختيار مركز الدعوة وشعاراتها، والأمصار التي تنطلق منها، وتحديد مقر الدعاة، ومهنتهم، وطريقة التعامل مع الناس، فمن حيث مركز الدعوة، و قد اختار الحميمة، بفعل موقعها الجغرافي على خط القوافل التجارية وطريق الحج من جهة، وأنها تقع بعيداً عن المرح السياسي، ومن حيث الشعار؛ فإنه نادى بشعار المساواة والدعوة إلى الرضا من آل محمد والإصلاح. [4]

---

(1) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص 2016-222.
(2) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، 159/4؛ مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي ص 19-21.
(3) الدوري ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ص 45.
(4)طقوش، تاريخ الدولة العباسية ص 18.

ومن حيث الأمصار التي تنطلق منها الدعوة، فقد أمر محمدُ بن علي بالتركيز على خراسان، وهذا يعني في واقعه التاريخي العرب مقاتلة ومستقرين و الموالي، ويبدو أنه شعر بتأزم الوضع في خراسان واقترابه من الانفجار بفعل الصراعات القبلية وتذمر الموالي؛ فرأى أن مرو وهى قصبة خراسان هي المكان الملائم لاستقطاب الأنصار لجيش الثورة. ويرى الباحث بأن الإمام العباسي كان على دراية كاملة بالأوضاع الأمنية المحيطة به بأنه لم يترك شيئاً بسيط للصدفة ، فأثبت بذلك أنهم كان على تفهم تام للأوضاع السياسية وتوزيع الولاءات السياسية في الأقاليم الإسلامية، أما بالنسبة لتحديد مقر الدعاة، فقد اتخذ الإمام العباسي الكوفة، المعروفة بالولاء لآل البيت، وهي تصلح لأن تكون حلقة الوصل بين الهاشمية في الحميمة وميدان الحركة في مرو، بفعل جوها الموالي للصورة، والمناهض للأمويين.

وقد أشار محمد بن علي على دعاته أن يتعاطوا مهنة التجارة لإخفاء هدفهم الدعائي عن السلطة، كما أوصاهم بنشر الدعوة بالحكمة، وهكذا توفر للدعوة العباسية القيادة الفذة، والدعاة المخلصون، والبيئة الصالحة[1].

يتضح مما سبق مدى حرص قيادة الدعوة العباسية للحفاظ على جانب الدعوة الأمني حتى تحافظ على سريتها حتى اكتمال أهدافها، والإعلان عنها في وقت تكون قد حققت أهدافها كاملة، ويتبين مدى الحنكة السياسية والأمنية التي تمتعت بها قيادة الدعوة العباسية وعناصرها في العمل بسرية تامة في مراحل الدعوة كلها.

دور التجار

قامت الدولة العباسية وحاضرتها بغداد سنة (132هـ-750م)، وساست الرعية سياسة ممزوجة بالدين[1]، ومما لا شك فيه أن أحوال البلاد العامة قد استقرت نتيجة لذلك، فضلاً عن

---

(1) طقوش ، تاريخ الدولة العباسية ص21.

اهتمام الخلفاء العباسيين بأحوال البلاد الاقتصادية، والعمل على تنمية مواردها المالية، لتفيض خزائنهم بالأموال التي كانت تجبى من الضرائب[2].

وقد شجع خلفاءُ العباسيين في العصر العباسي الأول التجارةَ؛ حيث قاموا بتمهيد الطرق وتسهيل سبلها، وجاء تأسيس مدينة بغداد، حاضرة الخلافة التي ساعد موقعها على أن تصبح سوقاً تجارياً من الطراز الأول، ولم تقتصر تلك العناية من قبل الخلفاء على الاهتمام بشؤون التجارة ؛ بل اهتموا بتسهيل السبل إليها، فأقاموا المحطات على طرق القوافل، وحفروا الآبار، وأنشأوا المنائر في الثغور، وبنوا الأساطيل، وأنشأوا الموانئ لحماية السواحل من غارات اللصوص والأعداء، وجعلوها نقاطاً مهمة لانطلاق السفن منها والعودة إليها، وكان لذلك الأثر البعيد في نشاط التجارة الداخلية والخارجية[3].

وكانت التجارة في عهد الخلافة الإسلامية ، في العصر العباسي الأول ، مظهراً من مظاهر الأبهة، والهيمنة في بلادها، وأصبحت سفن المسلمين في العصر العباسي تجوب كل البحار والبلاد، وأخذت قوافلهم وتجاراتهم المكانة الأولي في التجارة العالمية[4]؛ فقد اجتمعت لهم الظروف والأحوال التي شجعت على ازدهارها، فأعطوها حافزاً قوياً، وكان لموقع مدينة بغداد[5] في قلب الدولة العباسية، وتأسيسهم لها ملائماً كل الملائمة لتكون سوقاً من الدرجة الأولي في

---

(1) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص140

(2) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج10/89-100 ؛ حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج 303/2

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج10/89-100؛ متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج371/2.

(4)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، الكامل ج510/7؛هايد ،تاريخ التجارة ، ج43/1

(5) المدينة التي استغرق بناؤها أربع سنوات بأمر من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وبنيت على نهر دجلة، وسميت المنصورية دار السلام، المسعودي ،مروج الذهب، ج992/3؛ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص163؛ الحموي، معجم البلدان ج678/1.

الأهمية[1]؛ بل كانت مدينة دولية، اكتسبت صفة عالمية، إذ سكنها مختلف الأجناسِ والمِلَلِ والنِّحَلِ بثقافاتِهم وتجاراتِهم وفنونِهم وعلومِهم، فأصبحت بغداد متميزة عن غيرها في كل الفنون العلوم والصناعات[2]؛ ولعل لذلك الأثر الأبرز في نشاط تجارتها الداخلية والخارجية.

وكانت التجارة عند الثغور – سواءً البرية أم البحرية– تشكل دوراً بارزاً في التلاحم الحضاري بين المسلمين والروم، فلقد كانت الرباطات الحربية، كطرسوس[3] وأنطاكية[4]وبالس[5] وبيروت وعسقلان وغيرها ، ذات تأثير خاص على تلك الصلات التجارية؛ إذ كان يوجد في كل رباط من تلك الأربطة المنتشرة في المراكز العسكرية أقوام يعرفون لسان الروم ولغتهم، ويذهبون إليهم على هيئة وسطاء، يحملون إليهم المتاجر والرسائل وأصناف الأطعمة[6].

ولعب التجار الذين يترددون عبر مناطق الثغور، ومنها إلى بلاد الروم دوراً مهماً في نقل أخبار الروم وأخبار تحركاتهم، فهؤلاء التجار الذين لم تؤثر على عملهم الأوضاع السياسية والأمنية ، التي كانت تخيم على مناطق الثغور، وعلى طرق التحرك من وإلى الدولة البيزنطية، وخاصة أن طرق التجارة هي نفسها الطرق التي كانت تسلكها الحملات العسكرية أو الحملات الاستطلاعية[7].

وقد أدرك البيزنطيون خطر هؤلاء التجار، إلا أنه لم يكن بمقدورهم الاستغناء عن التعامل معهم، ولا عن منتجات العالم الإسلامي، أو منتجات الشرق بشكل عام، التي كانوا

---

(1) العبادي ،في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 60.

(2) متز، الحضارة الإسلامية، ج 371/2.

(3)هي مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تابعة لمحافظة مرسين، وتبعد حوالي 15 كم عن مدينة مرسين و 40 كم عن مدينة أضنة. البكري، المسالك والممالك 90/2.

(4) مدينة عظيمة على ساحل بحر الشام. البكري، المسالك والممالك 34/2

(5) بالس (إدلب) قرية سورية تتبع ناحية محمبل محافظة إدلب الحموي، معجم البلدان ،ج105/3

(6) مصطفى، الأسواق والمراكز ص3.

(7)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج85/10، ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، الكامل ج510/7.

ينقلونها، لذا وضعت بيزنطة العديد من القيود على التعامل التجاري معهم، الذي وضح من خلال إلزام التجار بالدخول إلى القسطنطينية من مواضع معينة، وأن يحصلوا على إذن بالدخول، وكانت توضع عليهم حراسة دقيقة، ورقابة تامة عند الدخول إلى العاصمة، وتكون إقامتهم في العاصمة محدودة بفترة زمنية[1].

كما أن الأسواق التي أقيمت في مدينة بغداد كانت تقع على جوانب الطرق، ما أدى إلى اختلاط التجار القادمين من البلاد الأخرى بسكان المدينة، وكان هذا موضع انتقاد أحد بطارقة الروم حينما زار بغداد في عهد المنصور؛ إذ عاب على المدينة سكن التجار والسوقة فيها معاً؛ لأن كثيراً من الجواسيس يتنكرون بزي التجار ويندسون داخل المدينة فيعرفون أسرارها، وينصرفون دون أن يفطن إليهم أحد، بل ربما استطاع أحدهم فتح أبواب المدينة لرفاقه ليلاً، وهذا خطر على المدينة وأهلها[2] ولعل ذلك مما دفع الخليفة الرشيد إلى الطواف بالأسواق ليلاً مع وزيره جعفر البرمكي وخادمه للاستطلاع على ما لا يصل إليه من أمر السوقة والعوام، ولمعرفة ما يدور بين الناس من الأحاديث والأخبار متخفياً في زي التجار[3].

دور الرحالة

اكتسبت الرحلة أهميتها منذ ولادة الإنسان على الأرض، إذ وجد الإنسان نفسه مجبولاً على التنقل، والحركة على وجه المعمورة سعياً لكسب قوته، وبحثاً عن البقاء، واكتشاف المجهول، فالإنسان ولد رحالاً، وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثاً في الأساطير الأولى، كما نجده في الحروب والفتوح القديمة[4]، وبهذا ندرك أن

(1)لويس، القوى البحرية والتجارية ص140؛ مصطفى، الاسواق والمراكز ص19.

(2) الطبري ، تاريخ الرسل والممالك ج7/653؛ العبادي ،في التاريخ العباسي والفاطمي ص58.

(3)نخلة ،حضارة الإسلام في دار السلام ص 127.

(4) ضيف، الرحلات ص 7.

الإنسان رحّالاً منذ ولادته حتى يموت في رحلات دائبة، تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف والأحوال، وما لحظات ميلاده إلا رحلة من رحم الأمِّ إلى دنيا البشر، تلحقها رحلات العمر والتشكيل الاجتماعي وما بعدها[1].

وكان العباسيون يهتمون بالرحّالة للاستفادة منهم باستغلال إحساسهم على الرحلة لعلة منها؛ هي وصف الأقاليم لنقل صورة الأقاليم وطرق الوصول إليها، اذ عُدّت جزءاً من أخبار الفتوح والمغازي[2]، وقد أورد المسعودي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه – بعد فتح العراق والشام ومصر وباقي الأراضي– كتب إلى أحد حكماء عصره قائلاً :"إنا أناس عرب، وقد فتح الله علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن البلاد والأمصار، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها"[3].

ولعل ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُعد أولى الإشارات الرسمية الإسلامية الداعية إلى ضرورة دراسة المدن والأقاليم المفتوحة، والارتحال إليها من أجل تعريف مجتمعاتها بهوية الإسلام ونشره، فضلاً عن تسهيل مهمة إدارتها، ومعرفة الفكر العام لمجتمعات البلاد المفتوحة، وكانت تلك المساعي منطلقاً لتحديد بدايات الرحلة خلال هذه الفترة وتعدد أشكالها وشخصياتها حسب الغاية والهدف الذي ارتحل من أجله ذلك الشخص، ومما ساعد على تنمية الرحلة في مراحلها الأولى اتساعُ حملة الفتوحات الإسلامية في عصر الخلافة العباسية شرقاً وغرباً وتطور نظام البريد؛ إذ كان أمر الوصول إلى المناطق المفتوحة يلزم الدولة على تهيئة الطرق المناسبة

1 بادشاه ،الحجاز في ادب الرحلة العربي ص 18.

2 أحمد ،الرحلة والرحالة المسلمون ص 10.

3 المسعودي ،مروج الذهب ج 34/2.

التي تصلها بمركز الدولة، وهذا الإجراء –في واقع الحال– شجع المسلمين على الرحلة منذ نشأة الدولة الإسلامية[1].

وكان الدافع الأمني من الدوافع المهمة التي أدت إلى "تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل من أول ما ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان والمسالك والممالك، لمعرفة الطرق ووصفها، وتسهيل عملية التداول التجاري، ثم التداول الأمني في نقل المعلومة بين مختلف البلدان"[2]، إذ كان "التجار يضربون في أراضٍ جديدة عن طريق القوافل، وطريق البحر وسفنه، وقد وصلوا في مغامراتهم إلى الصين والهند وشواطئ إفريقية الشرقية والغربية جنوبي خط الاستواء، واستطاعوا نشر الإسلام في إندونيسيا وغيرها من الجزائر الهندية النائية"[3]، وقد أشار الطبري إلى ذلك النشاط البحري، بقوله: "هذه دجلة شيء يأتينا "الصين" ليس بيننا وبين ما فيها كل ما في البحر"[4]، فمعظم الرحلات نظمت وسيرت من أجل أغراض اقتصادية وأمنية بحتة"[5].

وكان للدوافع السياسية والإدارية حضور في قيام الرحلة؛ إذ "عنيت الدولة الإسلامية بتأليف كتب الطرق والدراسة الطبوغرافية للطرق الرئيسية للإمبراطورية الإسلامية، لتوفير المعلومات لأعضاء البلاط، وعملاء المخابرات، والعسكريين، وجباة الضرائب، وعمال البريد"[6]، فضلاً عن البعثات الدبلوماسية والاستطلاعية، ومنها البعثة البرية التي أرسلها الخليفة الواثق بالله

---

(1) أحمد ،لرحلة والرحالة المسلمون ص8.

(2) الهروط ،صورة الأخر في أدب الرحلات الأندلسية ، ص34.

(3)ضيف، الرحلات ص 9

(4) تاريخ الرسل والممالك ج 243/6

(5)الشامي، الرحلة العربية في المحيط الهندي مج15/13.

(6)بطي، كتابات الرحالة المبعوثين ص 53.

(227–232هـ) إلى سد يأجوج ومأجوج بتكليف سلام الترجمان[1] حوالي منتصف القرن الثالث الهجري[2].

وقد نشأت –على مر الزمان– طائفة من الرحَّالين الذين وصفوا أسفارهم، وسجلوا تجاربهم بدقة، وأوصاف متتابعة للحوادث والمشاهدات ربما لا يجد مثلها القارئ في كتب التاريخ والسير[3].

دور الرسل والسفراء

لقد أوجب الصراعُ والحملات العسكرية المتكررة والمتلاحقة بين الطرفين وجودَ مراسلات وسفراء وبعثات دبلوماسية بينهما، سواء لمناقشة العلاقات التجارية والثقافية، أو لوضع شروط الهدنات العسكرية، التي يجد فيها الطرفان الفرصة الملائمة لتقوية الحصون والثغور والقلاع، وتجديد الآلات الحربية، وافتداء الأسرى بين الجانبين، و لا تتم إلا من خلال الاتصال الدبلوماسي بينهما[4]، ولا شك أن هناك تأثيرات ثقافية لازمت ذلك، سواء في طريقة التعامل مع السفراء أو الهدايا التي كانوا يتبادلونها، أو في طريقة اختيار السفراء وثقافتهم وأسلوب عملهم، والصلاحيات التي كانوا يزودونها[5].

لقد عرف العباسيون نظام المراسم واستقبال الرسل والاحتفاء بهم، إذ كانوا يخصون السفير ومرافقيه باستقبال حافل على الحدود، ومرافقته حتى دخول العاصمة، حيث يجد في

---

(1) أحد رجال البلاط العباسي في القرن الثالث الهجري كان يتحدث ثلاثين لساناً، أغنت عن ترجمته المصادر التاريخية، قام برحلة إلى سد يأجوج ومأجوج بتكليف من الخليفة العباسي الواثق بالله 227–232هـ بعد أن رأي في المنام أن السد الذى بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوح، فأرعبه هذا المنام وأرسل له وأمره بقصد السد والنظر اليه والرجوع اليه بخبره بعد أن ضم له خمسين رجلاً . ابن الفقيه ،البلدان، ص 595؛ الحموي معجم البلدان ج 199/3.

(2) الدهان، رحلة ابن فضلات ، ص 17.

(3) خسروا ،سفر نامة ص 8.

(4) عبيد ،المراسلات والهدايا ص11.

(5) محمد، التوجهات في العلاقات ص30.

انتظاره شخصية سامية، وينزل ومرافقه في قصر الضيافة، وقد جرت العادة على أن يستقبل السفير من قبل وزير مكلف بالمهمة، يحدد معه موعد لمقابلة الخليفة، وعندما يحظى بمقابلة الخليفة يقدم له كتاب رئيس دولته، ومن ثم الهدايا التي يحملها إليه[1].

ومن نشاطات الدبلوماسية الإسلامية العلمية في العصر العباسي الأول ما قام به الخليفة العباسي الواثق بالله؛ إذ أرسل وفداً إلى الإمبراطور البيزنطي مايكل الثالث لزيارة الكهف الوارد ذكره في القرآن الكريم[2].

كما أرسل الخليفة المتوكلُ نصرَ بن الأزهر سفيراً إلى إمبراطور الروم ميخائيل الثالث لدراسة موضوع تبادل الأسرى، وقبول الفداء بين المسلمين ودولة الروم، وقد نجح هذا السفير في مهمته وافتدى (2300)أسير من المسلمين كانوا في بلاد الروم[3].

ومنذ القدم؛ فإن من أهم مهمات الرسل والسفراء متابعة أحوال الدول، ومراقبة ظروفها التي يرسلون إليها، وفى جميع الميادين السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والفكرية وأمور أخرى[4]، وقد يكون من أسباب ذلك حماية دولهم من أن تُؤخذ على حين غرة ودون سابق انذار، فكثير من الدول تظهر حسن النية والرغبة في المصالحة، ولكن حقيقة الأمر غير ذلك؛ إذ تعد العدة وتدرب الجيش وتسلحه استعداداً لخوض حرب جديدة؛ لذا يقر الفقهاء المسلمون عملية جمع المعلومات من خلال الرسل والسفراء بالوسائل والطرائق غير المشروعة، فالعدالة تفرض على المسلمين أن يعاملوا غيرهم بمثل ما يعاملهم به، وهو ما يسمى في العرف الدولي بمبدأ

(1)عباه ،الدبلوماسية ص 188.

(2) حبش ، الإسلام والدبلوماسية ص32.

(3) بوبوش ،تطور الدبلوماسية الإسلامية ص 125.

(4) المرجع السابق،ص139

المعاملة بالمثل بين الأمم، قال سبحانه وتعالي: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[1].

ومهما يكن الأمر، فإن الإسلام ليس مطلقاً في معاملته بالمثل؛ لأنه مقيد بالفضيلة والأخلاق الإسلامية، فالوفاء بالعهود والمواثيق من ركائز الدبلوماسية الإسلامية، فإذا ارتبطت الخلافة الإسلامية بمعاهدة دولية، يحذر عليها القيام بأي عمل فيه إخلال بنصوص المعاهدة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2]، وقوله تعالي: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾[3]، وقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[4].

ومن ناحية أخرى؛ قد يكون من أغراض الدبلوماسية الإسلامية عقد التحالفات بين الدول الإسلامية وبعض الدول المجاورة لها، مما يقوي العلاقات السياسية والاقتصادية، وتبني نوع من التعاضد والتعاون، وكذلك فإن الرسل والسفراء كانوا يستخدمون كوسائل أخبار وإعلام لما تقوم به الجيوش الإسلامية من فتوحات[5].

وإدراكاً من الدولة الإسلامية بخطورة مهام السفير؛ كانت تحرص على أن يكون سفيرها على قدر كبير من الذكاء والعلم، وسرعة البديهة وقوة الذاكرة، والقدرة الفائقة على ضبط النفس، وحفظ الأسرار، وقدرة على استرجاع المعلومات التي حصلها خلال إقامته في البلد الموفد إليه، وكانت الدولة الإسلامية تأخذ بتقارير سفرائها في الدولة التي تقيم معها علاقة دبلوماسية في رسم خططها السياسية والعسكرية من أجل إحباط كل عدوان مرتقب من جيرانها، فقد أرسل الأمير

---

(1) البقرة: 194.

(2) النحل: 91.

(3) البقرة:177.

(4) المائدة: 1.

(5)المبيضين، أصول العلاقات الدولية في الإسلام ص282

عبد الرحمن بن الحكم يحيى بن حكم الغزال[1] في سفارة سنة 231هـ/845م إلى الدنمارك، حيث يقيم ملك النورمان[2] هوريك، ومكث أشهر عديدة في سفارته التي كان هدفها الرئيس التعرف إلى قوة النورمان ونواياهم الحربية تجاه الدولة الإسلامية، فأخذ يتصل بحاشية الملك النورماني من نساء ورجال، فتعرف من خلال ذلك إلى حياة أولئك الأقوام، ولون معيشتهم، وعند عودته قدم تقريراً مفصلاً عن رحلته ومشاهداته، فأخذت الدولة الأندلسية بتوصياته، واهتمت بالأسطول لمواجهة سفن النورمان في عرض البحر لإفساد خططهم التي كانت تقوم على عنصر مفاجأة السواحل الإسلامية، فيقذفون الرعب ويخربون المدن وينهبون ما يصادفونه في طريقهم[3].

ولقد كان من مهام السفراء أن يعلموا حالة الطرق والأمكنة التي توجد فيها المروج والأعشاب والحشائش للعلف، وكذلك قوة الجيش ومؤونته في العدد والعتاد وفى الدفاع والهجوم، وأن يعرفوا كل ما يتعلق بأمور البلاد الأجنبية من النواحي الشخصية والعامة، كما أن الدبلوماسية الإسلامية في العهد العباسي كانت تتوخى من سفاراتها أغراضاً علمية[4].

دور الدواوين

لم يكن للخليفة العباسي بُدٌ من أن يوزع الأعمال ،في دولة اتسعت رقعتها إلى ما وصلت إليه في أيام الخليفة الرشيد، وأن تستقر البلاد وتستقيم الأمور بعد أن ازدادت سلطاته وتنوعت أعماله

(1) هو يحيى بن حكم البكري الجياني المعروف بالغزال كان مولده سنة 156هـ/772م، ومات سنة250هـ/864م، وهو ابن أربع وتسعين سنة، وهو عالم جليل في الأندلس وشاعر مطبوع، وقد جمع شعره حبيب بن أحمد. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس374ص-375؛ الضبي ،بقية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس 500-501.

(2) ذكروا في المصادر والمراجع بعدة أسماء منها : الأردمانيون، والمجوس، والفيكنج، وهناك من يؤكد بأن اللفظ محرف عن Norh men أي سكان الشمال. الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار،ج89/1 ؛ البكري، جغرافية الأندلس واوروبا ص112؛ التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، الحجي ص 227.

(3) الحجي ،التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص233-234.

(4)حبش ، الإسلام والدبلوماسية، ص 31.

وكثرت مشاكله الداخلية والخارجية، ومن هنا جاءت الحاجة إلى إنشاء عدد من الدواوين، التي قامت بالأعمال نفسها التي تقوم بها الوزارات في عصرنا الحاضر، ومن هذه الدواوين المهمة الآتي:

1. ديوان الجيش[1].
2. ديوان النفقات، وتدخل ضمن صلاحياته حاجات دار الخلافة.
3. ديوان بيت المال، الذي يشرف على ما يرده من أموال وما يخرج من نفقات[2].
4. ديوان الرسائل (الإنشاء).
5. ديوان البريد والخبر.
6. ديوان التواقيع، وتشمل صلاحياته النظر فيما يقدمه أصحاب الحاجات.
7. ديوان الخاتم.
8. ديوان الفض، وفيما تفض الكتب الواردة من الأمراء والعمال إلى الخليفة[3].
9. ديوان الأكرة، ويشرف على بناء الترع والجسور وشؤون الري وإصلاحها[4].

وجعل لكل ولاية من ولايات الدولة العباسية في بداية الأمر ديوان كبير ببغداد يشرف على شؤونها، كما كان الديوان مقسماً إلى قسمين، الأول: ويسمي الأصل، تسن فيه الضرائب وتحمل إلى بيت المال، والثاني: الزمام، أو ديوان المال، واستمر هذا النظام إلى أن تولى الخلافة المعتضد سنة 279هـ/892م، فضم كل دواوين الدولة بعضها إلى بعض، وكوّن منها ديواناً واحداً، أطلق عليه اسم "ديوان الدار الكبير"، ثم قسمه إلى أقسام ثلاثة، هي: ديوان المشرق،

(1) المسعودي، ج460/3؛ السيوطي، ص310.
(2) المسعودي،ج460/3.
(3) المصدر السابق ،ج465/3.
(4) المسعودي،ج460/3.

وديوان المغرب، وديوان السواد، أي العراق، وأسند الأصل لشخص واحد، والزمام لشخص آخر، وأناط مصالح غير المسلمين بديوان خاص أطلق عليه اسم "ديوان الجهبذة"[1][2].

وكان من أهم الدواوين التي استخدمها العباسيون في جمع المعلومات ديوان البريد والخبر، وكان أول من وضع نظام البريد في الإسلام معاوية بن أبي سفيان ،الذي أخذه عن البيزنطيين[3]. وكان لديوان البريد –خاصة– مكانة فريدة في العصر العباسي؛ حيث اهتم الخلفاء العباسيون به، واعتمدوا عليه اعتماداً كبيراً في إدارة شؤون دولتهم[4]، وقيل عن الخليفة أبي جعفر المنصور: إنه كان يقول: "ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال هم أركان الملك، لا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة تداعى، أما أحدهم: فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر: صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث: صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غني، والرابع: ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات و هو يقول في كل مرة آه آه .. قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب إلي بخبر هؤلاء على الصحة"[5].

يبين لنا هذا القول مدى خطورة مهمة صاحب البريد الذي كان عين الخليفة الساهرة على الأصدقاء والأعداء جميعاً، يراقب العمال والولاة ويتجسس على الأعداء[6]، ويبعث بأخبار هؤلاء

(1) أنشئ ديوان الجهبذة في عهد المأمون، وهو شعبة من بيت المال، ومهمته تدقيق حسابات بيت المال وتدقيق موارده . أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص221.

(2)المرجع السابق ،ص220.

(3)الصالح ،النظم الإسلامية ، ص331.

(4) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج 46/5.

(5)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج67/8.

(6) كان ابن خرداذبة يقوم بهذه المهمة في مقاطعة الجبل بفارس، البستاني ، 459/2.

جميعاً إلى الخليفة، وقد أوجز قدامة بن جعفر الشروط التي يجب توفرها في صاحب البريد، قائلاً: "يجب أن يكون ثقة، إما في نفسه، أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته؛ لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح، وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ"، كما ذكر القلقشندي، أن من صفات البريدي" أن يكون قديراً على تنميق الكلام وتحسين العبارة، صحيح الفكرة والمزاج، ذا بيان وعارضة ولين، صدوقاً، بريئاً من الطمع"[1]...

ولم تقتصر مهمة عمال البريد في الدولة العباسية على موافاة الخليفة كل ما يجري من أعمال في دولته، وما يقوم به الولاة، وما يقضي به القضاة، وما يرد إلى بيت المال من أموال؛ وإنما كانوا يوافونه بأسعار الحاجيات من قمح وحبوب وغيرها، وفي أيام أبي جعفر المنصور كان عمال البريد يوافونه بما يجري مرتين في اليوم، فإذا صلى المغرب وافوه بما حدث نهاراً، وإذا صلى الصبح كتبوا إليه ما جرى ليلاً، وبهذا كان الخليفة على علم بكل ما يجري في الولايات الإسلامية، فيوقف القاضي عند حده إذا ظلم، ويعيد السعر إلى حالته الأولى إذا غلا، ويعاقب العامل إذا قصر أو أخطأ[2].

وتسهيلاً لمهمة عمال البريد، وحتى تصل الأخبار بأقصى سرعة إلى الخلفاء ، ربط العباسيون بين سائر الولايات العباسية الإسلامية والعاصمة بغداد بشبكة من الطرقات، وأنشأوا عليها المحطات للاستراحة، و كان من أهم المسالك في الدولة العباسية:

1. طريق المغرب: بغداد – الشام – مصر – القيروان في المغرب.
2. طريق الشام: بغداد – الأنبار – الشام.

---

(1) صبح الأعشي ،ج 115/1.
(2) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج 46/5.

3. طريق المشرق: بغداد – مرو – و بخارى – وجيحون، وفرغانة... الخ[1].

واستعملوا في نقل البريد البغال والخيل، ثم استخدموا بعد ذلك الجمازات، أي: العربات التي تجرها الخيول السريعة[2]، وفى القرن الرابع الهجري؛ استخدم عمال البريد الحمام الزاجل في نقل الرسائل بعدما شاع هذا النوع من البريد، ولا سيما عند الفرق الباطنية، وخاصة منها: الفاطميون[3]، وكانت المسافات عندهم تقاس بالأميال في البلاد الواقعة غربي نهر الفرات، وبالفراسخ في البلاد الواقعة شرقي هذا النهر، حيث يفترض في البريدي أن يكون ذا معرفة تامة بالطرق ووعورتها، فيتجنب سلوك الجبال والوهاد ومجاري الأنهار، فيؤدي مهمته بأسرع وقت على أحسن وجه[4].

وكان صاحب ديوان البريد يشرف على البريديين والبراجين وشؤون أرزاقهم ومراقبة المراسلات الصادرة والواردة من جميع الأقاليم، ثم فرزها لتصل إلى أصحابها، وتولي عرض كتب أصحاب البريد في جميع النواحي على الخلفية[5].

ويروى الطبري أن المنصور قال: "ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، قيل له: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال هم أركان الملك، ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة تداعى، أما أحدهم: فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر: صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث: صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غني، والرابع: ثم عض على أصبعه

---

(1)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج443/6.

(2) المصدر السابق،ج443/6

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، 223.

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، 180.

5 ابن خرداذبة، المسالك والممالك 185.

السبابة ثلاث مرات ويقول في كل مرة آه آه .. قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب إلي بخبر هؤلاء على الصحة[1].

"وكان في ميسوره – أي المنصور– أن يراقب الإدارة في الولايات أحسن المراقبة عن طريق نظام البريد، هذا النظام الذي نستطيع أن نقول إنه لم ينشأ حقاً إلا في عهده بالرغم من وجوده أيام الأمويين، وكان أصحاب البريد مسؤولين عن جهاز الاستعلامات كله في الحكومة، ولكن واجبهم الرئيس كان إبقاء الخليفة على اطلاع دائم بمسالك عماله في الحكم، وكانت تقاريرهم المطردة الدقيقة ذات فائدة كبيرة للمصلحة العامة، فالأنباء التي اعتادوا إرسالها عن أحوال الزرع مثلاً؛ كانت تساعد على اتخاذ الاحتياطات المناسبة ضد أي نقص في الغلال[2].

لقد كان البريد جهازاً رقابياً خطيراً لعب دوراً فاعلاً في تقويم الإدارة في هذا العصر؛ ولذلك فقد أولاه المنصور كل هذه العناية والاهتمام الزائدين ما مكنه من تصريف امور الرعية بكل يسر وسهولة.

ولما تولى المهدي الخلافة امر بإقامة محطات بريد بين مكة والمدينة واليمن[3]. واستخدم العباسيون الدواب من بغال وخيل لحمل البريد، يروى ان المعتصم علم بانتصار جيشه على بابك الخرمي باستخدام الحمام الزاجل [4].

أما الخليفة الهادي بن المهدي فهو أول خليفة ركب دواب البريد، وذلك عندما علم بوفاة والده المهدي ليصل مسرعاً إلى بغداد، يقول الجهشياري: "وكانت وفاة المهدي والهادي مقيم

---

1 تاريخ الرسل والممالك ، ج 67/8.

2 بروكلمان ،تاريخ الشعوب الإسلامية ص 179–180.

(3) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج 162/8.

(4) القلقشندي ، صحيح الاعشى 400/14 ؛مصطفي ،دولة بني العباس ج 546/1.

بجرجان وهارون مع المهدي في عسكره، فأنفذ هارون نصيراً مولاه على دواب البريد بالخبر.... إلى أن ورد موسى الهادي على دواب البريد، ولا يعلم خليفة ركب دواب البريد غيره"[1].

وفي عصر الرشيد نظم خدمة البريد مستشاره يحيى بن خالد البرمكي، الذي قلد ابنه جعفر بن يحيى بريد الآفاق[2].

ولكن الجهشياري يذكر أن أداء هذا الجهاز ضعف في أواخر عصر الرشيد، فقد ذكر أن "أمور البريد والأخبار في أيام الرشيد كانت مهملة، وأن مسروراً الخادم كان يتقلد البريد والخرائط... وأن الرشيد توفي وعندهم أربعة آلاف خريطة لم تفض[3]، ولكنا نستطيع تأكيد أن إهمال البريد لم يكن طوال عهد الرشيد، بل الأيام التي يكون فيها الخليفة على رأس جيش في حرب ضد أعداء الإسلام، وقد تأكد ذلك بناء على واقع الدولة أيام الرشيد فقد كانت قوية مرهوبة الجانب يهابها الأعداء، ويخشون بأسها.

ولعب البريد دوراً مهماً في النزاع بين الأمين والمأمون مما اضطر المأمون إلى قطع البريد عن الأمين حينما علم بنواياه العدائية تجاهه، فقد ذكر الطبري في أحداث سنة 194هـ أن المأمون لما بلغه ما أمر به محمد من الدعاء لابنه موسى... علم أنه يدبر عليه في خلعه فقطع البريد عن محمد[4].

وقد أدى قطع المأمون الأخبار عن أخيه الأمين إلى عدم معرفته بما يدور حوله ،من أحداث بصورة جلية، وكان المأمون على علم بما يدور حوله، حيث كانت تأتيه الأخبار بصورة منتظمة فتمكن من الانتصار على أخيه بعد حصاره في بغداد.

---

(1) القلقشندي ،مآثر الأناقة في معالم الخلافة ص 189.

(2) الجهشياري ،الوزراء والكتاب، ص 204.

(3) المصدر نفسه ص 265.

(4) تاريخ الرسل والممالك، ج 375/8.

وفى عهد المعتصم كان للبريد دور أساس في القضاء على حركة الزط[1]، الذين عاثوا فساداً في طريق البصرة، وقطعوا فيها الطرق، وأرسل إليهم المعتصم عجيف بن عنيسه، وقد رتب الخيل في سكة البريد كلها تركض بالأخبار، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل إلى المعتصم في يومه، وتمكن من القضاء عليهم[2].

دور الجيش

ويرى فاروق عمر فوزي أن الجيش العباسي أول جيش منظم في الإسلام تشكل ثقلاً سياسياً وعسكرياً لعب دوراً مهماً في الدولة العباسية، وكان أكثر العناصر تأثيراً في الحياة السياسية والعامة، العنصر العربي وخاصة قادة الجيش، ومنهم رجال بني العباس كعبد الله بن علي وصالح بن علي، وعبد الصمد بن علي، وقادة من أمثال قحطبة بن شيث الطائي وأولاده الحسن وحميد[3].

وقد بلغ عدد الجيش في عهد العباسيين مئات الألوف من الجند، يكونون جيش الدولة النظامي، وكانوا يتقاضون أجوراً ثابتة، تدفع لهم بانتظام [4]، فلم يكن للخلافة العربية قبل العصر العباسي جيش نظامي معدود ومدرب على الأسس العسكرية؛ إذ لم يكن الجيش النظامي قبل

---

(1)هم في الأصل من أهل السند والبنجاب ووقعوا في سبي الفرس، وأسلموا زمن الفتوحات، فأنزلهم أبو موسى الأشعري في البصرة. كذلك أتى الحجاج بجماعة من زط السند ومعهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم فأسكنهم بأسافل ككر، فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها. ثم انضم إليهم قوم من أباق العبيد وموالي باهلة وخولة محمد بن سليمان بن علي وغيرهم فشجعوهم على قطع الطريق ومبادرة السلطان بالمعصية، وكان همهم بادئ ذي بدء اختلاس الشيء الطفيف من أهل السفن، فتحاشى الناس المرور بهم في أيام المأمون. (انظر : البلاذري، فتوح البلدان، ج2، ص462؛ ولمزيد من الأخبار عن الزط أو الجت بالهندية. راجع: القاضي أطهر مباركبوري.

(2) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، 8/9؛ البلاذري، فتوح البلدان ص 369.

(3)الجيش والسياسية في مطالع العصر، ص 225

(4)حسن، تاريخ الإسلام ، ج274/2.

العباسيين يضم سوى حرس الخليفة، أما الجيش النظامي العباسي؛ فهم يتعاطون الجندية حرفة دائمة، وقد عرفوا بالمرتزقة؛ لأن أرزاقهم على الدولة، وكانوا يدخلون الجندية اختيارياً[1].

وقد اعتمد العباسيون على القوة في إحداث حركة التغيير ونقل السلطة إلى أيديهم، فكان الجيش أحد مقومات دولتهم، فأسسوه من العرب والفرس في خراسان ابتداءً؛ إذ تمكن جيش الدعوة العباسية من تحرير بلاد خراسان وفارس والعراق قبل إعلان وجهة الخلافة، حيث كانت الدعوة أصلاً للرضا من آل محمد[2].

وكانت في الجيش العباسي فرق خاصة لجمع الأخبار سميت الكوهبانية (المخابرة العسكرية) وهم أصحاب الأخبار المكلفون بواجب المخابرة بين قطاعات الجيش، وإعطاء الإشارات لأمراء الوحدات العسكرية بما يحصل عند العدو، وما يجري في ساحة المعركة،[3] ويتوقف على المعلومات التي يقدمها الكوهبانيون وضع الخطط الحربية أو تغييرها أو تعديله[4]، ويتخذ الكوهبانية من العرب، وسكان المناطق المفتوحة[5]، ومن عناصر الجيش الأكثر صدقاً وأوثق نصيحة[6].

وقد ساهم الكوهبانية في العصر العباسي بشكل فاعل في الحروب، وبرز دورهم في حروب بابك الخرمي، وفى معركة عمورية[7]، فقد اعتمد القائد العباسي الأفشين عليهم في حروبه، وكانوا يستعملون الإشارات والأعلام؛ إذ يقفون على المشارف والمرتفعات ويقومون

---

(1) ابن عبد ربه ،العقد الفريد ، ج201/3-203.

(2) حتى ،تاريخ العرب ص 395.

(3) غولي ،العقلية العربية، ص 176.

(4) الجنابي ،تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ص 136.

(5)ابن قتيبة، الامامة والسياسة ج 66/2.

(6) الهرثمي ،مختصر سياسة الحروب ، ج 24/22.

(7) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج34/9،30،29،24.

بتحريك الأعلام بطريقة متفق عليها لنقل المعلومات عن العدو، وكان الجيش يستعملهم أدلاء، يرافقون الفرق ليدلوهم على الطرق ويحرسونها ليلاً، ويتكون الكوهبانية من الجنود الرجالة عادة، وكان للكوهبانية واجب كشف وتعقب الكمائن والدوريات التي يبعثها العدو[1].

واهتم العباسيون بالبريد الحربي ونظموه تنظيماً دقيقاً، حتى كان عند كل فرسخ حصن يضم عدداً من الدواب والراكبين؛ لضمان سرعة إيصال الأخبار والرسائل[2].

وقد استخدمت الخيول في نقل البريد وإرسال الأخبار، فعندما غلب الزط على البطيحة وقطعوا الاتصال بين بغداد والبصرة، رتب الخليفة المعتصم بين البطائح وبغداد خيلاً مضمرة بأعداد كافية، ملهوبة الأذناب تركض إليه بالأخبار، فكان الخبر يخرج من القائد عجيف بن عنبسة فيصل إلى المعتصم في يومه[3].

واستخدم العباسيون الإبل والبغال في نقل البريد والرسائل، ففي سنة 166هـ/782م . لما أقام المهدي البريد في المدينة ومن اليمن إلى مكة استخدم بغالاً وإبلاً[4]، واستخدم العباسيون الحمام الزاجل في نقل البريد الذي كان يشتري من القسطنطينية، وفى سنة221هـ/835م . حمل الحمام الزاجل أنباء الانتصار على بابك الخرمي إلى الخليفة المعتصم[5].

كما استخدم العباسيون السفن في نقل البريد والرسائل، فكانت الأخبار تنقل في الأنهار والمجاري المائية واستخدمت مياه الأنهار لنقل الأخبار بواسطة رمي الرسائل بها فتجري باتجاه المرسل إليه إذا كان على طريق المجري المائي[6].

---

(1) المصدر نفسه ج24،45،46/9.

(2) عثمان، الحدود الإسلامية ج305/2؛ الجنابي، البريد العسكري في العصر العباسي، ص 153.

(3) البلاذري ،فتوح البلدان ج369/2، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج100/5.

(4) القلقشندي ،صبح الأعشي، ج 1/390−391.

(5) الصابي ،الوزراء، ص33؛ غولي ،العقلية العربية، ، ص 178؛ الدوري، العصر العباسي الاول، ص185.

(6)عثمان، الحدود الإسلامية، ج 307/2؛ زيدان ،التمدن الإسلامي، ج 242/1.

كما استخدمت النار في نقل الأخبار والرسائل بالإشارات، عن طريق نقل الأخبار بواسطة إشعال النار على الأبراج العالية والمرتفعات، فتصل الأخبار من برج إلى آخر إلى أن تصل إلى المكان المطلوب[1].

دور العيون والجواسيس

استخدم العباسيون العيون والجواسيس لنقل أخبار العدو وتحركاته ونواياه، والحصول على المعلومات التي تفيد في النواحي العسكرية والحربية[2]، واستخدموا في تحسسهم على أعدائهم الرجال والنساء والغلمان، الذين كانوا يذهبون إلى بلاد العدو متنكرين على هيئة تجار، أو أطباء، أو طلبة علم، أو غلمان، أو جوار، يتغلغلون في جميع الأوساط، وتمكنت الدولة العباسية من المبالغة في معرفة الأسرار وحفظها[3]، وكانوا يرسلون من العيون ممن يثقون بهم ممن عُرفوا بالصدق والإخلاص والفراسة والإدراك الصائب، والدهاء والحيل والخديعة عند الحاجة، وأن تكون لهم معرفة بالأسفار واللغات وخبرة بالطرق[4].

وقد ورد التجسس المشروع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[5]، وجاءت آيات كثيرة تتعرض لهذا الموضوع[6].

---

(1)زيدان ،التمدن الإسلامي ج242/1-243.

(2)ا ابن عبد ربه، لعقد الفريد ص 131؛ الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص 22، 24؛ الجنابي ،تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ص 136.

(3) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص 61.

(4) الأنصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، ص 17-18، الهروي، التذكرة ، ص 87،79.

(5) التوبة: 120.

(6) يوسف : 87؛ النمل : 24،23،28،27،22.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبث العيون[1]، والاستطلاع[2]، والكمائن، والبيات[3].

وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالعيون والجواسيس، بهدف الحصول على المعلومات[4] للأمور العسكرية، والخطط، وللأمور الداخلية، ولا سيما أن الدولة العباسية تجاورها الأمم والشعوب، وتنتشر داخلها الآراء السياسية والعصبية، وظهور الميول الشعوبية والعلوية والهاشمية وغيرها[5].

وقد استخدم الخليفة أبو جعفر المنصور جواسيسه لمعرفة نوايا المعارضة والخصوم؛ إذ أرسل عيونه لمعرفة أخبار العلويين في الحجاز[6]، وطلب من أصحاب البريد في الولايات أن يكونوا عيوناً على ولاتها[7]، مع أن عمل البريد الأساس هو إيصال ما يصدر عن الخليفة أو الوزير إلى الولاة في الأقاليم من الرسائل ،واهتم المهدي بالعيون والجواسيس[8].

واهتم الخليفتان هارون الرشيد، والمأمون[9]؛ إذ استخدم الخليفة هارون الرشيد شخصاً يُدعى عبد الله السيدي، على مدى عشرين عاماً، يتجسس له في بيزنطة[10].

---

(1)ابن هشام ،سيرة ابن هشام، 224/3؛ مناصرة، الاستخبارات العسكرية الإسلامية، ص 25؛ القاسمي، الجهاد ص 410.

(2) مناصرة، الاستخبارات العسكرية الإسلامية، ص 121.

(3)الهرثمي، مختصر سياسة الحروب ص 50؛ عبد الغني، نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين، ص 74-75.

(4) الجاحظ، التاجر في أخلاق الملوك ص 167؛ ابن المقفع، رسالة الصحابة ص 203.

(5) المنجد، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ص 87؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 23.

(6) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج519/7.

(7) العاني، سياسة أبي جعفر المنصور الخارجية والداخلية ص 40.

(8) عبد الغني، نظم الاستخبارات ص 115-118.

(9) المرجع السابق ص 118-122.

(10) عبد الله، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق، ص 240.

واستخدم الخلفاء العباسيون الرجال والنساء في العيون والجواسيس، يرحلون إلى البلاد المجاورة متنكرين بزي التجار والأطباء، فيتلقفون الأخبار ويجمعونها ويزودون دولتهم بها[1].

وقد بلغ جهاز المخابرات في عهد الخليفة المنصور درجة عالية من الكفاءة والمقدرة، حتى كان الجهاز يقدم تقاريره يومياً عن أوضاع الرعية وما يستجد من أمور، فكان المنصور إذا صلى المغرب وافاه مدير مخابراته بتقرير عما حدث في بياض النهار، وإذا صلى الفجر قدم إليه تقريراً بما جرى في سواد الليل[2].

وبالإضافة لمراقبة رجال الدولة والرعية وكبار موظفي الدولة[3]؛ كان الخليفة المأمون يهتم ببث مخابراته في أواسط عسكره، وتأتيه التقارير المفصلة عن أحوالهم وما يجري في معسكراتهم[4]، كما كان للمأمون ألف وسبعمائة عجوز من النساء يتفقد بهن أحوال الناس من الأشقياء، ومن يفسد حرم المسلمين[5].

واستخدم العباسيون أجهزة مخابراتهم وعيونهم في مهمات أمنية قتالية للتخلص من معارضيهم، فقد رصدت عيون العباسيين صلات أبي سلمة الخلال (وزير آل محمد) أول وزير للخليفة أبي العباس مع العلويين، عندما حاول تحويل الخلافة إليهم، وقد تم اغتياله سراً بواسطة رجل المخابرات العباسي "مرار بن أنس الضبي"، وأعلن أن الخوارج اغتالوه[6].

---

(1) المهتار، التاريخ العسكري، ص 142؛ شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 161؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 18-19، 139.

(2) الصالح، النظم الإسلامية ، ص 331-332؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 144، 190-191.

(3) ابن الداية، المكافآة وحسن العقبى، ص 62-63؛ الدوري ، النظم الإسلامية، ص 206-207.

(4)ابن طيفور، بغداد، ص 100؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 157.

(5) المنجد، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي، ص 93؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 191؛ الزبيدي، الموجز المنتخب من الحوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد، ص 57.

(6) عمر، طبيعة الدولة العباسي، ص226.

وقام العباسيون باغتيال مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الذي كان قد اشترك مع أخيه الحسين في ثورته في الحجاز سنة 169هـ/785مـ، واشترك في قتال الجيش العباسي في موقعة فخ، وبعد هزيمة العلويين أفلت إدريس، ووصل إلى المغرب الأقصى، وتمكن من إقامة دولة علوية تسمى دولة الأدارسة[1]، فاختار العباسيون رجلاً يُدعى سليمان بن جرير الشماخ للقيام باغتيال إدريس بن عبد الله بسرية تامة، وقد انتحل صفة طبيب بعد تزويده بمبادئ أساسية في الطب ومعرفة بعض العقاقير[2].

كما زودوه بمعلومات مفصلة عن ثورة العلويين بالحجاز سنة 169هـ/785م، ولمّا وصل المغرب ادعى أنه أحد موالي والد إدريس، جاء ليكون بخدمته، وقد تولى الخدمة مع إدريس إلى أن تمكن من اغتياله بقارورة عطر مسمومة واختفى؛ إذ دخل إدريس في غيبوبة تامة لمدة يوم كامل ثم مات، وعندما اشتبهوا بالشماخ وسر اختفائه أسرعوا يبحثون عنه وتمكنوا من أسره وقطع يده، إلا أنه أفلت منهم وتمكن من الوصول إلى بغداد بعد أن نجح في مهمته، وكافأته الدولة العباسية فجعلته رئيساً لمخابراتها في مصر[3].

وعندما رفض محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب وأخوه إبراهيم سنة 145هـ/762م المبايعة للعباسيين؛ بدعوى أنهم أحق بالخلافة منهم، وأخذوا يعملون من خلال تنظيم سري لتحقيق هدفهم؛ وانضم إليهم الكثير من الناس ومنهم الإمام أبو حنيفة؛ أقلق ذلك الخليفة المنصور، فأخذ يخطط لإجهاض حركتهم، فتمكن من تجنيد بعض أفراد مخابراته في صفوف العلويين، وتشجيعهم للخروج بوقت مبكر قبل نضوج الثورة، وأخذ المنصور

---

(1)عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي،ج2/ 421-425؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 146.

(2) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ج199/8. ، ص 146-147.

(3)الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية ص 148-149.

يعمل مع مخابراته على تزوير الكتب على ألسنة كبار قادة الجيش العباسي، ويرسل بها إلى محمد النفس الزكية، موهماً إياه أن هؤلاء القادة يؤيدون ثورته، وأنهم سينضمون إليه ساعة خروجه، ويحضونه على الإسراع في الخروج، فأخذ يخطط على ضوء معلومات غير صحيحة، وقال لأصحابه: "لو التقينا المال و القواد كلهم إليّ"[1][2].

وكان المنصور يرسل الرسائل- أيضاً -على ألسنة الشيعة أنصار محمد النفس الزكية في خراسان ليعلم متى يخرج، وتمكنوا من الاتصال بوالده عبد الله وعرفوا موعد خروجه، كما جند المنصور العبيد والجواري في جمع المعلومات عن محمد النفس الزكية الثائر، يتجسسون الأخبار[3].

وقد تمكن المنصور من اختراق صفوف محمد النفس الزكية ومعرفة مقر قيادته في جبل رضوى قرب ينبع، إلا أن رجل المخابرات الذي علم ذلك وقع في أيدي أنصار محمد النفس الزكية، وقد عمل العباسيون على إخبار أنصاره في خراسان أنه قتل ،وذلك لمنع الإمدادات العسكرية والمادية[4].

أما الرشيد فحين بدأ يشك بنوايا وزرائه البرامكة ، الذين أساؤوا استخدام السلطة، كان أول عمل قام به هو بث العيون والأرصاد حولهم، واستخدم الجواري والغلمان والخدم في ذلك، فقد أهداهم الجواري والغلمان والخدم من جواسيسه ليعلم ما عندهم، فوافته الأخبار بأن البرامكة يتحدثون في مجالسهم بأن الرشيد غير قادر على الإساءة للبرامكة، ويقولون: "إن دولته لم تقم إلا

---

(1)الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج559/7.

(2) الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 150-151.

(3) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج241/1-243، الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 151-152.

(4) الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 152-154.

على أكتافنا"[1]، وكانوا يقولون: "وماذا صنع أبو مسلم الخراساني؟، إنه نقل الملك من أسرة عربية إلى أخرى، بعد أن أزهق ستمائة ألف نفس، وإنما الرجل من ينقل الدولة من قوم إلى قوم بغير سفك دم"[2]، ولهذا انتقل الرشيد من بغداد إلى الرقة سنة 193هـ/808م . بعدما أحضر الفضل ابن يحيى لخراسانية وجعلهم حرساً باسم الكرمينية، ولم يعد الرشيد إلى بغداد إلا عابراً، فقد اتخذ الرقة عاصمة دائمة له، ونقل جعفر بن يحيى البرمكي من رئاسة حرسه، وجعل مكانه القائد العربي هرثمة بن أعين، واختار لحرسه قطعة من الجيش العربي الخالص، ولم ينقل معه غير نفر قليل من الموالي الفرس المخلصين دفعاً للشك والريبة، وبعث الرشيد إلى خراسان عدو البرامكة علي بن عيسى بن ما هان[3]، ومنذ أن وصل علي بن عيسى مدينة الري قطع رواتب جيش العباسية فانحلت صفوفه وتفرقت[4]، وعلم الرشيد من عيونه أن الفضل البرمكي خطب ابنه خاقان الخزر لغاية سياسية، ذلك أنهم فكروا في نقل خيوط الملك إلى أيديهم، وقد سببت هذه المصاهرة الحرب بين الدولة العباسية والخزر سنة 183هـ/799م ؛ لأن العروس ماتت في الطريق إلى بغداد، فظن الخزر أنها قُتلت من قبل العباسيين[5].

وكان العباسيون قد استخدموا في أول عهدهم ،في بلاد الشام، النصارى ليكونوا عيوناً لهم، تترصد من بقي حياً من الأمويين وأتباعهم، إلا أن النصارى لم يقوموا بمهمتهم على وجه مرضٍ، فاستبدل العباسيون بهم المسلمين[6].

---

(1) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج126/9.

(2) المصدر السابق، ج127/9.

(3)المسعودي، مروج الذهب 207/2؛ الزبيدي، الموجز المنتخب من حوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد ، ص 128-129.

(4)المسعودي، مروج الذهب 208/2.

(5)المسعودي، مروج الذهب 208/2؛ الزبيدي، الموجز المنتخب من حوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد ، ص 128-137

(6) فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس،ص50

واستعمل العباسيون رجال البريد ونقاط التفتيش على الحدود لمعرفة كل ما يجري على الحدود، ومن يمر بها[1].

وقد سنت الدولة العباسية عقوبات صارمة على رعاياها الذين يتعاونون مع الأعداء، فكانت عقوبة المسلم المتعاون مع أعداء الدولة القتل، فقد قتل الخليفةُ الهادي مسؤولَ مخابراته في مصر، واسمه "واضح"، لأنه تعاون مع إدريس بن عبد الله وساعده في الهرب إلى المغرب[2]، إلا أن بعض الفقهاء عارضوا قتل المسلم، وحبذوا التعزير والنفي والتعذيب بدل القتل، أما الجاسوس من رعايا الأعداء فيُقتل ويُصلب، والمرأة تُقتل دون الصلب، أما الأطفال فيدخلون في الفيء دون القتل[3].

دور الحمام الزاجل

أدخل الخلفاء العباسيون استخدام الحمام الزاجل في البريد، لما يمتاز به من السرعة الفائقة، ولسهولة إعادة نقله للأماكن التي ستطلقه مرة أخرى، بالإضافة إلى انخفاض كلفة التربية قياساً بالجياد والإبل، ولتكاثره السريع، ولطيرانه دون الحاجة لدليل أو مرشد، ولدقته في الوصول لهدفه، وأيضاً لجمال شكله وألفته[4]، استُخدم الحمام الزاجل في الدولة الإسلامية في نقل الأخبار، ولعل أولى المؤشرات لاستخدامه كانت في العصر الأموي[5]، وقد انتظم استخدامه في العصر العباسي، ففي سنة (180هـ/796م) استعان الرشيد أثناء خروجه إلى مكة بالحمام في نقل أخبار الدولة إليه، فكان لا يشتهي شيئاً من معرفة أخبار الأمصار والبلدان إلا وخط فيه

---

(1) الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص204.

(2) الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ص 158؛ الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، ص 206.

(3) خدوري، الحرب والسلم في شريعة الإسلام، ص 148.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج158/10.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،ج413/14

كتاباً إلى حيث شاء من الأماكن فيأتيه الجواب من يومه في مسيرة شهر أو نحوه على أجنحة الحمام الزاجل[1].

وتورد بعض المصادر إشارات إلى استخدامه في عهدي المأمون والمعتصم؛ حيث جاءت بشارات القضاء على بابك الخرمي سنة (222هـ/836م) عن طريق الحمام الزاجل إلى المعتصم، أن استخدام الحمام الزاجل في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي قد أصبح معروفاً وقيل: لولا الحمام الهدي التي جعلت برداً لما جاز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة ،وحدث بالكوفة في يوم واحد ،حتى إن الحادثة لتكون بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة عشية ذلك اليوم[2].

دور الشرطة

لقد عبر القائد أبو يعلى الحنبلي عن اهمية الأمن الداخلي بقوله: حماية البيضة، والدب عن الحوزة، ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين، وإقامة الحدود، ولضمان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده عن الإتلاف والاستهلاك، وقد أولى الخلفاء العباسيون جهاز الشرطة والحرس أهمية كبيرة، لما له من أثر حفظ أحوال الأمن الداخلية[3].

وقد عدَّ العباسيون جهاز الشرطة والحرس من الأجهزة الإدارية المهمة في دولتهم ،وذلك بعد انتصارهم على الأمويين[4]، ومن الأعمال التي أسندت لصاحب الشرطة حمل الحربة، والسير أمام الخليفة أو الوالي، وإقامة الحدود، وحفظ النظام، وتقرير أصحاب الجنايات حتى يعم

---

(1)فوزي، تاريخ النظم الإسلامية ، ص 237

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج252/2؛ الزبيدي، الموجز المنتخب من حوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد ، ص 154.

(3) الماوردي ،الأحكام السلطانية، ص27.

(4) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص376

الأمن الداخلي وتستقر الأحوال ،و يوجد له مهام سياسية، ويوجد لصاحب الشرطة نائب يقوم مقامه في حال غيابه[1].

وكان على أصحاب الأرباع مهمة السهر على حماية الأعراض والأموال والأنفس[2].

أما أصحاب المسامح فتتلخص مهمتهم في حفظ الأمن والنظام في المنطقة المحدودة لهم، والقبض على الخارجين على الدولة، ويتوجب على أفراد القوات المسلحة الحيطة والحذر[3].

فمن الناحية النظرية، ذكرت المصادر من أعمال جهاز الشرطة أنه يقع على عاتقه مهمة حراسة الخلفاء، وكبار رجال الدولة، من الأمراء، والولاة، والوزراء، بالإضافة إلى حراسة دوائر الدولة المختلفة، مثل: الدواوين، وبيوت المال، وجمع الجند عند النفير، كما كان جهاز الشرطة يساند الحكام وأصحاب المظالم وجهاز الحسبة والقضاء، وحراسة المنشآت الاقتصادية، بالإضافة إلى حراسة السجون وخزائن السلاح [4].

الوقائع والأحداث التي كان يقوم بها جهاز الشرطة:

1. حماية الخلفاء وولاة الأنصار، فهو المسؤول الأول عن سلامة الوالي، وكان صاحب الشرطة من القادة المقربين، ووليَ أول وال على ذلك بأمر من أبي جعفر المنصور، فبعد أن قتل أبا مسلمة الخراساني همّ بقتل أبا إسحاق صاحب حرس أبي مسلمة، وهو نصير بن مالك، صاحب شرطة أبي مسلمة، إلا أنه قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، جنده جندك، أمرتهم بطاعته فأطاعوه [5].

---

(1)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج107/7.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج251/10؛ الرحموني، نظام الشرطة، ص170.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج288/10؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج211/10؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص135.

(4) البطانية، الحضارة الإسلامية، ص173.

(5) ابن الجوزي، المنتظم ج12/8.

2. فاستدعى الخليفة أبي اسحاق، وقال له: أنت المبايع لعدو الله أبي مسلمة على ما كان يفعل؟ فقال الخليفة: والله ما آمنته يوماً واحداً، وما جئته يوماً إلا وقد تكفنت وتحنطت، فقال له الخليفة: استقبل طاعة خليفتك، واحمد الله الذي أراحك من الفاسقة[1].

3. وبعد مقتل أبي مسلمة الخراساني تجمع الجند حول القصر فادعا الخليفة أبو جعفر أبا إسحاق صاحب الحرس، وقال له: أقسم بالله لئن طنباً من أطنابي لأضربن عنقك، ثم لأجاهدنهم، فخرج أبو إسحاق لجند أبي مسلم وقال: إن الأمر انتهى، وأمرهم بالانصراف [2].

ويرى الباحث :أنه لولا أصحاب الحرس أو الشرطة من الشخصيات المهمة بالنسبة للوالي لما همّ أبو جعفر المنصور بقتلهما، ولما كلفهم بمهمة تفريق جند أبي مسلمة الخراساني، وهم بمثابة عين على الجند لنقل أخبارهم إلى الخليفة.

4. القضاء على الفتن داخل المدن، لقد وصلت الرسالة لأبي جعفر المنصور عام 141هـ/759م بأن قوماً من خراسان يقولون بتناسخ الأرواح، فيزعمون أن روح آدم عليه السلام حلقت في عثمان بن ناهيك صاحب حرس المنصور، وأن المنصور هو ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم، وأن الهيثم بن معاوية هو جبريل [3].

5. وورد أنهم أتوا القصر المنصور بالهاشمية [4]، فجعلوا يطوفون ويقولون: هذا قصر ربنا، فحبسهم المنصور، وبعد فترة خرجوا من السجن، ومن ثم محاصرتهم من قبل أبي النصر مالك ابن الهيثم[1] .

---

(1)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج492/7.

(2) ابن الجوزي، المنتظم ج14/8.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج505/7؛ المسعودي ،مروج الذهب، ج20/2؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج165/5؛ ابن العبري، تاريخ ابن العبري ص122؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ج264/10؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون مج227/3.

(4) عاصمة الدولة العباسية قبل بغداد تقع بالقرب من الكوفة، الحموي، معجم البلدان ج389/5.

6. وكان لجهاز الشرطة دور كبير في القضاء على هذه الحركة؛ حيث إن خازم بن خزيمة جاء صاحب الشرطة على فرس محذوف [2]، فقال يا أمير المؤمنين: أقتلهم؟ فقال المنصور: نعم، فحمل عليهم هو وأصحابه حتى ألجأهم إلى ظهر حائط فكروا عليه، واتفق مع الهيثم ابن شعبة عندما يكرون علينا مرة أخرى اسبقهم إلى الحائط فاستقبلهم بسيوف الجند [3].

ومن الملحوظ مرة أخرى أن جهاز الشرطة يقدم دائماً خيرة قواده من أجل استتباب الأمن، وأخذ المعلومة الصادقة من المصدر نفسه، فكانت حياة عثمان بن ناهيك ،صاحب حرس المنصور قرباناً لهذه الحركة، إذ جاءهم وكلمهم فرجع فرموه بنشابة' فوقعت بين كتفيه فمرض أياماً ومات منها [4].

وظهرت حركة سميت بالخرمية [5]، وكان لجهاز الشرطة له دور كبير في القضاء على هذه الثورة، ففي سنة 218هـ/833م حينما بويع بن المعتصم بالخلافة دخل خلق كثير في دين الخرمية وتجمع فيهم بشر كبير، فحاول الخليفة المعتصم القضاء على هذه الحركة، فأوكل هذه المهمة لقائد الشرطة إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بعد قيادته لجيش عظيم، فقهرت الخرمية وقُتل منهم خلقٌ قدر بمائة ألف مقاتل، وعاد إلى بغداد عام 219هـ/834م ومعه أسارى منهم

---

(1) أحد الثائرين الاثني عشر الناهضين بأعباء ونشأة الدولة العباسية الذين قاموا بخرسان مع أبا مسلمة الخراساني وكان أبو جعفر المنصور يبجله(الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج562/6، ج107/7؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج327/2؛ الذهبي، تاريخ الذهبي ج513/10.

(2) فرس محذوف أي مقصوص شعر الذنب، الوسيط، ص162.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف ج236/3؛ الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج506/7.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج506/7

(5)هي طائفة التي تدعي بالمسلمية القائلون بأن أبا المسلم بأنه لم يمت وإن مات حتى يظهر ويملئ الأرض عدلاً وفرقة أخرى منهم أيقنت بموته ونادت بإمامة ابنته فاطمة وتعددت فرق الخرمية فظهر في زمن الخليفة المأمون والمعتصم فمنهم بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتصم بمنطقة أذربيجان

[1]، وفي عهد الخليفة المعتصم 218هـ/833م كان خروج المحمرة بالجبل فقتلوا، وقطعوا الطريق، وخافوا السبيل، وتعرضوا لحجاج الخرسان، وقتلوا منهم خلقاً، فوجه المعتصم إليهم هاشم بن باخور، وهزم في بداية الأمر الذين استدعى الخليفة إليهم صاحب المهام الصعبة إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة فاستطاع أن يقتل منهم عدداً كبيراً، ولم يعد إلى العاصمة إلا بعد أن أصلح البلد، بعد أن نالته منهم شدة عظيمة [2].

6. ومن المهام التي أوكلت للشرطة في الحفاظ على النسيج المجتمعي في الدولة الإسلامية في عصر الخلافة العباسية؛ تطبيق حدود الشريعة، حيث ذكرت بعض المصادر التاريخية أن الشاعر ابن هرمة [3] كان يشرب الخمر، فطلب من أبي جعفر أن يكتب إلى عامل المدينة ألا يحد عليه حد السكر وإن وجده سكراناً، فقال الخليفة له: لا أعطل حداً من حدود الله، فاحتال له الخليفة وكتب إلى عامله في المدينة: "من أتاك من ابن هرمة سكراناً فاجلده مائة جلدة، وأجلد ابن هرمة ثمانين جلدة، فقد كان رجل الشرطة إذا مر بابن هرمة وهو سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين فيتركه ويمضي [4].

ويرى الباحث: عند ربط اليوم بالأمس، أن شرطة الطرقات تحفظ النظام والأمن، وتعطي الرجل الحق في القبض على كل من تسول له نفسه الإتيان بعمل تحرمه الشرطة أو يمنعه

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج8/667.

(2) المصدر السابق ج8/167.

(3) هو الشاعر بن العلي الكناني الملقب بابن هرمة (ت، 161هـ/778م)وهو من أصحاب هارون الرشيد .السيوطي، تاريخ الخلفاء ص323.

(4) البلاذري، الأنساب الأشراف ج3/225؛ الأصفهاني، الأغاني، ج4/368؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ص323.

القانون، وكان صاحب الشرطة يقيم حد الردة حسبما أورد ابن تيفور، بأن كان رجل تنصر فأراد الوالي أن يقيم عليه الحد إلا أنه أنكر النصرانية فعفا عنه [1].

ويلاحظ من الحادثة أن صاحب الشرطة له الحق في إقامة الحد عن المرتد في الإسلام.

7. القضاء على الشخصيات المناوئة للدولة، فقد شهد العصر العباسي الأول تطوراً في نظام الشرطة من حيث نموه وترسيخه جهازاً رسمياً شرعياً على مستوى الدولة؛ حيث أصبح جهاز الشرطة والحرس مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن توفير الأمن، وإقرار النظام في جميع ولايات الدولة الإسلامية، وأصبح جهاز الشرطة المدافع الأول عن النظام السياسي العباسي، وحمايته من الطامعين، بناء على شبكة جواسيس وعلوم منتشرة في أرجاء الدولة الإسلامية، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، إذ عهد أبو العباس السفاح في الشرطة إلى موسى بن كعب، أحد النقباء الاثني عشر[2]، ويرى الباحث أن هذا يدل على أن صاحب الشرطة كان ممن يثق بهم الخليفة كل الثقة، إضافة إلى الإخلاص والعمل الجاد لصاحب الشرطة.

8. المساهمة في التخلص من أفراد البيت الأموي؛ إذ امن السفاح سليمان بن هشام لوجود مودة قديمة[3] .

9. إلا أن أبا مسلمة الخراساني أوغر صدر السفاح فقتل سليمان بن هشام بحجة وجود تقارير كيدية بأنه يتراسل مع أعداء الخليفة، وقضى عليه وقتله عام 134هـ/752م[4].

وذكر ابن تغري بردي "أن أبا مسلمة الخراساني أرسل إلى السفاح رسالة طويلة، ولم يلتفت إليها السفاح، وقال فيها: إن الشجرة الملعونة قد تبقى منها فرع ملعون"[1]، ولكن أبا مسلمة

---

(1) كتاب بغداد، ص13.

(2) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،مج453/5؛ الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج464/7.

(3) الأصفهاني، الأغاني ج35/4.

(4) فوزي، الخلافة العباسية ج43/1.

لم يغلب على آمره، فأرسل شاعراً أوغل صدر العباس بأن يقتل سليمان بن هشام[2]، وفي نهاية المطاف أمر صاحب الشرطة عبد الجبار الأسدي بتنفيذ حكم الإعدام، فأمر المسيب بن زهير فقتله[3].

قتل أبي مسلمة الخراساني[4]:

عندما دعاه الخليفة إلى بيت الخلافة، بعد وصول تقارير مفادها أن أبا مسلمة يزعم أنه ابن سليط بن عبد الله بن العباس، وأنه قام بقتل سليمان بن كثير – وهو من النقباء الاثني عشر – بعد أن قرأ عليه الخليفة التقرير صفق لعثمان بن ناهيك فقتل أبا مسلمة [5].

ويرى الباحث أن جهاز الشرطة والحرس له دور فاعل يرأسه الثقاة والمخلصون من القادة، ومن أهم واجباته التخلص من المعارضين، ومن يشك في نواياهم خاصة ممن يتبوؤون مراكز حساسة، أو من لهم باع طولى في السياسة والإدارة، أمثال أبي مسلمة الخراساني، فحينما وصلت المعلومة بدليل ما كان يفكر فيه من أطماع سياسية في الملك أخذ الخليفة يعد العدة، ويخطط فكان المآل إلى جهاز الشرطة والحرس لتنفيذ ما يرموا إليه من أمر جسيم.

---

(1) النجوم الزاهرة ج333/1.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج486/4؛ الدينوري، عين الأخبار ج208/1؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج355/5.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف ج163/3؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج360/2.

(4). هو أبا مسلمة الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم، فارسي الأصل من أهل خرسان كان اسمه إبراهيم ويكنى أبا إسحاق فسماه إبراهيم الإمام عبد الرحمن وكناه أبا مسلم وقبل ولاءه بعد ما رأي من فهمه وحسن عقله (مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية ص254) وذكر أن أبا مسلم لم ير ضاحكاً ولا ممازحاً وكان قليل الرحمة قاسي القلب سوطه سيفه، المقدسي، البدء والتاريخ مج93/2؛ الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج198/7؛ المسعودي مروج الذهب ؛ ابن الجوزي، المنتظم ج64/8؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج254/5؛ ابن الكثير، البداية والنهاية ج67/10؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ج215/3.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج488/7؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ص80؛ ابن الجوزي، المنتظم ج11/8؛ البلاذري، أنساب الأشراف ج204/3؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج367/2؛ الدينوري، الأخبار الطوال ص381؛ المسعودي مروج الذهب ج303/3.

قتل عبد الجبار الأسدي:

استعمل أبو جعفر عبد الجبار على خراسان، وبعد رسائل عدة ساءت سيرته، ومن هذه المعلومات بأنه يقتل رؤساء أهل خراسان ويشيع للعلويين [1]، وأتاهم بعده العيون برسالة مفادها قتل نغل الأديب[2]، فأمر بقتله، وأمر الخليفةُ صاحبَ الشرطة المسيب بن زهير بقطع يديه ورجليه وضرب عنقه، بعد أن صادر جميع أمواله[3].

دور القضاء

يقول ابن خلدون: "فاعلم إن الخطط الشرعية من الصلاة والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى، أما القضاء فهو من الوظائف الداخلية تحت الخلافة ؛ لأنه منصب للفصل بين الناس في الخصومات"[4].

هيئة مجلس القضاء:

ورد ذكر مجلس القضاء عند ابن الجوزي، أن هذا المجلس لا ينعقد إلا بحضور مجموعة من الموظفين كانت الدولة قد خصصت لهم أرزاقاً تدفع لهم لقاء ما يقومون به من عمل[5]، ومن بين الموظفين الذين كان المجلس لا ينتظم إلا بهم القاضي والأعوان، فمهمة القاضي دراسة القضايا التي تعرض عليه في المجلس، ومن ثم إصدار الحكم الذي تقتضيه كل

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف ص227؛ الذهبي، تاريخ الذهبي ج141/7.

(2) أي فسد في الدباغ والنقل والإفساد في القوم وهو كناية عن ما آلت إليه البلاد من الفساد بسبب السياسة التي أتبعها الوالي. ابن منظور، لسان العرب ج670/11.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج508/7؛ ابن الجوزي، المنتظم ج31/8.

(4) مقدمة ابن خلدون، ص220؛ النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ص110.

(5)ابن الجوزي، المنتظم، ج64/6.

قضية[1]، وأما الأعوان فهم طائفة لا يمكن للقاضي أن ينظر في دعاوى الخصوم ويستكمل الإشراف على أمور مجلسه بدونهم [2]، ويعدّ الأعوان بطانة القاضي، فهم الملتفون حوله، مثل: المحضر، والبواب، والجلواز، وحامل الدواة، وجميع هؤلاء يتقاضون أرزاقهم من بيت المال، ولا يجوز لهم أخذ أي مبلغ من الخصوم حتى لا يكون ذلك رشوة[3]. وأهم أعوان القاضي: المحضر، وهو الذي يبلغ المدعَى عليه ضرورة الحضور إلى مجلس القضاء للنظر في دعوى خصمه، وكان المحضر ذا صفة رسمية في حمله لخاتم القاضي[4]، وأما الجلواز: فهو الشرطي الذي يتولى ضبط المجلس وتأديب من يتطاول من الخصوم[5]، والقاضي في بغداد لم يكن ينظر في خصومات الناس لوحده، إنما شاركه في سلطته أجهزة إدارية ذات صبغة قضائية، فجهاز الشرطة كان صاحب نظر في ما يشبه القانون الجنائي وضبط الأمن الداخلي وديوان المظالم[6].

وكان القضاة يقومون بإعداد التقارير اليومية للخليفة عن ديوان القضاء؛ ليتبين للخليفة ماهية القضايا الخاصة بعامة الناس[7].

ويرى الباحث أن مهنة القضاء توكل لشخصية فقيهة في الشرع وأمور الناس، ولكن يقع على عاتقها إبلاغ الخليفة بما يدور من قضايا خاصة لعامة الناس ليتعرف الخليفة على هموم الرعية ومتطلباتها.

ديوان المظالم

---

(1) الأنباري، النظام القضائي ص282.

(2) المرجع السابق ص310.

(3) ابن الجوزي، المنتظم ج204/10؛ الأنباري، النظام القضائي، ص311

(4) الماوردي، أدب القاضي ج322/2.

(5) ابن حيان ،أخبار القضاة ج193/1.

(6) الماوردي، الأحكام السلطانية ص80.

(7) الماوردي، أدب القاضي ج318/2.

يعرّف ابن خلدون النظر في المظالم بقوله: "وظيفة ممتزجة من سطوة السّلطنة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علوّ يد وعظيم رهبة تقمع الظّالم من الخصمين وتزجر المتعدّي"[(1)].

وقد ظهر قضاء المظالم نتيجة لتطور نظام القضاء في الدولة الإسلامية، ليطلع الدور الرقابي على أعمال الإدارة في الدولة [(2)].

ويرى الباحث أن قضاة المظالم أتوا لإنصاف من يتظلم من أفعال وتصرفات ذوي النفوذ والسلطان من رجال الدولة وأصحاب مراكز القوة، في ما يستمدون قوتهم من الاتصال بسلطة الحاكم أو أشخاصها.

ديوان الحسبة[(3)]:

تطور نظام الحسبة في العصر العباسي، فشددت الدولة رقابتها على الأسواق، وتابعت سير التعامل التجاري والمالي فيها، فكان للخليفة أبي جعفر المنصور موظفون يزودونه بكل ما يتم في الأسواق من تعاملات تجارية[(4)]، وكان الخليفة هارون الرشيد يراقب الأسواق بنفسه، خاصة أسواق بغداد بعد بنائها؛ حيث ذكر الماوردي أن الحكومة كانت تضع على الأسواق حراساً في الليل منعاً للسرقات[(5)].

وللمحتسب المعيّن من السلطان اتخاذ أعوانٍ له لإنكار المنكر، وله أن يعزر في المنكرات الظاهرة التي لا يتجاوز بها الحدود[6]، وكان المحتسب يباشر مهامه بمعاونة رجال من الشرطة، كي يؤدي جهاز الحسبة مهامه على أحسن وجه، ويرى الباحث أن مهمة صاحب الشرطة

(1) مقدمة ابن خلدون، ص276.

(2) الأنباري، النظام القضائي ص312.

(3) سوف يناقش موضوع الحسبة بتفاصيل اكثر في للفصل الثالث ص 172

(4) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج653/7.

(5) الأحكام السلطانية، ص241.

(6) ابن الأخوة، معالم القربى، ص10

والمحتسب تقوم على المحافظة على أمن المجتمع وسلامته، عن طريق تتبع المجرمين والمنحرفين ومخالفي النظام والشرع وردعهم، للمحافظة على الآداب العامة، والأخلاق الإسلامية والالتزام بها، وكانت الأسلحة التي يستخدمها المحتسب لتحقيق الغاية من عمله السوط، الدرة. وفصل الشيزري وابن الأخوة نوع السوط، فذكرا أن السوط يجب أن يكون وسطاً، لا شديد ولا رقيقاً ليناً[1].

وكان للمحتسب رسائل خاصة به يرسلها إلى الوالي بعد أن تصله من أعوانه الذين ينقلون له الأخبار وأحوال السوق[2].

---

(1) نهاية التربة في طلب الحسبة ص9؛ معالم القربة، ص184.

(2) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص10.

الفصل الثالث

الأمن الداخلي في الخلافة العباسية

الفصل الثالث

الأمن الداخلي في الخلافة العباسية

الأخطار الأمنية الداخلية ومكافحتها

الحقبة الأولى (132-158هـ/750-775م)

واجه أبو جعفر المنصور عدداً من الأخطار الداخلية التي هددت كيان دولته؛ الأمر الذي تطلب منه الحزم والسرعة في الرد عليها، وهو الذي يعدّ أن السياسة لا علاقة لها بالأخلاق، وأن كل عمل في سبيل تثبيت السلطة له ما يبرره، وعلى هذا الأساس من الميكافيلية لجأ إلى الاغتيالات، متخلصاً من الذين عدّهم منافسين له، وبعد التقارير الأمنية الصادرة عن ديوان البريد والخبر للخليفة أبي جعفر عن عمه عبد الله بن علي، وكل فحواها أن عمه بعد أن قام بالقضاء على الأمويين وتوحيد الجيوش يتطلع إلى ولاية العهد[1].

أ. التخلص من عمه عبد الله بن علي:

كان الخطر الأول الذي واجه المنصور عمه عبد الله بن علي ،الذي كان له الدور الأكبر في القضاء على الأمويين وتوحيد الجيوش العباسية الناشئة تحت إمرته، ما جعل له مكانة كبرى في ظل الدولة الناشئة، تطلعه إلى ولاية العهد[2]، فأوكل المهمة السرية ،التي كلف بها أبا مسلمة الخراساني ،هي قتل عمه، وكانت عن طريق خطة عسكرية أمنية شديدة التعقيد والدقة، مفادها أن يقوم أبو مسلم الخراساني بإعداد جيش، ويكوّن جيشه من أهل الشام والجزيرة[3]، والخطة كانت بأن يسير الجيش من العراق إلى الشام، فيدب الرعب في قلب عمه، فيقوم بقتل الجنود الخراسانيين في جيشه[4]، فكانت أعين المنصور مستمرة في المعركة، وكانت الهزيمة في المعركة من نصيب عمه سنة 137هـ/754م، وكانت المبايعة لعمه حتى إذا وصل

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج473/4.

(2) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيةج18/1.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج476/4

(4) المصدر السابق، ج470/7

أخاه والي البصرة وتم تسليمه لأبي جعفر بعد الوساطة سنة 139هـ/756م بأن لا يُقتل، وكانت الدواعي الأمنية والعسكرية أن أبا جعفر يقوم بحبسه فقط، وحتى تاريخ وفاته سنة 147هـ/764م؛ فهو ما أن علم بوفاة أبي العباس – الخليفة– في أثناء الطريق المؤدية إلى الثغور لغزو الروم البيزنطيين، حتى قفل راجعاً لانتزاع الخلافة لنفسه من المنصور[1].

ولم يجد الخليفة الجديد – أبو جعفر المنصور– أمامه حلاً سوى الاستعانة بأبي مسلم الخراساني للقضاء على عمه عبد الله بن علي، الذي كان قد تمركز في نصيبين على الطريق المؤدي إلى الشام، وتحت إمرته جيش كبير يتألف من أهل الشام والجزيرة، وقد حفر خندقاً كبيراً حول معسكره بعد أن اختزن قدراً كبيراً من الزاد والسلاح، وكان المنصور يأمل في استمالة الخراسانيين من جيش عمه عن طريق أبي مسلم الخراساني[2].

وتحققت الآمال بعد أن سار أبو مسلم الخراساني من العراق متظاهراً بأنه يريد الشام؛ لأن المنصور قد ولّاه عليها، وأنه لم يأمره بقتاله، فتخوف عبد الله بن عليّ من الخراساني وارتكب حماقة كبرى عندما غدر جنوده ورجاله بالخراسانيين[3]، وقتلهم جميعاً خوفاً من انضمامهم إلى أبي مسلم بسبب العصبية، كذلك أثارت مخاوف الكثير من جنده، فأوجسوا خيفة منه أن يغدر

(1) المسعودي ،مروج الذهب 289/3–290.

(2) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيةج272/1.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ، ج475/7.

بهم أيضاً، وكاد يغدر بأحد كبار القوّاد المرافقين له، وهو حميد بن قحطبة[1]لو لم يكتشف هذا الأمر وينجو بنفسه بانشقاقه عنه لتم قتله[2].

ومهما يكن الأمر، فقد استطاع أبو مسلم الخراساني إنزال الهزيمة بجيش عبد الله بن عليّ، ويضم نصيبين سنة 137هـ/754م، فيؤثر الأخير الفرار على الصمود، واللجوء إلى أخيه سليمان ابن عليّ[3] والى البصرة – وهو الذي سلمه بدوره إلى المنصور سنة 139هـ/756م بعد أن أخذ له أماناً من الخليفة نفسه، فوضعه المنصور في السجن حتى وفاته سنة 147هـ/764م[4].

ب. التخلص من أبي مسلم الخراساني:

ازداد طغيان أبي مسلم الخراساني بعد انتصاره على عبد الله بن عليّ؛ بقدر ازدياد غضب أبي المنصور وقلق باله وحذره منه؛ إذ أضفى عليه هذا الانتصار مكانة جديدة فوق مكانته السابقة، حتى غدا رجل الدولة الأول، وصاحب القوة والبطش فيها، وهو أمر كان لا يحتمله الخليفة المنصور[5].

وتصرف المنصور وفق ما عرف عنه من حسٍ أمني عالٍ– لدرجة الهوس من دهاء وحزم وفكر أبي مسلم ، فاستدرج ليقع في شرَكه، بإرساله كتاباً إليه، كما أورده الطبري في تاريخه، يقول فيه: "إني قد وليتك مصر والشام، فهي خير لك من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت،

---

(1) حُمَيد بن قَحطَبة بن شبيب الطائي، أحد الناشطين في الدعوة إلى العباسيين في خراسان و أحد القادة العسكريين ، لعب دوراً بارزاً في وصول بني العباس إلى السلطة، ولقد قاد برفقة أبي مسلم الخراساني معارك كثيرة كانت نتيجتها الإطاحة بالحكم الأموي، عينه أبو جعفر المنصور والياً على مصر سنة 143 هجرية، ثم عين والياً على خراسان سنة 151 هجرية وبقي والياً على خراسان حتى وفاته سنة 159 هجرية.المسعودي، التنبيه والإشراف،ج305/1–310.

(2) المصدر السابق ج 475/7.

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج479/7.

(4) ابن الطقطقي ،الفخري في الآداب السلطانية،168.

(5) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 35.

وأقم بالشام حتى تكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحببت لقاءك أتيته من قريب"[1]، وأرسل المنصور إليه رسولاً يدعى "يقطين" يحصي عليه الغنائم التي غنمها في حربه مع عبد الله بن علي، مما أغضب أبا مسلم فقال :" أمين على الدماء خائن في الأموال"[2].. وشتم أبا جعفر. فلما اطلع أبو مسلم على الكتاب من يقطين، غضب وقال :"هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي؟"[3]، وصمم على الذهاب إلى خراسان.

عندها عمد المنصور مرة أخرى للحيلة، وتوجه إلى المدائن بعد أن كتب إلى أبي مسلم بالمسير إليه، لكن أبا مسلم لم يقبل وتوجس خيفة من الذهاب إلى المدائن، وكتب إلى الخليفة يقول: "... نحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك، ضناً بنفسي"[4].

لكن المنصور استخدم أسلوب الترغيب والترهيب مع أبي مسلم، ومنح خليفة الخراساني على جند خراسان إمارتها مدى الحياة، مما جعل هذا الأخير[5] يقطع صلته بأبي مسلم، وبالتالي أغلق أبواب خراسان في وجهه. عندئذ لم يعد باستطاعة الخراساني سوى التوجه إلى المدائن لموافاة الخليفة ليأمن على نفسه. ثم نفذ الخطة التي أعدها مسبقاً للفتك به بمواجهته بالتهم المنسوبة إليه، وأخيراً أمر رجاله المسلحين بقتله في مجلسه سنة 137هـ/754م[6]

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ، ج483/7

(2)المسعودي ،ومروج الذهب ، ج 290/3.

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج 482/7.

(4) المصدر السابق ج483/7.

(5) المصدر السابق ج485/7-486.

(6) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص170.

وبعد مقتله ،وهنا يظهر الحس الأمني العالي عند أبي جعفر منصور حيث قام باغتيال أبو مسلم الخراساني وكيف تعامل مع القادة الخراسانيين، وحسب المعلومات الواردة له بأن ولاء الجند والقادة لأبي مسلم الخراساني فأعطاهم الأموال والهدايا لتهدأ نفوسهم[1].

ولم تنته المصائب للمنصور بنهاية حياة رجل كان له الفضل الأكبر على دولة بني العباس، بقضائه على أعدائها، ثم دفع في النهاية ثمن ما حققه لنفسه من مجد. فكانت نتيجة ذلك ظهور فرق دينية غريبة عن الإسلام وكان أصحابها يظهرون الإسلام ويبطنون ديانتهم المجوسية القديمة؛ إذ حينما قتل أبو مسلم الخراساني أعلنوا الثورة في وجه الدولة العباسية لقتلها رمز حركاتهم الدينية[2].

ج. المسلمية[3]:

ومن هذه الحركات، الحركة المعروفة بـ "المسلمية" نسبة إلى أبي مسلم، التي تتوافق في مبادئها مع مبادىء الخرمية، و المزدكية [4] القديمة، وقد تزعم هذه الحركة رجل من أتباع أبي مسلم يدعى سنباذ[5]، بدأ ثورته في نيسابور سنة 137هـ / 754م، ونادى بإمامة أبي مسلم، وقال

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية ج210/10.

(2) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 37.

(3)من رؤسائها سنباذ ،الذي خرج في نيسابور يطالب بدم أبي مسلم الخراساني، ولكن المنصور سير إليه جيشاً بقيادة جهور بن مراد العجلي هزمه وقتله وقتل أتباعه وذلك سنة 137 (المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص194؛ ابن الأثير، ج5، ص481).

(4)إن خرم هي زوجة مزدك، هربت بعد مقتل زوجها سنة 531م من المدان إلى الري واستمرت تبشر بمبادئ زوجها التي تقوم على شيوعية الأموال والنساء كوسيلة لإزالة الخلافات بين الناس ،فسمي أتباعها بالمزدكية نسبة إلى زوجها وبالخرمية نسبة اليها. واستمر هذا المذهب حياً في خراسان حتى مجيء أبي مسلم الذي نجح في ضم هذه العناصر إلى دعوة بني العباس، المسعودي، مروج الذهب، ج293/3-294.

(5) سنباذ: ذكر أن سنباذ هذا كان مجوسياً، من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أهن، كان من أتباع أبي مسلم الخراساني، ولما قتل أبو مسلم عام 137 هـ، ثار سنباذ مطالباً بثأره، وكثر أشياعه من الخرمية والمزدكية في بلاد خراسان. المسعودي ، مروج الذهب ج 293/3-294؛ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص171.

بأنه لم يمت، ولن يموت حتى يظهر ويملأ الأرض عدلاً ورحمة ، ويعيد دولة المجوس ويزيل ملك العرب. لكن المنصور أرسل إليه جيشاً كبيراً تمكن من هزيمته بعد سبعين يوماً من قيام حركته[1].

د. الراوندية[2]:

حركة أخرى ظهرت بعد مقتل أبي مسلم الخراساني هي حركة "الراوندية نسبة إلى قرية "راوند"[3] بالقرب من أصفهان.

يعتقد الراو نديون بتناسخ الأرواح، ويقولون بأن روح آدم حلت في الأنبياء، إلى أن تنتقل من ثم إلى أبي مسلم، وإن روح الله حلت في أبي جعفر المنصور، وقد انتقل بعضهم من خراسان إلى هاشمية الأنبار سنة 141هـ/758م، وأخذوا يطوفون بقصر الخليفة وينادون المنصور بقولهم:" أنت، أنت، أي أنت ربنا" وقد حاربهم المنصور بشدة واتخذ لنفسه من ذلك الوقت حرساً خاصاً من سلاح الفرسان لحراسة القصر ليلاً و نهاراً[4].

هـ. التخلص من العلويين:

وحسب التقارير الواردة من العيون عن حركة العلويين بأنهم ينوون عدم الاعتراف بحق البيت العباسي بأجمعه في الخلافة، وهذا الخطر هو خطر العلويين من بيت الحسن بن علي[5]،

---

(1) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 37.

(2). الراوندية فئة تنسب إلى أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندي(ت- 303هـ)وقد كان معتزلياً، ثم صار شيعياً، ثم تغير إلى الزيغ والإلحاد وله مؤلفات تمثل ذلك الاضطراب الذي تقلب فيه الدنيوري ،الأخبار الطوال، 384ص.

(3) قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان الحموي، معجم البلدان ج190/3.

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج256/2.

(5) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج246/3.

في حين أن بيت الحسين بن علي[1] الذي كان يمثله الإمام جعفر الصادق[2] آنذاك– آثر التريث ولم يشترك في الثورة ضد أبي جعفر المنصور. والمعلومات كأنها تشير أن من قام بالثورة هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية[3] ومعه أخوه إبراهيم بن عبد الله. كان محمد النفس الزكية قد بايعه بنو هاشم بالخلافة في أواخر العصر الأموي، ومن جملة الذين بايعوه كان المنصور نفسه؛ لذلك رأي أنه أحق بالخلافة من العباسيين، وكان المنصور ذو الحس الأمني العالي يعرف ما يدور في خلد محمد النفس الزكية بأنه أصلاً قام بمبايعته في العهد الأموي، استناداً إلى حقه الشرعي بصفته حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب، ورفض مبايعة أبي العباس بالخلافة، ثم اختفي مع أخيه إبراهيم عندما أدى أبو جعفر المنصور وأبو مسلم الخراساني فريضة الحج على عهد أبى العباس[4].

وقد اجتمع، للقائه بالمدينة، بنو هاشم فعرف المنصور عند اختفاء محمد وأخيه عن المبايعة، بأنهما سوف يقومان بشيء كبير ضده وضد الخلافة العباسية، فكانت العيون التي يتمسك بها الخليفة وتقاريرها التي تعدها، وبناءً على هذه المعطيات يقوم بأخذ القرار المناسب وكان الإجراء الاستباقي الذي قام به أبو جعفر بعد أن حج[5].

---

(1) أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي . المصدر السابق، ج280/3.

(2) جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله ، ريحانة النبي –صلى الله عليه وسلم– وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن شيبة ، وهو عبد المطلب بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي ، الإمام الصادق شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي ، الهاشمي ، العلوي ، النبوي ، المدني الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج255/3.

(3) المسعودي ،مروج الذهب ج 290/3–298.

(4)ابن الأثير ، والكامل في التاريخ 373/4–376.

(5) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 38.

سنة 140هـ/757م أن قام باستدعاء عبد الله بن الحسن وسأله عن ولديه محمد وإبراهيم، أنكر معرفته بمكانهما، وأمر ولاته في الحجاز بمراقبة بني الحسن والتضييق عليهم ،ثم أنكر المنصور حينما حج سنة 144هـ/761م. بالقبض على آل الحسن جميعاً وإرسالهم إلى العراق وسجنهم بالكوفة بعد مصادرة أموالهم؛ لأنهم يتسترون على المكان الذي يوجد فيه محمد النفس الزكية[1].

وأخيراً ظهر محمد النفس الزكية، بعد أن بشر العيون خيرتهم بترويج الدعاية له والتظاهر بأن دعوته قد عمت الأقطار، وأن قواد المنصور تعاطفوا مع دعوته وهم ينتظرون ظهوره، أو ممكن أن نقول بفعل فقدانه الصبر على التستر لما لحق بأهله بسببه.

فالمهم أنه انخدع وظهر بالمدينة مع جماعة تقدر بـ (250)رجلاً في أول رجب 762/145م استطاع بهم أن يستولي على المدينة، ويقهر عاملها العباسي رباح بن عثمان بن حيان المري [2] لانضمام سائر من فيها إلى جانب محمد النفس الزكية، فأتى إلى السجن وأخرج من فيه، ثم صعد إلى منبر الحرم ليخطب في الناس منددا بأبي جعفر المنصور، داعياً لنفسه، معلناً أن جميع الأمصار معه: "والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذت لي فيه بيعة"[3]. وهذا يؤكد ما كان يقوله لإتباعه: ولو التقينا مال إلي القواد كلهم[4].

لكن هذا الظن وذلك التقدير من قبل محمد النفس الزكية أوقعاه في شرك الحرب ليقاتل العباسيين منفرداً، وبخاصة لأنه كان قد اتفق مع أخيه إبراهيم على أن يخرج بالبصرة في الوقت

---

(1)الطبري، تاريخ الرسل والممالك 7/501-502.

(2) رياح بن عثمان بن حيان المري أمير المدينة زمن ثورة محمد النفس الزكية على أبي جعفر المنصور، قتل عام 145هـ عندما ثار محمد النفس الزكية عليه وقبض عليه بالمدينة ثم قتله. المصدر السابق ج7/554-564.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج5/3.

(4)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج7/554-564؛أيوب؛ التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص، 39.

نفسه الذي يخرج هو فيه بالمدينة، وبذلك يقع الخليفة المنصور بين نارين. إلا أن مرض إبراهيم أقعده عن ذلك، وربما لأن محمد النفس الزكية استعجل الخروج قبل الوقت المحدد، إضافة إلى أنه حصر نفسه بالمدينة وبقي داخلها بعد انتصاره يحتملون حصاراً طويلاً يفرض عليهم[1].

وكان يعرف أبو جعفر أن الموارد الذاتية في المدينة لا تجعل أهلها يحتملون حصاراً طويلاً وكانت الخطة كالتالي: الكوفة ليأمن جانب أهلها لعلمه أنهم شيعة علي، ويخشي خروجهم عليه لمساعدة محمد النفس الزكية، ثم أغلق أبوابها مانعاً الدخول إليها والخروج منها، في الوقت الذي حرص فيه المنصور على أن يخفي الأخبار عن أهل خراسان أيضاً حتى لا تتحول مشاعرهم فيثوروا ضده ،ثم بدأت المكاتبات والخطابات تتناوب بين الاثنين، يذكر كل منهما فضل بيته، ويتباهى بنسبه ويظهر أحقيته في الخلافة، ويعرض الأمان على الآخر[2].

لكن هذا المراسلات فشلت في التوفيق بينهما، وأدت بالتالي إلى توسيع الخرق، بحيث لم يبق من مجال إلا الحرب، وأعد الخليفة المنصور جيشاً ضخماً جهزه أحسن تجهيز واختار لقيادته ولي عهده عيسى بن موسى[3] فوصل في رمضان 145هـ/762م إلى المدينة ليجدها محاطة بخنادق، وقد تحصن محمد النفس الزكية بداخلها، فدعاه عيسى إلى الاستسلام ولكنه رفض، فأرسل عيسى فرقة من جيشه لحراسة طريقه للقبض على محمد، إذا ما حاول الفرار.

ودارت الحرب بين الفريقين التي أظهر فيها محمد النفس الزكية شجاعة نادرة، لكن هذه الشجاعة لم تجد شيئاً أمام قوة خصمه وكثرة عدد رجاله في الوقت الذي انفض فيه عدد كبير من أتباعه، ومنهم بعض العلويين أنفسهم[4]، عندئذ لم يبق أمام أهل المدينة سوى رفع الأعلام

---

(1) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج503/5.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج56/7.

(3) ابن الطقطقي ،الفخري في الآداب السلطانية ،ص 167،ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج3/5.

(4)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج3/5.

السوداء (شعار العباسيين) فوق مرتفعاتها وعلى المسجد النبوي معلنين الاستسلام ثم قتل محمد النفس الزكية وقطع عيسى بن موسى رأسه وأرسله إلى المنصور في منتصف رمضان سنة 145هـ/762م.

ترك عيسى بن موسى قائد جيوش العباسيين المدينة وانتقل إلى حيث صادر أموال العلويين فيها. وبناء لطلب الخليفة المنصور أسرع بالمجيء إلى البصرة لمحاربة إبراهيم بن عبد الله شقيق محمد النفس الزكية بعدما بايعه أهلها عندما ظهر فيها، الأمر الذي مكنه من السيطرة على الجهات القريبة منها والأهواز وواسط. وما أن وصل عيسى بن موسى إلى البصرة، وعند "باخمري"[1] دارت الحرب بين الطرفين قتل فيها إبراهيم في ذي القعدة سنة 145هـ/762م[2].

الحقبة الثانية (158-193/775-809):

أسلوب المهدي في تثبيت حكم العباسيين:

لأجل بلسمة جراح الناس، واسترضاء قلوبهم، رد محمد المهدي معظم الأموال التي صادرها أبوه إلى أصحابها، وأطلق سراح المسجونين السياسيين، وبخاصة العلويين منهم،

([1]) أشار المسعودي ،مروج الذهب، إلى أن قرية باخمري تقع على الحدود على بعد 95 متر من الكوفة. وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى إبراهيم .ج296/3-297

(2) معركة باخمري، وقعت في145هـ/ 21 يناير 762م في باخمرى بالقرب من العراق. دارت المعركة بين قوات الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وقوات العلويين بقيادة إبراهيم بن عبد الله، شقيق محمد النفس الزكية. أرسل محمد النفس الزكية، شقيقه إبراهيم إلى البصرة لنشر الدعوة سراً، فدعا الناس إلى بيعة أخيه، فاستجابوا له، وكان فيهم جماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، واستولى على دار الإمارة. ولما بلغه مقتل أخيه محمد بايعه العلويون في البصرة وجهزوا جيشاً وتوجه به إلى الكوفة يريد المنصور، فجهز المنصور لقتاله جيشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد العباسي ومعه حميد بن قحطبة فالتقوا بإبراهيم ومؤيديه في موقع يدعى باخمري – على ستة عشر فرسخاً من الكوفة – وفي معركة ضارية جرت بين الفريقين سنة 145هـ قتل إبراهيم وحمل رأسه إلى المنصور. وبذلك زال خطر هائل كان يهدد سلامة الدولة الناشئة. الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج649/4-643- ج297/3.

واسترضى أهل الحجاز عندما حج 160هـ/776م بتوزيعه عليهم الأموال والغلال كما استخدم منهم نحواً من خمسمائة في حرسه الخاص، لكسب رضاهم [1]

ولم يتوان المهدي عن إقرار العدل بين الناس، فهو لذلك كان يجلس للمظالم وإليه تُرفع الشكاوى[2].

وأمر باتخاذ بيت له شباك حديد على الطريق توضع فيه الشكاوي يدخله هو بنفسه فيأخذ ما يقع بيده منها أولاً بأول وينظر فيها دون أن يتقدم بعضها على بعض بلا وجه حق[3].

وجاءت رسائل العيون للمهدي بالخبر الصعب وتوضيح، وهي مشكلة الزنادقة والزندقة، وسئل مالك – رحمه الله – عن الزندقة فقال: ما كان عليه المنافقون على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من إظهار الإيمان وكتمان الكفر هو الزندقة عندنا اليوم[4]، وذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم أن الزنادقة هم المانوية، وكانت المزدكية يسمون بذلك، ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ، وكان قاضي قضاة المجوس، وزعم أن الأموال والحرم مشتركة، وأظهر كتاباً سماه زند، وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت، الذي يزعمون أنه نبيهم، فنسب أصحاب مزدك إلى زند، فقيل زندي، وعربت الكلمة فقيل للواحد زنديق، وللجماعة زنادقة[5] وقيل: "الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر [6]

وتقسم الزندقة إلى قسمين:

زندقة مطلقة: وهو أن ينكر أصل المعاد عقلياً وحسياً وينكر الصانع للعالم أصلاً.

---

(1) المسعودي ،مروج الذهب ج3/315-313.

(2) ابن الطقطقي ،الفخري في الآداب السلطانية ص179.

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص52.

(4) انظر: الموطأ 736/2؛ التمهيد لابن عبد البر ج154/10،

(5) انظر: مفاتيح العلوم ص56.

(6)المصباح المنير ج256/1.

زندقة مقيدة: وهي إثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية، وإثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الأمور. فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الأنبياء.

واستدل على هذا التقسيم بحديث موضوع وهو "ستفترق أمتي نيفاً وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا الزنادقة" [1]،وجعل الزندقة المقيدة هي معنى زنادقة هذه الأمة[2].

قال شيخ الإسلام: "أما هذا الحديث فلا أصل له، بل هو موضوع كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ"[3].

وتقسيمه المذكور غير صحيح، والتحقيق أن أصل الزنادقة هم من الفرس الثنوية، وظهر الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل.

وقد تباينت الآراء حول المقصود بالزندقة في ذلك العصر. فتارة تعني الشك والإلحاد وفساد العقيدة والخروج عن روح الدين، وتارة أخرى تعني الماجنين لإفراطهم في شرب الخمر والمجون، وطوراً تعني الأشخاص غير المرغوب فيهم سياسياً[4].

ولعل اهتمام المهدي بأمر الزنادقة راجع إلى ظهور بعض الحركات الإلحادية في عهده، مثل حركة المقنع[5]، الذي نادى بمبادئ الراوندية التي ترجع إلى شخصية الخراساني، فحاربه المهدي

---

(1) ذكره ابن الجوزي في كتابه الموضوعات ج267/1 – 268.وقال هذا الحديث لا يصح عن رسول الله. أما الحديث الصحيح فهو في سنن أبي داود كتاب السنة باب شرح السنةج197/4، ح 4596، والترمذي في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ج 25/5، ح 2640وابن ماجة في باب افتراق الأمم ج1321/2، ح 3991.

(2)انظر: بغية المرتاد ص336 .

(3) المصدر السابق ص337.

(4) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ص 53.

(5) المقنع لقب هاشم بن حكيم من رجال أبي مسلم الخراساني المقربين إليه، فارسي الأصل من مدينة "مرو" ولقب بالمقنع ؛لأن كان يضع على وجهه قناعاً موشى بالذهب ليحجب الذات الإلهية، وربما ليخفي وجهه الدميم الذي تجسدت فيه عن عيون الناس. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج52/5-53.

وقضى عليه وعلى أتباعه سنة 163هـ/779م. ولكنه لم يقض على مبادئه التي انتشرت بين الناس ،وخاصة في فارس.

وإزاء هذا الأمر اهتم المهدي بالتحري عنهم والتنكيل بهم، وأنشأ مركز معلومات خاص بالزنادقة واطلق عليه "ديوان الزنادقة" ورئيسه يدعى "صاحب الزنادقة"، يعهد إليه البحث عنهم في كل مكان وقتلهم. ولما كان الشك والإلحاد قد جاءا نتيجة مذاهب الكلام والجدل الديني حول المسائل الأساسية في الأديان جدلاً يعتمد على الفلسفة والبحث الفلسفي، فإن المهدي لم يكتف بإنشاء ديوان للزنادقة للبحث عنهم ومحاكتهم، إنما أنشأ هيئة علمية لمناظرتهم والرد عليهم، وتأليف الكتب للرد عليهم –أيضاً–، ومن ذلك يقول المسعودي "إنه أمعن في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه"[1].

تبين لموسى الهادي أن سياسة التسامح التي اتبعها والده مع العلويين لم تنجح في تهدئتهم بعد الكوارث التي حلت بهم على أيدي العباسيين؛ لذلك اتبع سياسة حازمة معهم. فقطع عنهم الأرزاق التي خصصها لهم أبوه المهدي، كما أمر عماله بالتضييق عليهم ومراقبتهم، الأمر الذي أدى إلى اندلاع ثورتهم بالحجاز سنة 169هـ/775م بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب ابن عم محمد النفس الزكية[2].

ويقال إن السبب المباشر لهذه الثورة هو: أن وإلى المدينة، أخذ الحسن بن محمد النفس الزكية، هو وجماعة كانوا يشربون النبيذ، فضربهم وجعل في أعناقهم الحبال وطاف بهم في المدينة، ثم حبسهم ولم يطلق سراحهم إلا بكفالة الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله بن

---

(1)المسعودي، مروج الذهب ،ج 322/3–324.

(2)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج192/8؛المسعودي، مروج الذهب ج326/3–327.

الحسن[1]ولما كان من المفروض –بحسب شروط الكفالة– أن يمثل المفرج عنهم أمام المراقبين يومياً لكن الحسن بن محمد النفس الزكية اختفى وتغيب عن المراقبين ثلاثة أيام متوالية، مما جعل والي المدينة يسيء معاملة الكفيلين، فقرروا الخروج والثورة. وصادف أن كان بالمدينة جماعة من أهل الكوفة من شيعتهم بايعوا الحسين بن على الذي دخل المسجد وجلس على المنبر، فأتي الناس وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد، وبعد أن أقام الحسين بن على في المدينة أحد عشر يوماً، فارقها إلى مكة في موسم الحج حيث انضم إليه بعض الحجاج والعبيد[2].

ويرى الباحث : إنه دائماً تتوج المعلومات الصادقة عند صاحب الحس الأمن العالي تكون في موعدها وتأتي نتيجة إيجابية سريعة وكان في ذلك العصر حرب المعلومات مهما تكن وسائلها كان صاحب القرار يأخذ عليها دراسات مستفيضة لكونه يوجد ديوان سابق للمعلومات، فكانت كل المعلومات عن الأخبار الداخلية تأتي في هذا الإطار وتوضع تحت المجهر لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب ويكون حاسماً لا نقاش ولا جدال في هذا القرار ،لأنه أتخذ على معلومات وتحليل دقيق.

ولكن هذه الثورة لم تكن بأفضل من ثورات العلويين السابقة، لأن الهادي أمر فوراً محمد بن سليمان بمقاتلتهم ، فسار هذا الأخير بالجيوش العباسية إلى أن التقى بالعلويين الثائرين سنة 169هـ/785م في مكان يدعى "فخ"[3] بين المدينة ومكة وفيه حصل القتال بين الفريقين، فانتهت

(1) المسعودي، ومروج الذهب ج328/3.

(2) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص58.

(3) تقع فخ شمال مكة المكرمة، تحده الثنية البيضاء وهي ريع ضيق، يلقاه القادم إلى مكة من الشمال بعد أعلام الحرم مباشرة، ويسميها أهل الإبل بالمدرج. تم استصلاحه قديماً على هيئة مصاطب متدرجة ليسهل مهمة انحدار الإبل، ومن الجنوب وادي الزاهر، أما الشرق فالمنطقة الصناعية عند مفارقة شارع الحج، والغرب جبال الشهيد. ويعد مسجد السيدة عائشة، رضي الله عنها، أقرب معلم تاريخي له.عكاظ، ص27.

المعركة بمقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، زعيم الثورة، فسمي "بقتيل فخ" كما قتل الحسن بن محمد النفس الزكية الذي من أجله قامت هذه الثورة، وفر رجلان من العلويين، هما: إدريس بن عبد الله بن الحسن– أخو محمد النفس الزكية– فوصل إلى افريقية حيث أسس فيا الأدارسة[1] دولتهم، وأخوه يحيى بن عبد الله بن الحسين الذي مضى إلى بلاد الديلم حيث بايعه أهلها[2].

ولم يختلف موقف الهادي عن موقف أبيه مع الزنادقة. فأخذ يطاردهم، وينكل بهم ، ومع هذا الاضطهاد، وما تعرضوا له من تنكيل وملاحقة لم يستطع أن يضع حداً لنشاطهم[3].

وتبقي مشكلة ثالثة اعتبرها الهادي سيئة بحق خلافته، ألا وهي تدخل أمه الخيزران في شئون الإدارة إلى حد أن الناس وقفوا بباب قصرها جماعات بقصد قضاء حوائجهم ؛لأن كلمتها صارت مسموعة بسبب النفوذ الذي تمتعت به منذ أيام زوجها المهدي وامتد هذا النفوذ إلى عهد الهادي، إذ سيطرت على أموره واستبدت بالأمر والنهي، فكان موسى الهادي يضع العيون على أقرب الناس إليه و أمه، ويضع على قصرها عيوناً ليرصد حركاتها وسكناتها ،ويمده صاحب الرسائل والخبر بالمعلومات أولاً بأول، حتى وصل به الحال أن جعل الناس متوجهة إلى أمه لقضاء حوائجهم فأرسل إليها رسالة: " ألا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاءة التبذل، فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك"[4] ثم قال لها: "استوعبي كلامي والله ،وإلا فأنت نفس من قرابتي من رسول الله، لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي ،أو أحد من خاصتي ،أو من خدمي لأضربن عنقه و لأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم

---

(1) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ،ج76/5.

(2) المصدر السابق ،ج90/5.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية ،ج231/10.

(4) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج79/5.

ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك[1]".

يرى الباحث: بأن الهادي أخذ قراراً صعباً بناء على المعلومات بأنه قام بتهديد أمه بالقتل إذا قامت بنفس الشيء الذي تقوم به.

وواجهت الرشيد كأسلافه في خلافة العباسيين الكثير من المخاطر الداخلية ،منها:

أ. خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن:

كان العلويون وشيعتهم، الذين آمنوا بأحقيتهم في الخلافة، أول من خرج على الخليفة الرشيد؛ لأنه عز عليهم ما حل بهم من قتل وتشريد على أيدي أقربائهم العباسيين[2].

على الرغم من أن الرشيد حاول أن يسترضيهم ليأمن ثورتهم في بداية خلافتهم، فرفع الحجز المفروض عمن كان منهم ببغداد وسمح بمغادرتها إلى المدينة. لكن هذه السياسة لم تنفع في بلسمة الجراح الثخينة، فخرج عليه يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي كان نجا من "موقعة فخ" على عهد الهادي –كما ذكرنا في حينه –فذهب إلى بلاد الديلم وهناك كثر أنصاره ،وقصده كثيرون حتى اشتدت شوكته، وأعلن خروجه على الرشيد[3].

ولما بلغ النبأ الخليفة وهو يشرب النبيذ، ترك الشراب وأمر لقتاله الفضل بن يحيى البرمكي، الذي استعمل مع يحيى بن عبد الله اسلوب التهديد والترغيب. حتى قبل يحيى بالصلح على أن يكتب له الرشيد بخطه أماناً[4].

(1)المسعودي، مروج الذهب 328/5؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج89/5.

(2) بطانية، علاقات بين العباسيين والعلويين ،ص125.

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص68.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج242/8–243؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج90/5.

فكتب الرشيد الأمان وأشهد عليه القضاة والفقهاء ومشايخ بني هاشم، وأرسله في جملة هدايا إلى يحيى الذي استأمن وقدم إلى بغداد، فاستقبله فيها الرشيد، وأجرى له الأرزاق، وأنزله منزلاً سرياً، ويظهر دور العيون والجواسيس ،التي كان يتعامل بها خلفاء بني العباس ووصل إلى هارون الرشيد خبراً بأنه يدعو لنفسه ،ما جعل الخليفة يغضب عليه، لكنه وجد من وشى يحيى بن عبد الله عند الرشيد ،ما جعل الخليفة يغضب عليه بعد إكرامه وينقض الأمان الذي أعطاه له ويتخلص منه(1).

ثم أن الرشيد غير سياسته تجاه العلويين نتيجة لذلك، فأنزل أشد العقوبات بمن اتهم بالميل إليهم، وأخذ موسى بن جعفر الصادق المعروف بـ الكاظم إلى بغداد فأقام فيها إلى أن مات(2).

ب. خروج الخوارج:

واجه الرشيد خطر تجدد ظهور الخوارج الذين أخذوا على الخلفاء مأخذ الاستبداد في السلطة والخروج عما توجبه الأوامر الشرعية من كتاب الله وسنة النبوية. فخرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني(3)سنة 178هـ/794م(4) ، المقيم في الجزيرة بنواحي نصيبين، وبعد أن نجح الوليد بن طريف الشيباني في إنزال الهزيمة بعدة جيوش كان قد أرسلها الخليفة الرشيد لقتاله ،كثر مؤيدوه وزاد أتباعه ولكن عندما وصلت المعلومات بدقة عن أتباع وجيش

---

(1) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 68.

(2)ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ص196.

(3) الوليد بن طريف الشاري الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن فدوكس ابن عمرو ابن مالك الشيباني، بكسر السين المهملة الشاري أحد الشجعان الطغاة الأبطال كان رأس الخوارج وكان مقيماً بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هارون الرشيد وبغى وحشد جموعاً كثيرة فأرسل إليه هارون الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يراعيه لأجل الرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يتواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاباً مغضباً وقال لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج31/6.

(4)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ص97/5.

الشيباني استطاع الرشيد أخذ القرار المناسب بإعداد الجيش الذي يحسن في هذه المهمة في سنة 179هـ/795م [1].

ت. ثورة رافع بن ليث بن نصر بن سيار:

ولى الرشيد علي بن عيسى بن ما هان[2] بلاد خراسان، فأخذ هذا الوالي يرهق الأهالي في جمع الأموال والتشدد بالمظالم، وبالمقابل يرسل إلى الخليفة ببغداد مزيداً من الأموال والهدايا ليرضى عنه، لكن الأهالي ضجروا من سياسة على بن عيسى بن ماهان شكوا أمرهم إلى الرشيد فخرج الخليفة إلى الري ليتحقق من ذلك بنفسه. لكن علي بن عسي وقد علم بالأمر أسرع إلى ملاقاته بالهدايا الثمينة، كما أغدق على رجال حاشيته، فعاد الرشيد واستأنف الوالي سيرته الأولى مع الأهالي[3]، وسيطر عيسى بن هامان على الجهاز السري من العيون ؛إذ كان يمنع التقارير السلبية عن الأهالي فكان يرسل إلى بغداد الأموال والهدايا ليرضى عنه الخليفة ولا توجد أخبار تأتي عكس ذلك، ولكن الأهالي قاموا بأنفسهم بتقديم شكوى للرشيد فخرج الخليفة لكي كما تم ذكره سابقاً و مفاده بأن عيسى بن هامان كان يسيطر على الجهاز السري للمعلومات فخرج إلى الرشيد في منطقة الري فلقاه عيسى ومعه الهدايا الثمينة وبعض الحاشية والموالي فأنكروا ما كان في الشكوى فرجع الرشيد. [4]

---

(1) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص69.

(2) عقد الأمين لعلي بن عيسى بن ماهان على بلاد الجبال وهمذان ونهاوند وقم وأصبهان وأمر له فيما قيل بمائتي ألف دينار وأعطى لجنده مالاً عظيماً وفرق الأمين على أهل بغداد ثلاثة آلاف ألف درهم وشخص علي من بغداذ ومعه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه وسار معه الأمين إلى النهروان وعرض الجند الذين جهزهم مع ابن ماهان فلقيه طاهر بن الحسين من قبل المأمون وهو في أقل من أربعة آلاف فارس فقتل ابن ماهان. الصفدي ، الوافي بالوفيات،ج92/5.

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج309/8.

(4)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج102/5؛ أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 69

فقام رافع بن ليث بن نصر بن سيار بالتغرير بامرأة غنية والزواج منها بعد أن طالت غيبة زوجها، ولما عاد زوجها ووجد ما اقترفه ابن سيار، رفع الأمر إلى الخليفة الرشيد الذي أرسل إلى علي بن عيسى بن ماهان – والي خراسان– يأمره أن يفرق بين رافع وزوجة الرجل وأن يعاقبه على فعلته تلك(1).

أحتاط رافع بن سيار فكان الأهالي لا يثقون بعيسى بن ماهان فرفع الزوج مباشرة إلى هارون الرشيد فكانت الحادثة، فأمر هارون فوراً برفع الظلم والفصل بين رافع وزوجته ويعاقب على فعلته وبسبب الوضع الاقتصادي الذي أصبح به رافع فإنه كان يوجد له عيون في قصر بن ماهان فعرف الخبر بأنه سوف يكون التفريق بينه وبين زوجته ويعاقب فاستنجد بولد علي بن عيسى ليتوسط عند أبيه، فكان له ما أراد وأمنه ورده إلى بلده سمرقند شريفاً معززاً(2).

هناك في سمرقند ثأر لنفسه وقتل عامل المدينة العباسي، فالتف حوله كثير من أبناء سمرقند وأيدوه في ثورته. وفي الوقت نفسه هجم الناس على منزل على بن عيسى بن ماهان واستولوا على ما فيه من أموال كثيرة، عندها رأى الرشيد أن يستدرك قبل استفحال الأمور ويعزل علي بن عيسى، ثم ينتدب من يقبض عليه ويصادر أمواله، فخلص الناس من ظلمه لكنه لم يتمكن من القضاء على رافع بن ليث بن نصر بن سيار بالرغم من خروج الرشيد إليه بنفسه؛ لأنه مات وهو في طريقه إليه(3).

الحقبة الثالثة (193–332هـ/809–846م):

كانت خلافة الأمين مليئة بالفتن والشرور كما اشتعلت نار الثورة في عهد الأمين ببلاد الشام، على يد علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بالسيفاني، الذي دعا

---

(1) العسقلاني ،التقريب والتهذيب،ج629/1،

(2) الذهبي، وفيات مشاهير الأعلام،ج1033/4.

(3)أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 69–70.

لنفسه واحتل دمشق وأعمالها بعد أن طرد عامل الأمين وكاد أن يستقل بالشام لولا النزاع الذي قام بين اليمنيين والمغربيين وحال دون ذلك، ولكن هذه البلاد بقيت مسرحاً للفوضى ما يقرب من عامين[1].

واستطاع المأمون بسياسته المرنة أن يجمع بين المواقف المتناقضة، وأن يرضي الجميع ويتغلب على معظم الصعاب. لكن بقاءه بعيداً عن مركز خلافته بغداد، وتفويضه إدارة البلاد فيها إلى وزيره الفضل بن سهل[2] وأخيه الحسن بن سهل[3] الذي ولاه المأمون على العراق وتزوج من ابنته بوران، تسبب في بعض الأزمات، وقيام الثورات ضده، خاصة وإن عهده قد حفل بالعداء بين الشيعة والسنة، وبين العرب والعجم، فكانت أولى الثورات، هي :

أ. ثورة عربية عراقية[4]:

كان لتباطء المأمون في المجيء إلى بغداد من خراسان نحواً من ست سنوات، فقد غضب لهذه الشائعات، أهل العراق من بني هاشم، ووجوه الناس، وأنفوا أن تخضع الخلافة للفرس ونفوذهم، وأعلنوا الثورة في العراق من مدينة الكوفة، وتزعم هذه الثورة أبو السرايا السري

---

(1) المرجع السابق ،ص 75.

(2) الفضل بن سهل السرخسي الوزير وأخو الوزير الحسن بن سهل ، أسلم أبوهما على يد المهدي ، وأسلم الفضل سنة تسعين ومائة على يد المأمون. الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج100/10.

(3) الوزير الكامل ، أبو محمد ، حمو المأمون ، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل ، من بيت حشمة من المجوس ، فأسلم سهل زمن البرامكة ، فكان قهرماناً ليحيى البرمكي . ونشأ الفضل مع المأمون فغلب عليه ، وتمكن جداً إلى أن قتل . فاستوزر المأمون بعده أخاه ، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون ببنته بوران سنة عشر ومائتين ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها . ويقال : نابه على مجرد الوليمة والنثار أربعة آلاف ألف دينار . وعاش بعد المأمون في أوفر عز وحرمة ، وكان يدعى بالأمير . شكا إليه الحسن بن وهب الكاتب ضائقة فوصله بمائة ألف ووصل محمد بن عبد الملك الزيات مرة بعشرين ألفاً ، ومرة بخمسة آلاف دينار . وكان فردا في الجود ، أراد أن يكتب لسقاء مرة ألف درهم ، فسبقته يده ، فكتب ألف ألف درهم ، فروجع في ذلك ، فقال : والله لا أرجع عن شيء كتبته يدي ، فصولح السقاء على جملة . مات بسرخس في ذي القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين . وعاشت بوران إلى حدود السبعين ومائتين .الذهبي، سير أعلا م النبلاء،ج171/11-172. .

(4) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج184/5.

منصور الشيباني [1][2]، أحد أكبر أعوان هرثمة بن أعين، فاستولى رجاله على الكوفة، وهزم أبو السرايا جيش الحسن بن سهل الذي أرسله لمحاربته، واستولى على ما معه من مال وسلاح ودواب سنة 199هـ/ 814م.وتوالت انتصاراته على جيوش الحسن بن سهل تباعاً، كما عمل على إخضاع البصرة والقادسية إلى نفوذه، وبدأ بعزل من شاء من العمال وتولية من شاء منهم، وتسيير الأمور[3].

لم يجد الحسن بن سهل بداً، إزاء ذلك، سوى استرضاء هرثمة بن أعين الذي سبق له وطرده من العراق وأمره بالذهاب إلى خراسان تخلصاً منه. ولم يزل الحسن بن سهل يتلطف معه ويسترضيه للحضور ومحاربة أبي السرايا السري بن منصور الشيباني، حتى حضر هرثمة واستولى على الكوفة من عمال أبي السرايا، ثم أنزل هزيمة كبرى بأبي السرايا نفسه، وكانت الجواسيس والعيون كلها منتشرة في الكوفة للوصول إلى أي معلومة موثقة بشأن مكان ابن السرايا واضطره إلى الفرار ودخل هرثمة إلى الكوفة سنة 200هـ/815م ولم يلبث أن ألقي القبض على أبي السرايا أثناء هربه، وضرب عنقه[4].

ب. ثورة العلويين:

كان ديوان الرسائل والخبر قد نشط فأوصل معلومة بأن العلويين أرادوا الإطاحة بحكم بني العباس بعد مقتل أبي السرايا في الكوفة، فبعد أن قام أبي السرايا بتولية أحد أحفاد الحسين

---

(1) واسمه السري بن منصور الشيباني وكان خرج بالكوفة داعياً لأولاد علي بن أبي طالب رضى الله عنه. فهرب من هرثمة حين فتحت الكوفة. فأخذه حماد الكندغوش فوجه به إلى الحسن بن سهل، فقتله وصلبه ببغداد بقطعتين: قطعة في الجانب الشرقي وقطعة في الغربي. البغدادي، المحبر ج489/1؛ابن كثير ، البداية والنهاية،ج244/10-248؛الذهبي ،العبر،ج257/1.

(2)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ، 534/8-535؛المسعودي ،مروج الذهب ،ج438/3-440.

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص78.

(4)المسعودي، مروج الذهب ،ج438/3-440.

بن علي، وكانت المعلومة بأن والي مكة سوف يطرد الوالي العباسي منها ،وكانت الخطوة الاستباقية من الحسين بن حسن بن علي بن الحسين بأن قام بتجريد الكعبة من الثياب التي عليها[1] ، ثم كساها ثوبين بعث بهما أبو السرايا، مكتوب عليهما[2]: أمر به الأصفر بن أبي الأصفر أبو السرايا داعياً آل محمد لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كوستهم، وكتب سنة 199هـ/814م، ثم أخذ يلاحق بني العباس وأتباعهم في مكة، فهاجمهم في ديارهم، وسلبهم أموالهم وشردهم في البلاد[3].

وكان يوجد جواسيس وعيون للعلويين في مكة، وما أن وصلت المعلومات حول خبر مقتل أبي السرايا وتشريد من بالكوفة والعراق من العلويين إلى مكة حتى اجتمع من بها من العلويين، وأتباع أبي السرايا، وطلبوا من محمد بن جعفر الصادق أن يبايعوه بالخلافة، فقبل بعد تردد، وأقبل عليه الناس يبايعونه، وأسموه "أمير المؤمنين ".[4]فوصلت الأخبار إلى الخليفة عن طريق الجواسيس والعيون ومفادها أن حسين بن حسن ورجاله يعيثون في مكة فساداً، حتى انتقلوا من الاعتداء على الأموال إلى الاعتداء على الأعراض[5].

فما كان من هرثمة بن أعين إلا أن أرسل جيشاً للقضاء على تلك الحركة في مكة، وقاتل العلويين حتى هزمهم. لكن محمد بن جعفر الصادق طلب الأمان له ولمن معه حتى يخرجوا من مكة ، ويذهبوا حيث شاءوا، فأجيبوا إلى طلبهم، وأمهلوا ثلاثة أيام، دخلت بعد ذلك جيوش العباسيين مكة وتفرق العلويون في كل مكان[6].

---

(1)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج8/536.

(2) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج5/177.

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص79.

(4)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج8/537.

(5)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5/179.

(6) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص80.

ولكن الخليفة في بغداد كانت لديه معلومات من الجواسيس والعيون أن حركة العلويين انتقلت من مكة والحجاز إلى اليمن حيث خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر[1]، واستولى على صنعاء بعد أن انسحب منها الوالي العباسي. وقد أساء إبراهيم بن موسى السيرة ،وتطرف مع الناس حتى غلب عليه لقب "الجزار"[2] لكثرة من قتل منهم، ووجه سنة 200هـ/815م بعض أتباعه خلف قافلة للحج بإمرة أبي إسحق بن هرون الرشيد[3] – شقيق المأمون نفسه– فاعتدوا على الحجاج والتجار عند محلة بستان ابن عامر، وسلبوا التجار أموالهم وملابسهم[4] فلما بلغ أبا إسحق ما فعله رجال إبراهيم بن موسى بن جعفر بالحجاج، أرسل جيشاً إلى اليمن أدبهم، أسر الكثير من العلويين وشردهم ، فانتهت بذلك الحركات العلوية باليمن[5]،واجه المعتصم العلويين بالشدة والحزم كمن سبقه من أسلافه الخلفاء العباسيين ،وطبقاً لذلك تخلص من محمد الجواد بن علي الرضا[6]، الذي كان المأمون قد زوجه ابنته أم الفضل بتدبير وإيعاز من المعتصم نفسه خشية المطالبة بالخلافة لسببين[7]:

أولهما: أن أولاده من سلالة المأمون.

---

(1) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ج536/8– 541

(2) المصدر السابق ،ج535/8–536.

(3) المعتصم بالله أبو إسحاق محمد ، بن هارون الرشيد ، بن المهدي محمد ، بن المنصور العباسي البغدادي، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج307/10.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج554/8.

(5) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ،ص 80.

(6) محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشر. ابن كثير، البداية والنهاية ج502/14؛المسعودي، مروج الذهب، ج464/3

(7) السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص254.

ثانيهما: أن أباه علي الرضا[1] قد ولاه المأمون العهد قبل وفاته[2].

كما أعلن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي[3] من طالقان بخراسان- وصل إليهما قادماً من الكوفة- الدعوة إلى الرضا من آل محمد، فاجتمع حوله كثيرون، عندها أرسل عبد الله بن طاهر بن الحسين- والي خراسان- حملات عدة ضده أنزلت به وبجماعته الهزيمة. فحاول الفرار، لكنه وقع في الأسر سنة 219هـ/834م، وسلمه الوالي إلى المعتصم الذي أمر بحبسه في سامراء، غير أن محمد بن القاسم غافل الناس وقت احتفالهم بعيد الفطر وهرب من سجنه[4].

ومنذ ذلك الوقت لم يعرف عنه شيء ،الأمر الذي جعل الكثيرين من أتباعه الزيدية يقولون بإمامته في ناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم ويزعمون أنه المهدي المنتظر، وإنه حي لم يمت، وأنه يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[5].

واجه الواثق بالله في فترة خلافته عدداً من الأخطار من أهمها ثورة القبائل العربية، وقامت الجواسيس والعيون بجمع المعلومات من القبائل العربية وخاصة القيسية؛ لأنها تريد الانشقاق عن الخلافة للتدخل الفارسي الواضح، فما أن قامت هذه الثورة حتى أرسل الواثق جيشاً تمكن من الانتصار عليهم في مرج راهط[6]، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة، وتمرد بنو سليم أقوى القبائل

---

(1) علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن علي بن أبي طالب ،ابن كثير، البداية والنهاية، ج502/14.

(2) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي،ص118.

(3) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ، 464/3؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج231/5-232.

(4)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج231/5-232.

(5) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ، 464/3.

(6)مرْج راهِط: بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج في الشعر فإذا قالوه مفرداً فإيّاه يعنون، وقد ذكر في راهط. الحموي، معجم البلدان، ج3/ 21.

العربية وأكثرها عدداً[1]على الواثق وعاثوا فساداً في بلاد الحجاز[2] وتطاولوا على الناس في ضواحي المدينة، ونهبوا الأسواق، وقطعوا الطرق، وأوقعوا بجند والي المدينة سنة 230هـ/844م. فما كان من الواثق إلا أن أرسل إليهم جيشاً بقيادة القائد التركي بغا الكبير[3] فأغار هذا الأخير على قرى بني سليم، وقتل منهم نحو الخمسين وأسر مثلهم، وقبض على ألف رجل من الذين ثبت عليهم أعمال الشر والفساد، وحبسهم في سجن المدينة. لكن هؤلاء السجناء حاولوا الفرار من سجنهم بنقب سوره. وما أن رآهم أهل المدينة حتى هجموا نحوهم وألقوا القبض عليهم ثم قتلوهم جميعاً[4].

ونلاحظ قوة الوعي الأمني عند أهل المدينة من كثرة ما حدث بها من قلاقل وثورات؛

وبعد القضاء على فتنة بني سليم، انتقل بغا الكبير لإخماد حركة بني مرة المناوئة للخلافة، وقبيل وصوله اليهم فروا من وجهه منتشرين في الصحراء؛ ما جعل جهوده تبوء بالفشل للقضاء عليهم وفرض سلطة الخلافة في وسط شبه الجزيرة العربية وجنوبها[5].

وفى سنة 232هـ/846م كلف الواثق قائده بغا الكبير بالخروج لغزو بني نمير[6] في اليمامة من كثر ما جاء به الجواسيس والعيون من معلومات مفادها كثرة عبثهم وفسادهم، فأسر منهم جماعة عاد بها إلى العاصمة سامراء[7].

---

(1) القلقشندي ، نهاية الأرب،ص223.

(2) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ، 9/129-131، والكامل في التاريخ 270/5.

(3) هو قائد عباسي تركي كلف بالقضاء على التمرد، نجح في إبعاد الأعراب عن المدينة، ثم كلف في سنة 231 هـ /846م إلى ضربه لتأديب الكلابيين

(4) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، 97.

(5)أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، 97.

(6) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج276/5.

(7) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ، ج146/9-148.

ت. ثورة الزط:

كان جنوب العراق مسرحاً لثورة خطيرة في عهد المأمون، عرفت باسم ثورة الزط[1]، ولما انتقل المأمون إلى مركز خلافته في بغداد، واستقرت الأمور له، و أرسل عدة حملات ضد الزط في سنة 205هـ/820م، و 206هـ821م ولكن هذه الحملات لم تتمكن من القضاء على ثورتهم؛ لأنهم كانوا يتفرقون في الفيافي والأصقاع الخالية كلما شعروا بالخطر يداهمهم ويتكتلون عندما يذهب الخطر حتى تمكنوا من فرض الضرائب على السفن الداخلة إلى بغداد، فحالوا دون وصول الأقوات إلى عاصمة العباسيين[2].

واستمر الزط في عبثهم حتى خلافة المعتصم الذي أرسل حملة ضدهم سنة 219هـ/834م بقيادة "عجيف عنبسة"[3][4]، تمكنت من الإطاحة بالمنطقة التي انتشروا فيها. ثم ضيقت الخناق عليهم، وبدأت بالقتال فأبادت وأسرت معظمهم؛ عندئذ أمر القائد عجيف بنفي الأسرى- كانوا حوالى (27) ألفاً بين رجال ونساء وأطفال- إلى مدينة "عين زوربة[5]" في شمال الدولة العباسية بمنطقة الثغور وبقوا هناك إلى أن وقعت أعداد كبيرة منهم أسرى في أيدي البيزنطيين سنة

---

(1) وكلمة الزط هي تعريب للفظ "جت" الفارسي. والزط خليط من الشعوب أقرب إلى الغجر. نزحوا أول أمرهم من شمال غرب الهند، فسكنوا شواطئ الخليج العربي- الفارسي. واستغلوا الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون، فاستولوا على البصرة التي عاشوا فيها فساداً. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج232/5.

(2) المصدر السابق ،الكامل في التاريخ ،ج9/6

(3)كان عجيف بن عنبسة من قواد الخليفة المعتصم العباسي ، وكان موصوفا بالقسوة والجبروت ، وقد تآمر على المعتصم وفشل وانتهت حياته بالموت .ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ،ج330/3.

(4)الطبري ، تاريخ الرسل والممالك ،ج6/9

(5) عين زربة ، وردت في معجم البلدان عين زربي ويبدو أنها من زرب الغنم ،وهو ماؤها وهو بلد بالثغر من نواحي المصيصة إحدى المدن الواقعة على شاطئ جيحان من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، بالقرب من طرسوس الحموي ، معجم البلدان (ج761/3)

241هـ/855م، فنقلوهم إلى القسطنطينية، ومنها انتشروا في مختلف البلاد الأوروبية ولا سيما هنغاريا وإسبانيا[1].

ث. ثورة نصر بن شبث[2]:

لم تهدأ الأوضاع في الجزيرة وشمال الشام؛ إذ قامت القبائل العربية في هذه المنطقة بثورة ضد النفوذ الفارسي في الدولة العباسية، وتزعم هذه الانتفاضة عربي من بني عقيل اسمه نصر بن شبث استاء كغيره من مقتل الأمين وانحطاط العنصر العربي نتيجة لسياسة المأمون، فأعلن خروجه في أواخر سنة 198هـ/813م، فتغلب على شمال الشام وملك سميساط[3] حتى ازداد أنصاره، وعبر الفرات إلى الجزيرة[4].

وحينما تولى المأمون الخلافة، كافأ قائده طاهر بن الحسين، وولاة الموصل والجزيرة والشام والمغرب، وأمره بالقضاء على نصر بن شبث، لكن الأخير تمكن من الانتصار على

([1])ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج487/6.

(2) نصر الدين بن شبث بن كعب بن ربيعة من بني عقيل .كان يعتز بعروبته ويتعصب لها، وكان أسلافه من الموالين للبيت الأموي، كانت إقامته في ضواحي حلب، وتحديداً في بلدة كيسوم التي تقع شمالها، وفي أيامه توفي الخليفة هارون الرشيد، وحدثت الفتنة بين الأمين والمأمون، التي انتهت بمقتل الأمين وانتقال السلطة إلى عبد الله المأمون، لم يرض نصر بن شبث عن سياسة المأمون باعتماده على الفرس فأبى مبايعته، أخفقت محاولة التفاوض بين المأمون ونصر بن شبث، فاشتد عبد الله في حربه وطال حصاره في كيسوم وضيق عليه الخناق حتى استسلم آخر الأمر، وطلب الأمان فكتب له المأمون كتاب أمان. فسيّره عبد الله إلى بغداد وهدم كيسوم وخربّها ودخل نصر بغداد سنة 210هـ/825م، وانقطعت بعد ذلك أخباره حتى لم تحدد سنة وفاته وإنما تذكر المصادر أنه توفي بعد سنة210هـ/825م. ابن كثير، البداية والنهاية،ج624/15.

(3) سميساط بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن، الحموي، معجم البلدان،ج258/3.

(4)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ، ج598/8-600.

طاهر بن الحسين وأجبره على التراجع، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع شأن نصر بن شبت والتف حوله العربان وبعض العلويين، وطالبوه بنقل الخلافة إليهم لكنه أبى[1].

وعند انتقال المأمون إلى بغداد ولى طاهر بن الحسين على خراسان، وولى ابنه عبد الله بن طاهر بن الحسين على الجزيرة والشام ومصر، وأمره بمحاربة نصر. فعمل عبد الله بن طاهر على تضييق الخناق على نصر حتى أجبره على طلب الأمان والاستسلام سنة 210هـ/825م[2].

ج. ثورة بابك في بلاد فارس:

هي ثورة هزت الدولة العباسية في عهد المأمون، واستمرت حتى عهد المعتصم، حركة قام بها بابك الخرمي[3] في بلاد فارس مهد كثير من الفرق والمذاهب زعيم الفرقة الخرمية التي أباحت النساء كلهن وسائر المحرمات، ثم عمد بابك الخرمي بعدما كثر أتباعه إلى قطع السبل ونشر الفساد. فأرسل الخليفة المأمون وهو بمرو سنة 201هـ/816م حملة لقتاله لكنها فشلت كما فشلت الحملات التي تعددت بعدها ؛نظراً لازدياد أتباعه، واستمرت الخرمية في إقلاق بال الدولة العباسية طوال عهد المأمون حتى كانت سنة 218هـ/833م عندما تمكن المعتصم بأن يبدد شملهم ويقضي على شرهم، ويوقع بابك نفسه أسيراً سنة 223هـ/838م فقتل وصُلب بباب سامراء[4].

---

(1) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص84.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج160/8.ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج207/5.

(3) اعتصم بابك الخرمي في الأقاليم الشمالية الشرقية، منذ سنة 221هـ وقد ادعي بابك أن روح جاويدان قد حلت فيه– و حاويدان كان زعيماً نسب اليه اتباعه صفات الألوهية. وزاد بابك على ذلك أن نشر تعالم المجوس. وقد أثار البيزنطيين على الدولة العباسية. وعقد حلفاً معهم ضدها، فتمكن من المقاومة مدة طويلة وساعد على ذلك انشغال المأمون العباسي بالقضاء على الفتن في أنحاء البلاد وقتال البيزنطيين، أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص87.

(4) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص87.

الحياة الأمنية في السلم

أنيط حفظ الأمن في جميع أنحاء الدولة العباسية بجهاز الشرطة؛ لذا كان يختار صاحب الشرطة من علية القوم ومن أهل العصبية والقوة، يتولى صاحب الشرطة رئاسة الجند الذين يساعدون الوالي في تثبيت الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين[1].

وقد اتخذت الدولة العباسية في كل مدينة من المدن جماعة من الجند برئاسة من ينيبه صاحب الشرطة ،الذي يتخذ من العاصمة أو مركز الولاية مقراً له[2].

وقام رجال الشرطة بمهمة حفظ الأمن وإقرار النظام وتنفيذ أحكام القضاة، وبالسهر ليلاً على راحة الناس (العسس)[3] بإشراف رؤسائهم الضباط خير قيام[4].

ولم تبخل الدولة على هؤلاء جميعاً بالمرتبات الكبيرة منعاً للغش والرشاوى وحفزاً للقيام بواجباتهم على أكمل وجه[5].

وكانت الشرطة تتبع القاضي في بادئ الأمر، يعمل صاحبها على إقامة الحدود بالقبض على المجرمين وتنفيذ أحكام القضاة فيهم، لكنها لم تلبث أن انفصلت عن القضاء، فاستقل صاحب الشرطة بالنظر في الجرائم، وكان تعيين صاحب الشرطة يتم من قبل الوالي في الولاية وليس الخليفة، وكذلك عزله عنها[6].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة ، ص446.

(2) حسن ،النظم الاسلامية،ص234.

(3) نظام أمني في الدولة الإسلاميّة، مهمّته الطواف بالليل، لتتبع اللصوص، وطلب أهل الفساد، عس يعس عسسًا، وعسا أي طاف بالليل، ومنه حديث عمر رضي الله عنه أنّه كان يعسّ بالمدينة أي يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة والعسس اسم منه كالطلب ،وقد يكون جمعًا لعاسّ كحارس وحرس ،والعسّ نفض الليل عن أهل الريبة. ابن منظور لسان العرب وج139/6.

(4) خليفة ، كشف الظنون، ج15/1.

(5)الماوردي، الأحكام السلطانية ،ص260.

(6) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 224-225.

ويرى الباحث : أن الحياة الامنية قد اختلفت في مرحلة السلم في عهد الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول من فترة إلى أخرى ، فعصر الخليفة أبي العباس كان مليئاً بالمذابح، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لدولة ناشئة لا يزال مصيرها في كف القدر، غير أن هذه المذابح لم يقم بها الخليفة نفسه وإنما أعمامه الذين لا يقدر على ردهم .

فكان داوود بن علي[1] يحكم الحجاز واليمن، وسليمان بن علي[2] وكان والياً على البصرة وأعمالها كالبحرين وعمان، وإسماعيل بن على وكان والياً على الأهواز بإيران، وصالح ابن علي[3] الذي ولي مصر، ثم عبد الله بن علي الذي كان والياً على الشام[4].

وهذا الأخير هو أشهر الجميع قسوة وبطشاً وسفكاً للدماء، يؤثر عنه أنه قتل ألوفاً من الأمويين وانصارهم، وحيث أنه قام بمذبحة نهر أبي فطرس[5] الواقع بين فلسطين والأردن[6]، التي قتل فيها عدداً كبيراً من أمراء الأمويين ثم فرش عليهم بساطاً وأخذ يتناول طعام الغذاء فوقه

---

(1) داود بن علي بن خلف الإمام البحر ، الحافظ العلامة ، عالم الوقت أبو سليمان البغدادي ، المعروف بالأصبهاني ، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظاهر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج93/13.

(2) سليمان بن علي هو الأمير عم المنصور. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج163/6.

(3) صالح بن علي ابن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، الأمير الشريف أبو عبد الملك الهاشمي العباسي ، عم المنصور. المصدر السابق ، ج19/7.

(4) الرفاعي، الإنسان العربي،،ص235.

(5) نهر أبي فطرس، بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء وسين مهملة، موضع قرب الرملة من أرض فلسطين قال المهلبي على اثني عشر ميلاً من الرملة في سمت الشمال نهر أبي فطرس ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس وينصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا به كانت وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة 231هـ/846م فقال إبراهيم مولى قائد العبلي يرثيهم أفاض المدامع قتلى كدا وقتلى بكتوه لم ترمس ، وقتلى بوج وباللابتين بيثرب هم خير ما أنفس، وبالزابيين نفوس ثوت وأخرى بنهر أبي فطرس ، أولئك قوم أناخت بهم نوائب من زمن متعس إذا ركبوا زينوا المركبين وإن جلسوا زينة المجلس هم أضرعوني لريب الزمان وهم ألصقوا الرغم بالمعطس، فما أنس لا أنس قتلاهم ولا عاش بعدهم من نسي قال المهلبي وعلى نهر أبي فطرس أوقع أحمد بن طولون بالمعتضد فهزمه، قلت إنما كانت الوقعة بموضع يقال له الطواحين بين المعتضد وخماويه. الحموي، معجم البلدان، ج315/5.

(6) البلاذري ،أنساب الاشراف، ج104/4.

وهو يسمع أنينهم وحشرجتهم حتى إذا ما "فرغ من طعامه قال: ما أكلت أكلة أطيب من هذه الأكلة" ثم حفر بئراً وألقاهم فيه[1].

ولم يقتصر عبد الله بن على، على تلك المذابح بل أمر بنبش قبور خلفاء بني أمية كي يمحو آثارهم من الوجود.[2]

فكل هذه الأعمال الوحشية هي التي جعلت الناس يطلقون عليه لقب السفاح، أما الخليفة أبو العباس فهو بريء من هذه المجازر، والشيء الوحيد الذي يؤخذ عليه هو مسألة قتله لوزيره وداعى العباسيين بالكوفة أبي سلمة الخلال[3] الملقب بوزير آل محمد، والتهمة الموجهة اليه هي محاولة نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين ،وهي تهمة خطيرة، على أن هذا القتل –أيضاً – فيه شيء من الغموض، وتنسبه بعض الروايات إلى أبي مسلم الخراساني الذي أرسل من قتله ليلاً وادعي أن الخوارج هم الذين قتلوه[4].

دور ديوان الرسائل والخبر (المخابرات العباسية) في الحياة الأمنية:

لقد أدرك خلفاء بني العباس أن العدل من ركائز الأمن الأساسية، فحرصوا على إشاعته وألزموا ولاتهم وكبار موظفيهم بالتمسك به، ولم يكتفوا بذلك ،بل بثوا العيون في الأقاليم والأمصار المختلفة لمراقبتهم ومعرفة مدى تمسكهم بالعدالة، وقيامهم بالمهام الموكلة إليهم، فكانت المخابرات العباسية على –سبيل المثال– ترفع للخليفة المنصور تقريرين في اليوم، واحد صباحاً والأخر في المساء يتضمنان أحوال الاقاليم المختلفة، وكان على ضوء هذه التقارير يصدر أوامره

---

(1) المسعودي ، مروج الذهب ج219/3 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج4 / 333.

(3) أبو سَلَمة الخلال 132 هـ/750م هو أبو سلمة الكوفي المعروف بالخلال حفص بن سليمان، أول من لقب بالوزارة في الإسلام. مولى السبيع، من همدان، وفي رواية أخرى مولى لبني الحارث بن كعب. نشأ في الكوفة واتجر بالخل ولهذا لقبّ بالخلال وبهذه الصفة عرف الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج168/6.

(4) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 44.

برفع الظلم وعزل المقصر من ولاته وكبار موظفي دولته وما إلى ذلك[1] ؛ فقد عزل المنصور والي حضرموت بناء على تقرير وصله من جهاز مخابراته يفيد بأن هذا الوالي ترك أمر الرعية وتفرغ للصيد، وجاء في أمر العزل: " تكلتك أمك، وعدمتك عشيرتك، ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية بالوحوش؟ إنما استكفيناك أمور المسلمين، ولم نستكفك أمور الوحوش، سلم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان والحق بأهلك مذموماً مدحوراً"[2].

ولم يكن الخليفة المنصور الوحيد من خلفاء الدولة العباسية الذين اهتموا بجمع الأخبار عن رعاياهم وكبار موظفي دولتهم، بل أولى هذا الجانب كثيراً من الاهتمام معظم خلفاء بني العباس، فكان الخليفة هارون الرشيد من أشد الخلفاء بحثاً عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عناية، وأحزمهم فيها أمراً، وأول إشارة تدل على اهتمام الرشيد بجمع الأخبار وتجنيد الرجال لذلك تعود إلى قبيل توليه الخلافة، عندما خشي أن يصرفه أخوه الهادي (169-170هـ/785-786م) عن ولاية العهد، فجند مسروراً الكبير الذي كان يتولى ستر بيت خلوة الهادي لتزويده بكل ما يدور في القصر، فكان ينهي إلى الرشيد كل كلمة من كلمات الهادي وما يفعله في يومه[3].

وعندما تولى الخلافة (170-193هـ/786-809م) جعل نشاط مخابراته يشمل السجون لمراقبة ما يتفوهون به لمساعدة الدولة في عمليات التحقيق وإصدار الأحكام العادلة بشأنهم، فيذكر أنه لما حبس الشاعر المعروف أبا العتاهية، جعل عليه الرشيد عيناً يأتيه بما يقوله، فرآه يوماً قد كتب على حائط السجن هذين البيتين:

أما والله إن الظلم لوم   وما زال المسيء هو الظلوم

إلى الديان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم

(1) الطبري، تاريخ الرسل والممالك،ج96/8؛ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر ج371/2-372.
(2) الرفاعي، النظم الإسلامية، 93ص.
(3) ابن الداية، المكافأة، ص62-63.

فأخبر الرشيد بذلك فأسف على سجنه، وأطلق سراحه، وأعطاه ألف دينار [1].

وبلغ من حرص بعض خلفاء الدولة العباسية على معرفة أخبار الرعية أنهم كانوا لا يركنون إلى ما يأتيهم من تقارير من مخابراتهم، بل كانوا في أحيان يطوفون في الأسواق والأحياء ليعرفوا بأنفسهم ما يدور بين الناس من أحاديث و يستطعلوا ما لا يصل إليهم خبره[2].

وسار المأمون (198-218هـ/813-833م) على نهج والده في العناية بجمع الأخبار، فعندما تولى الخلافة وأتى بغداد كان قد جند أحد رجال مخابراته لملازمة إبراهيم بن المهدي[3] الذي كان يتشوف للخلافة، وأمره بنقل كل ما يسمعه من إبراهيم سواء في الجد أو الهزل[4].

وتمكن المأمون عن طريق مخابراته، الذين كانوا يراقبون الولاة ويقدمون التقارير السرية عن تنامي ثروتهم وسلوكهم ، من عزل العديد منهم عندما تبين له أن هؤلاء الولاة استغلوا مناصبهم وأثروا على حساب الرعية[5].

ويبدو أن المأمون كان يهتم ببث الجواسيس والعيون في أواسط عسكره لرصد أي تحرك من شأنه أن يؤثر على أمن الدولة، فكانت التقارير تأتيه بشكل مفصل عن أحوالهم، وما يجري في معسكراتهم، فيذكر إبراهيم بن السندي أنه جالس المأمون فطفق يحدث عن أهل عسكره، حتى والله لو أن رجلاً أقام في رحل كل رجل من الجند حولاً لما زاد على معرفته، لشدة تنقيره وتتبعه أخبار الناس[6].

---

(1)ابن عبد ربه ، العقد الفريد،ج6/173-174؛شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ،ص 355.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج 8/484-485.

(3) إبراهيم بن المهدي الأمير الكبير أبو إسحاق ، الملقب بالمبارك ؛ إبراهيم ابن أمير المؤمنين محمد بن أبي جعفر ، الهاشمي العباسي الأسود . ويعرف بالتنين للونه وضخامته ، كان فصيحاً ، بليغاً ، عالماً ، أديباً ، شاعراً ، رأساً في فن الموسيقى . ويقال له : ابن شكلة ، وهي أمه. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10/558.

(4) المنجد، بين الخلفاء والخلعاء، ص93.

(5) البيهقي، المحاسن والمساوئ ،ج 1/244-245.

(6) طيفور، تاريخ بغداد، ص100.

النظام القضائي في العصر العباسي:

يعني هذا النظام، الفصل في الخصومات، وإيصال كلكل حق لصاحبه ، حتى يسود الأمن، وتعم هيبة الدولة، ويشمل النظام القضائي: الحديث عن القضاء، والنظر في المظالم، والحسبة ،وأن القضاء ينبع من دستوره في الإسلام من القرآن والسنة، واجتهاد القاضي بما لا يتنافى معهما في نطاق علمه وعدله ووجدانه، وكان القاضي في العصر العباسي ،ممثل السلطة القضائية، يعين من قبل الخليفة مباشرة دون الوزير والوالي، كي يستطيع إصدار أحكامه بنزاهة ، ولئلا يعزل بعزل الوالي أو يتأثر بآرائه محافظة على منصبه[1]، وقد ظل تعيين القضاة من حق الخليفة حتى عصور متأخرة[2].

وكان مركزه في العصر العباسي أرفع من الوالي، ولم يكن يمثل أمام الوالي، بل إن الوالي هو الذي يمثل بين يديه[3].

وظل القاضي في كثير من الأحيان يشغل منصبه في عهد ولاة عديدين، ولم يكن أسرع منه في تقديم استقالته اذا تدخل في أحكامه الشرعية متدخل[4].

اتسعت سلطة القاضي في العصر العباسي الأول، فبعد أن كان عمله مقتصراً على الفصل بين الخصوم، أصبح يفصل في الدعاوي والأوقاف وتنصيب الأولياء، ثم وضع يده على الأحباس، كما وضع يده على أموال اليتامى حتى كان عهد الحاكم بأمر الله الذي أفرد موضعاً يوضع فيه مال الأيتام ويختم عليه أربعة من الشهود لا يفتح إلا بوجودهم[5].

---

(1) ابن خلدون مقدمة ابن خلدون ،ج220/1.؛انظر ماجد ،تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص53.

(2)الكندي ، الولاة والقضاة ،ص378؛ القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة ،ج515/2؛ ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج379/1.

(3) ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج379/1-380.

(4) ابن القيم ، الطرق الحكمية ، ج82/1-82.

(5) الشكعة، إسلام بلا مذاهب،ص77.

ولقد حدث تطور في النظام القضائي في العصر العباسي الأول عما كان عليه في العهود السابقة، وذلك بسبب ظهور روح الاجتهاد في الأحكام لظهور المذاهب الأربعة؛ فأصبح القاضي يصدر أحكامه وفق أحد المذاهب، وما لبث العصر العباسي الأول أن شهد قضاة يمثلون المذاهب الأربعة في كل ولاية، ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه[1].

اتخذ العباسيون نظام قاضي القضاة، وهو بمثابة وزير العدل اليوم، وكان يقيم في حاضرة الدولة، ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم الإسلامية، وأول من لقب بهذا اللقب القاضي أبو يوسف صاحب كتاب الخراج في عهد هارون الرشيد، وكان لقاضي القضاة ببغداد ديوان يعرف بديوان قاضي القضاة، ومن أشهر موظفي هذا الديوان: الكاتب والحاجب وعارض الأحكام، وخازن ديوان الحكم وأعوانه[2] وقد اقتضى تطور نظام القضاء التحري عن الشهود، وكان القاضي يرتدي السواد شعار العباسيين، ويغطي رأسه بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة[3].

- **النظر في المظالم:**

كان صاحب المظالم ينظر في كل حكم يعجز عنه القاضي، وكما جاء في الماوردي "'ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع كثير الورع". ويمكن القول إن اختصاص قاضي المظالم هو النظر في القضايا التي يقيمها الأفراد والجماعات على الولاة إذا انحرفوا عن طريق العدل والإنصاف وعلى عمال الخراج

---

(1)المقريزي، الخطط المقريزية ص 132-133.

(2) حسن ،تاريخ الإسلام السياسي ، ج292/2.

(3) ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج/399.

إذا اشتطوا في جباية الضرائب، وكتاب الدواوين إذا حادوا عن اثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة"[1].

وكذلك النظر في تظلم المرتزقين من الدولة إذا نقصت أرزاقهم وتأخر ميعاد دفعها لهم. وكذلك مراعاة اقامة العبادات كالحج والأعياد والجمع والجهاد[2]، ومن فوائد النظر في المظالم، كف أيدي أولي الأمر عن الظلم ، فهم حين يرون أن صاحب الحق يستطيع الوصول إلى حقه، باللجوء إلى السلطات العليا، يحذرون سوء عاقبة فعلهم، وتأثر سمعة الدولة بذلك[3].

كانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف العليا في عصرنا، والغرض الأساسي من إنشائها وقف تعدي ذوي الجاه والحسب، ولهذا كانت المظالم تسند إلى رجل كفء يعرف باسم قاضي المظالم، وكثيراً ما كان الخليفة يجلس بنفسه للنظر في المظالم في أيام محدودة؛ وذلك لأن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها، وفيهم الحرم والمنقطعات والأيتام، وكل من يفد منهم يعتقد أنه يصير إلى من ينصره ويكشف ظلامته ويعديه على خصمه، فيجب أن يتلقى كل منهم الترحاب واللطف، وينذب لهم من يحفظ رقاعهم ويتنجز التوقيع فيها من غير التماس رشوة ولا فائدة منهم[4].

وكان الخلفاء العباسيون الأوائل ينظرون في المظالم بأنفسهم –غالباً– فقد كان الخليفة المهدي يجلس للمظالم، ولئلا تقدم القصص إليه بعضها عن البعض، ومنعاً للرشوة، فإنه اتخذ بيتاً له شباك حديد على الطريق تطرح فيه القصص، يدخله وحده، وقدم عليه رجل فتظلم فأنصفه فاستخفه الفرح حتى غشي عليه، فلما أفاق قال ما حسبت أني اعيش حتى أرى هذا العدل، فلما

(1) الماوردي، الأحكام السلطانية ،ص 77.
(2) مشرفة، القضاء في الإسلام، ص176–178.
(3) القلقشندي، صبح الأعشى ،ج 205/6–206.
(4) الصدر السابق، ج204/6–205.

رأيته داخلني من السرور ما زال معه عقلي، فقال المهدي كان الواجب أن ننصف في بلده فأمر له بخمسين ديناراً كتعويض لنفقات السفر. وكذلك فقد جلس لها الهادي ثم الرشيد ثم المأمون، وآخر من جلس لها المهتدي[1].

وخير مثل على تطبيق العدل في الدولة العباسية، في حين خطب أبو العباس[2]، وأعلن عن سياسة حكمه، التي سيسودها العدل والخير بعد الجور والشر[3].

كما أوصى المنصور ابنه المهدي قائلاً: " إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطة لا يصلحها إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعدل، وأقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه"[4].

وقال له –أيضاً–: " وليتسع انصافك ويبسط عدلك ويؤمن ظلمك، وساو بين الرعية، في الاحتكام، واطلب بجهدك رضى الرحمن كما كان يوصي الناس في خطبه بالعدل ويحذرهم من الظلم فقال: " يا عباد الله لا تظالموا فإنها مظلمة يوم القيامة، والله لولاً خاطئة، وظلم ظالم لمشيت بين أظهركم في أسواقكم، ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لآتينه حتى أدفعه إليه[5]" .

وبالنظر إلى المصادر التاريخية نجد عدداً من الروايات تدلل على إقامة العدل، الذي يعتبر أول الشروط، لصلاح الناس والملك.

---

(1) الماوردي ،الأحكام السلطانية ، ص 76.

(2) أبو العباس: هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ولد سنة 108هـ وقيل 104هـ بالحميمة، وأمه ريطة الحارثية، وهو أول خلفاء بني العباس بويع بالخلافة سنة 136هـ في الأنبار وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج93/5.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3/2.

(4) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم ج291/5؛ اليافعي، مرآة الجنان ج263/1؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج131/10؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ،ج 314/23؛ النويري، نهاية الأرب ج 41/6.

(5) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ج 393/2.

وما روي عن اهتمام المنصور بأمر الرعية، لا سيما المظلومين أنه ذات يوم كان جالساً في مجلسه، إذا بسهم يسقط بين يديه فذعر ذعراً شديداً، وأخذ يقلبه وإذ على باب السهم مكتوب همذان[1] فيها رجل مظلوم في حبسك، فبعث المنصور من فوره ليكشف أمر الرجل ليفتشوا في السجون، فوجدوا شيخاً موثوقاً بالحديد متوجهاً إلى القبلة يردد قوله تعالي:" وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[2]، فسألوه عن بلده، فقال: همذان، فحمل ورفع بين يدي المنصور فكتب كتاباً للقاضي لينظر في قصته، فسأله عن قصته، فأخبره أنه من أبناء مدينة همذان، وأن الوالي أراد أن يأخذ منه ضيعته التي يقدر ثمنها بألف ألف درهم، فامتنع عن القبول، فكبله بالحديد، وحمله وكتب أنه عاص، فكان من أمره ما كان، وظل على ذلك أربع سنوات، فأمر القاضي بفك الحديد عن الرجل وأطلق حبسه، وردت اليه ضيعته وأصدر القضاء أمراً بتعويض الرجل مادياً لما لحق به من ضرر مادي، و ولاه المنصور همذان كتعويض معنوي لما تعرض له من الإهانة[3].

هذه الواقعة تعطي صورة واضحة عن القضاء الإسلامي في ذلك العصر، فقد امتدت يد القضاء لتحقيق العدالة المعنوية والمادية للمواطنين، فجهاز القضاء في الدولة له مكانة رفيعة، وصلاحيات نافذة في كل أجهزة الدولة، كالجهاز المالي، والإداري، كل ذلك كي يتمكن هذا الجهاز من تطبيق حقوق الإنسان في الدولة الإسلامية.

وهناك موقف آخر للقاضي سوار[4] حينما شكا إلى أبي جعفر المنصور، فاستقدمه، فلما قدم دخل عليه، فعطس المنصور فلم يشتمه، فقال: ما يمنعك من التشميت؟، أجابه لأنك لم تحمد

(1) همذان: مدينة من العراق من كور الجبل، كبيرة جداً ولها أربعة أبواب، كثيرة المياه والبساتين والزروع، قديمة البناء شديدة البرد، معظم نساءها وذريتها سبياً. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،ج 596/1.

(2) الشعراء: 227.

(3) المسعودي، مروج الذهب، ص475.

(4) سوار بن عبد الله بن سوار العنبري القاضي المشهور، الثقة، العابد، الصادق، محمود السيرة، (ت–245هـ) الذهبي، الكاشف ،ج472/1.

الله، فقال: حمدته في نفسي، قال: وشمتك في نفسي، قال: فارجع إلى عملك فإنك إذا لم تحابني لن تحاب غيري[1].

فمن عوامل نجاح جهاز القضاء في تحقيق أهدافه هو مساندة الخلفاء للقضاة ودعمهم في كل موطن، كما نجد أن القضاة حكموا لصالح خصوم الخليفة.

حين قدم المنصور المدينة، وقاضيها في ذلك الوقت كان محمد بن عمران[2]،اشتكى الجمالون، الخليفة للقاضي بأن لهم حقاً عنده، فأمر كاتبه أن يكتب للخليفة بالحضور، للفصل بينه وبين الجمالين، وكان عنده وجوه وأشراف أهل المدينة، فلما وصله الكتاب من القاضي، أبلغ الناس أنه دعي إلى مجلس الحكم، وطلب منهم ألا يقوم له أحد إذا خرج، وخشي أن يهابه ابن عمران، فقال لوزيره: أخشى إن رأني ابن عمران، أن يدخل قلبه هيبة، فيتحول عن مجلسه، والله إن فعل ما ولي ولاية أبداً، فدخل على القاضي ابن عمران، وكان متكئاً، فأطلق رداءه عن عاتقه ثم اجتبى به، ودعا بالخصوم والجمالين، وسمع منهم ومن الخليفة، وحكم لصالح خصوم الخليفة وبعد أن فرغ وخرج من عنده الناس أرسل المنصور إليه وشكره على عدالته وكافأه بعشرة آلاف دينار[3].

يتضح من ذلك علو مكانة القاضي وحيادته والتزامه بتنفيذ أحكام القضاء ولو كان على حساب الخليفة ما أدى إلى ترسيخ مفهوم العدالة والمساواة.

وفى عهد الخليفة المنصور، ظهر أكبر ما يثير الانتباه في النظام القضائي، وهو ظهور الأعوان للقاضي وهم جماعة من الشهود، والدائمين أمام القاضي، حيث يخبرنا الكندي عن نشأة

---

(1) ابن حيان، أخبار القضاة، ج 61/2؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ،ص 325/23-326.

(2) محمد بن عمران: هو محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، يكني ابا سليمان، ولى القضاء لبني هاشم، ومات وهو على القضاء بالمدينة، فبلغ موته أبا جعفر فقال: اليوم استوت قريش، وكان رجلاً مهيباً صارماً من الرجال . الرازي، الجرح والتعديل ،ج 41/8.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ،ج373/4؛ المالقي ، تاريخ قضاة الأندلس ،ج 51/1.

الشهود ويقول: "كان القضاة قبله إذا شهد عند أحدهم وكان معروفاً بالسلامة، قبله القاضي، وإن كان غير معروف بها أوقف، وإن كان شاهداً مجهولاً لا يعرف، سئل عنه جيرانه، فما ذكروه من خير أو شر، عمل به، حتى كان غوث أول من سأل عنهم في السر، وكان من عدل عنده قبله، ثم يعود الشاهد واحداً من الناس ،ولم يكن أحد يوسم بالشهادة ولا يشار إليه بها(1).

على الرغم من حرص الخلفاء ، على تولية القضاة، لأفضل الناس وأعلمهم وأكثرهم ثقة، ومن يمتلك الكفاءة في أداء عمله، إلا أن الكثير منهم امتنعوا ورفضوا قبول ذلك المنصب ،واحتج من كرهه، بأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، من شأنها أن ترهب القضاة حتى العادل منهم(2).

وتحقيقاً لسياسة رد المظالم تولى المهدي ذلك الأمر بنفسه فكان أول من جلس للقضاء من الخلفاء العباسيين حتى عادت الحقوق لأصحابها(3).

وما روى في رده للمظالم أنه قال: "لوكان تحت ضرس إنسان شيء أنتزعه حتى يرده"(4).

يحكى أن المهدي كان جالساً يوماً للمظالم، فرفعت إليه قصص في الكسور، فسأل عنها فقيل له: إن عمر بن الخطاب، قد قسط الخراج على أهل السواد وما فتح من نواحي المشرق والمغرب، وتوقف العمل به في خلافة الأمويين، وبداية حكم العباسيين، للحاجة إلى الموارد المالية، فنصح المهدي أن يستمر في إلزامهم بالكسور، فقال: معاذ الله أن ألزم الناس ظلماً، تقدم للعمل به أو تأخر، أسقطوه عن الناس، فقال الحسن بن مخلد: أسقط هذا ذهب من أموال

---

(1) كتاب الولاة القضاة ،ج261/1.

(2) الطرسوسي، تحفة الترك ،ج17/1.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج87/1.

(4) ابن حماد، الفتن،ج255/1؛ السيوطي، الحاوي للفتاوي ،ج 78/2.

السلطان في السنة اثني عشر ألف الف درهم، فقال المهدي: على أن أقرر حقاً وأزيل ظلماً وإن أجحفت بيت المال[1].

وما يدل على اهتمام المهدي برد المظالم، أنه علم بأن بعض أصحابه يقومون بتقديم بعض المظالم على الأخرى، فعمل صندوقاً للشكاوى وضعه في بيت على الطريق، وأصبحت توضع فيه، وكان يدخله المهدي وحده، فيأخذ ما يقع بيده أولاً، فينظر فيه لئلا يقدم بعضها على بعض[2].

وكان يمثل أمام القضاء إذا تظلم منه أحد من رعيته، فقد رفعت شكوى ضده من أاحد الرعية ويُدعى المسور بن مساور الذي غصبه وكيل المهدي ضيعته، فلما مثلا أمام القضاء قال مساور: أصلح الله القاضي، إن هذا ظلمني في ضيعتي وأشار إلى المهدي، فقال القاضي: ما تقول يا أمير المؤمنين، قال: ضيعتي في يدي، فقال مساور: أصلح الله القاضي، سله متى صارت إليه الضيعة، قبل الخلافة أم بعدها؟، قال المهدي: بعد الخلافة، فأمر القاضي الخليفة أن يُطلقها له[3].

لقد ضرب المهدي مثالاً نادراً ورائعاً في العدالة، وإنصاف الرعية، ولم يتجبر أو يتكبر أو يأمر بإلقاء القبض على الرجل لأنه أساء إلى خليفة المسلمين، وإنما قدم نفسه للعدالة لتأخذ مجراها، ويأخذ كل ذي حق حقه، وضرب القاضي مثالاً آخراً في النزاهة والأمانة والعدالة وعدم المحاباة، فعلى الرغم من أن هذا خليفة المسلمين، نظر إليه مع احترامه له كخليفة للمسلمين، إلا أنه اليوم يقف خصماً ولا بد أن يعود الحق إلى أهله، فجاء حكمه في نهاية الأمر لصالح الرجل

---

(1) الماوردي، الاحكام السلطانية، ج 90/1؛ ابن الأعرج، تحرير السلوك ،ج 40/1.

(2) القلقشندي، صبح الأعشي ،ج 195/6.

(3) ابن حيان، أخبار القضاة، ج 354/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج180/10.

المتظلم، لم يحاب ولم يجامل الخليفة، ولقد نعمت الرعية بعدل خلفائها فعاشت في طمأنينة ومودة وسلام، وها هو أحد أفرادها يسترد حقه من الخليفة ويدلي بحجته دون خوف أو وجل.

وكان من أعظم قصص العدل في عهد المهدي أنه عندما عرض على شريك[1] القضاء فتعذر بعدة أعذار فأوجد لها حلولاً، فقال له شريك: "إني امرؤ أقضي على الوارد والصادر، فقال: اقض علي وعلى والدي، قال: فاكفني حاشيتك، قال: قد فعلت"[2].

وهنا تتضح صورة فصل القضاء عن السلطة التنفيذية، أي رجال السلطة التنفيذية المتنفذين ،وهذا يمثل أروع ما وصل إليه جهاز القضاء الإسلامي، حيث أصبح مستقلاً لا يخضع لأي ضغوط خارجية، ولعل هذا ما أملت به حضارة العصر الحديث.

ولما توفي المهدي تولى الخلافة ابنه الهادي[3]، وكان على القضاء أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وعرض عليه قضية الخصم مع أمير المؤمنين الهادي في بستان، كان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك، فقال الهادي للقاضي: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه، فرد قائلاً: يسألني خصم أمير المؤمنين أن أحلفك أن شهوده شهدوا على حق، فقال الهادي: أترى ذلك؟ قال: فقد كان ابن أبي ليلي يراه، فقال: أردد البستان عليه، وإنما احتال عليه لعلمه أن الهادي لا يحلف[4].

---

(1) شريك: عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة، أبو عبد الله، صدوق يخطئ كثيراً، ولاه المنصور القضاء، وكان عادلاً فاضلاً، عابداً، شديداً على أهل البدع، توفي سنة 177هـ، وقيل 178هـ. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج 266/1.

(2) ابن حيان، أخبار القضاة، ج 174/3.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد ،ج 95/5-96.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان ،ج 384/6.

وهنا استمراراً للسياسة التي وضعها المنصور في القضاء، فالخليفة مع علو منصبه إلا أنه ليس له حصانة تمنعه من المثول أمام القضاء، فالحاكم في الإسلام كباقي الرعية يكون مدعي أو مدعي عليه، لأن الناس سواسية، لا فرق بين حاكم ومحكوم إلا بالتقوي.

كما وأصدر كتاب تكليف للقضاة يعينهم ويأمرهم بالتشدد في الحكم[1] لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "قال ربك وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم في عاجل أمره وفي آجله، ولأنتقمن ممن رأي مظلوماً يظلم فقدر أن ينصره فلم يفعل له"[2].

وفى عهد الرشيد وصلت الدولة العباسية إلى أعلى درجاتها، صولة وسلطاناً وعلماً وثروة[3]، وارتفعت حضارة الدولة العلمية، والأدبية والمادية إلى أرقي درجاتها، وكان لقاضي القضاة في بغداد ديوان، يعرف بديوان الكاتب، وديوان الحاجب، وعارض الأحكام، وخازن ديوان الحكم وأعوانه[4]، وتميز بالعديد من الصفات ، التي ساعدته على ترسيخ قيمة العدل والمساواة والعمل على تحقيقها، فهو يعلم حرمات الدين، ويبكي على نفسه، وذنوبه إذا وعظ[5]، ويحب الانصاف فلا تضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر ذلك[6].

وما قام به لتحقيق العدل جلوسه للقضاء حتى عادت الحقوق لأصحابها[7]، حيث كانت تقرأ عليه الشكاوي، وإذا برجل كبير السن يطلب أن يقرأ مظلمته بنفسه لأنه أعرف بخطه، فقرأها

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 132/64.

(2) المصدر السابق، ج 340/34؛ الشيزري، المنهج المسلوك، ج 362/1.

(3) داوود، أصول المحاكمات، ص 63.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 316.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج287/9.

(6) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، الرسل والممالك ،ج 16/5.

(7) الماوردي، الأحكام السلطانية، ج 87/1.

شعراً، فلما انتهي سأله الرشيد من يكون فقال أنه علي بن الخليل[1]، الذي اتهم بالزندقة[2]، فأمنه وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخُص به بعد ذلك[3].

في الرواية دلالة واضحة على سهوة رفع الشكاوي للخليفة والوصول اليه، وتواضع الخليفة إذ سمح للرجل بأن يقرأ مظلمته بنفسه، إضافة إلى تأمينه والانفاق عليه والتي تعد من أسمي درجات العدالة.

ومن صور تحقيق المساواة والعدالة أن عمر بن حبيب[4]، كان على قضاء الرصافة لهارون الرشيد فاستعدي إليه رجل على عبد الصمد بن على[5] فأعداه عليه فأبي عبد الصمد أن يحضر مجلس الحكم، فختم عمر بن حبيب قمطره[6] وقعد في بيته، فرفع ذلك إلى هارون الرشيد، فأرسل اليه فقال: ما منعك أن تجلس للقضاء؟ فقال: أعدى على رجل فلم يحضر مجلسي، قال: ومن هو، قال: عبد الصمد بن على، فقال هارون: والله لا يأتي مجلسك إلا حافياً، قال: وكان عبد الصمد شيخاً كبيراً، قال: فبسطت له اللبود[7] من باب قصره إلى مسجد الرصافة فجعل يمشي ويقول: أتعبني أمير المؤمنين، أتعبني أمير المؤمنين، فلما صار إلى مجلس عمر بن حبيب، أراد أن يساويه في المجلس، فصاح به عمر، وقال: اجلس مع خصمك، قال: فتوجه

---

(1) ابن حجر، لسان الميزان 228/4.

(2) الزندقة، الارتداد عن الإسلام، أي من يعلن اسلامه ويسر الكفر، وحكمه القتل وعدم الإستتابة. مالك، الموطأ ج736/2.

(3) الأصبهاني، الاغاني ج173/14-174؛ القيرواني، زهر الأداب، ج 229/4.

(4) المزي، تهذيب الكمال، ج290/21.

(5) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص 431-441-457.

(6) القمطر: ما تصان به الكتب. ابن منظور، لسان العرب ج117/5.

(7) اللبود: هو ما لزق بالأرض، وركب بعضه بعضها، فالصوف المنفوش إذا تم بله بالماء صار كاللبد، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج812/2.

الحكم علي عبد الصمد، فحكم عليه وسجل به، فقال عبد الصمد: لقد حكمت على بحكم، لا يجاوز أصل أذنك، فقال عمر: أما اني قد طوقتك بطوق لا يفكه عنك الحدادون[1].

وما يؤكد على تحقيق العدالة في القضاء، أن تظلم رجل إلى القاضي ابن ضبيان[2] وهو بالرقة[3] من عيسى بن جعفر[4] وكان الرشد آنذاك بها، فكتب القاضي بذلك لعيسى بن جعفر، ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه، فحضر باب عيسى، ودفعاً الكتاب إليه، فغضب ورمي به، فأحضر القاضي فكتب إليه: "حفظك الله وأبقاك وأمتع بك لابد من أن تصير أنت وخصمك إلى مجلس الحكم، فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين، إن شاء الله" ووجه الكتاب مع رجلين من أصحابه، فدفعا الكتاب إلى عيسى فلم يقرأه ورمي به فأبلغاه، فختم القمطر وقعد في بيته، فبلغ الرشيد الخبر فدعاه وسأله فأخبره فقال لإبراهيم بن عثمان: سر إلى باب عيسى فاختم أبوابه كلها ولا تخرجن أحداً منها، ولا يدخل حتى يخرج إلى الرجل من حقه، أو يصير على الحاكم، فأحاط إبراهيم بداره خمسين فارساً، وغلقت أبوابه، فظن عيسى أن الرشيد يريد قلته، وما يدري ما سبب ذلك، وارتفع صراخ النساء، فأخبره بخبر ابن ضبيان، فأحضر خمسمائة ألف من ساعته، وأمر أن يدفع إلى الرجل، فجاء إبراهيم فأخبر الرشيد، فقال: إذا قبض الرجل ماله فتحت أبوابه[5].

---

(1) البغدادي، تاريخ بغداد ،ج198/11؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 25/26–253؛ ابن الجوزي، المنتظم ج164/10؛ ابن منظور، مختصر مدينة دمشق، ج 54/5.

(2) ابن حيان، أخبار القضاة ،ج286/3.

(3) الرقة: مدينة في العراق بجانب الوادي، ينبسط عليها الماء أيام المد، وهى واسطة بلاد مضر، فتحها عياض بن غنام سنة18هـ . الحميري، الروض المعطا في خبر الأقطار ،ج 270/1.

(4) البغدادي، تاريخ بغداد، ج 15/11؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 208/9.

(5) ابن حيان، أخبار القضاة، ص 287–288؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 297/73؛ ابن الجوزي، المنتظم ج177/9–178.

وظل الحليفة جنباً إلى جنب للقضاة وأقضيتهم حيث كان حماد بن موسى[1] صاحب أمر محمد بن سليمان[2] والغالب عليه، فعندما حبس سوار القاضي رجلاً في قضية، فأخرج الرجل من الحبس فخاصمه إلى سوار فأخبره أن حماداً أخرج الرجل فركب سوار حتى دخل على محمد بن سليمان، فكتب صاحب الخبر إلى الرشيد، فكتب إلى سوار يحمده على ما صنع وكتب إلى محمد بن سليمان كتاباً غليظاً يذكر فيه حماد، ويقول: الرافضي ابن الرافضي والله لولا أن الوعيد أمام العقوبة ما أدبته الا بالسيف ليكون عظه لغيره ونكالاً، يفتات على قاضي المسلمين في رأيه ويركب هواه لموضعه منك ويتعرض في الاحكام استهانة بأمر الله واقداماً على أمير المؤمنين؟ وما ذلك إلا بك وبما أرخيت من رسنه[3]، تالله لئن عاد إلى مثلها ليجدني أغضب لدين الله، وانتقم من أعدائه لأوليائه[4].

يتضح مما سبق أن القاضي كان ينظر إلى الدعاوي والشكاوي دون تفريق بين الخصوم في المعاملة، فالكل سواء فلا يفضل خصماً على آخر، وقد أكد الخلفاء على القضاة مراعاة العدل في الحكم، مما يوجب على القاضي الموازاة بين الفريقين اذا تقدماً إليه، وألا يحاذي بينهما في الحلوس بين يديه، ولا يقبل ذي هيئة لهيئته ولا يعرض على دميم لذمامته، ولا يزيد شريفاً على مشروف ولا قوياً على ضعف، وأن يعدل عند طرحه في القضية، وأن يناظر بين المتحاكمين بالسوية، ولا يفضل خصماً على صاحبه بناءً على قوله أو فعله أو قدرته في طرحه حجته.

من القصص التي تبين قوة منصب القاضي، وآلية تنفيذه للأحكام عندما تستوفي شروطها عندما أرسل الرشيد لواليه على أفريقية أن يحضر رجل يدعي حاتم الابزاري، ويأخذ منه

---

(1) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، الرسل والممالك ،ج 470/4.

(2) ابن خياط، تاريخ ابن خياط ، ص 423–440.

(3) رسنه: الشدة والحزم، ابن منظور، لسان العرب، ج 180/13.

(4) ابن حيان، أخبار القضاة ،ج69/2–70؛ ابن الجوزي، المنتظم 333/11؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج 115/8.

عشرة آلاف دينار، وهى دين لفرج مولى الرشيد، ويرسل المبلغ مع الرسول، فقرأ الوالي الكتاب على ابن غانم فرفع كتابه للقاضي، فطلب القاضي أن يثبت الرسول برجلين عدلين أن الرشيد استخلفه على قبض المال، وأن المال للرشيد أو مولاه، فاحتج الرسول على ذلك، لان الخليفة لا يكتب بالباطل، فقال القاضي ابن غانم[1]: معاذ الله، أمير المؤمنين أكرم أن يأخذ مالاً من غير محله ولكن قد تنحرف الأشياء دونه[2]، يدلل ذلك على قوة منصب القاضي وتثبت العدل في أحكامه، إذ لم يصدرها إلا بعد أن استوفت شروطها كاملة، مع بيان حنكة القاضي وهذا بدوره يبين مدى دقة الخلفاء في اختيار نوعية القضاة الذين يولونهم وتوفر الشروط التي يجب أن يتصفوا فيها، فبدون هذه الآليات لن يستطيع القضاء إعطاء الحقوق لأهلها، وتطبيق الحق في العدل والمساواة للمواطنين.

كما أن الرشيد كان يسأل دائماً عن لقضاة ويتفقد أحوالهم ويعزل من لا يصلح فيهم ومن لم يرضي عنه الناس لأنه يعلم مدى خطورة ذلك على المنصب، وان الخروج على الحاكم من عدم تحقيق الانصاف والعدالة، فعندما زار حمص ودعا قاضيها وسأله ما اسمه؟ فقال: عزيل وعن كنيته فأجاب أبو العشق وعن نقشه خاتمه قال: ثبت الحب ودام على الله التمام فعزله[3].

يتضح ما سبق ارتقاء مستوى العدل في القضاء، فالقضية بين الخليفة وأحد أفراد الشعب استمع القاضي للعامة قبل الخليفة، إضافة أنه لم يسمح للخليفة أن يأخذ شرف المجلس على حساب خصمه، ولا يهاب من أن يحكم ضده، وهذا له دلالة واضحة على المساواة في أروع صورها ، فهي المساواة في ساحات القضاء بين الخليفة والخصم الذي كان من عامة المسلمين ، وهذا بدوره يعمل على تعزيز الامن والأمان في المجتمع المسلم.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 336/11.

(2) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص 440

(3) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ،ج 474/4

نظام الحسبة:

يعرف القائم على الحسبة بالمحتسب، ويشترط فيه أن يكون عدلاً فقيهاً عالماً بالأحكام الشرعية، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة. والحسبة هي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس بالطرق المشروعة كافة، فوظيفة المحتسب –على هذا الشكل– هي المحافظة على الآداب والفضيلة والأمانة، والنظر في مراعاة أحكام الشرع ،والاشراف على نظام الأسواق، والحؤول دون بروز الحوانيت حتى لا يعوق ذلك نظام المرور، واستيفاء الديون، والكشف عن الموازين والمكاييل تجنباً للغش ومعاقبة من يعبث بالشريعة أو يرفع الأثمان، والمنع من التعدي على حدود الجيران(1)، ويدخل في وظيفة المحتسب الأمر بأداء الصلاة في مواقيتها ومعاقبة من لا يصلي بالضرب أو الحبس، وتعاهد الائمة والمؤذنين. فمن فرط منهم في حقوق الإمامة أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بالصواب(2)، وقد كان قاضي القضاة يخضع لرقابة المحتسب ويأتمر بأمره في بعض الشؤون، فقد مر إبراهيم بن بطحاء والي الحسبة ببغداد بدار أبي عمر بن حماد، وهو يومئذ قاضي القضاة، فرأى الخصوم جلوساً على بابه ينتظرون جلوسه للنظر بينهم، وقد تعالي النهار واشتدت حرارة الشمس، فوقف واستدعى حاجبه وقال له: تقول لقاضي القضاة، الخصوم جلوس على الباب، وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فإما جلست لهم أو عرفتهم عذرك فينصرفوا ويعودوا(3).

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 196؛ النويري، نهاية الأرب، ج 291/6.

(2) الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، ص84.

(3) المرجع السابق، ص 87.

وقد أصبح للحسبة دار خاصة بها. فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة، ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم، فيعايرها. فإن وجد فيها خللاً صادرها وألزم صاحبها بشراء غيرها أو أمره بإصلاحها[1].

وكان الخلفاء يطلبون الحسبة بأنفسهم، فذلك صالح بن بشير المري[2] ،الذي عمل محتسباً على الخلفاء، يدخل على المهدي ويجلس معه على الفراش، فيقول له المهدي: عظني، قال: أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك، قال: نعم قال: فكانت لهم أعمال، ترجو لهم بها النجاة من الله تعالى، قال: نعم، قال: وأعمال تخاف عليهم بها من التهلكة، قال له: فانظر ما رجوت فأته وما خفت عليهم فاجتنبه[3].

وفي موطن آخر يطلب الخليفة الرشيد الاحتساب على نفسه في حين طاف بالبيت فوطئ جرادة، فلم يدر ما عليه فيها، فبعث رسوله للمحتسب أنذلك فلم يجبه فقام حينها الرشيد غاضباً، وبعد قليل وصل المحتسب فوقف الرشيد وسلم عليه، فقال: رحمك الله قد كان واجباً أن تأتينا، وتعرف حقنا؛ إذ ولانا الله أموركم، وصيرنا الحكام في دمائكم، وإذ لم تأتنا فقد أتيناك، وإني وطأت الآن في الطواف على جندبه فما ديتها؟ فبكي المحتسب حتى علا صوته، وقال: إذا كان الراعي يسأل الغنم، هلكت الغنم، وإنما يجب على الراعي، أن يرتاد لغنمه الرعي، وصيد الكلأ، وغب الماء، فإذا كنت غافلاً، من معالم الدين، فبأي شيء تسوس رعيتك، فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف[4].

---

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين ،ج 42/3.

(2) صالح بن بشير المري: القارئ المعروف في عصره ، من أهل البصرة، كان عبداً صالحاً يقوم بالاحتساب على الخلفاء. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 494/2.

(3) البغدادي، تاريخ بغداد ،ج306/9، الغزالي، فضائح الباطنية، ج 219/1.

(4) الآبي، نثر الدرر، ج69/7.

من الواضح أن المحتسب كان عالماً بالأمور الشرعية والفقهية، أي تتوافر فيه جميع الشروط التي تسمح له بممارسة مهنة الاحتساب، فالخليفة رغم سعة علمه وتفقهه في الدين لم يفت بشيء دون الرجوع إلى المحتسب، من شدة ورعه وخشيته من القيام بأي منكر، في حين تحمله وصبره على المحتسب لاستهزائه منه لعدم علمه بحكم ذلك الشيء البسيط، وبذلك يكون لجهاز الحسبة في الدولة العباسية دوره في تطبيق الحق في العدل والمساواة بين الخليفة والمسلمين في مناحي الحياة كافة.

وخرج الرشيد إلى الحج فرأى بهلولاً[1] المجنون، فطلب الرشيد منه أن يعظه، فرد بهلول وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم، فقال له: زدني، فقال: يا أمير المؤمنين من زاده الله مالاً وجمالاً فعف في جماله، ورأس ماله، كُتب في ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئاً، فأمر بأن يقضى دين بهلول، فقال: لا يُقضى الدين بدين، رد الحق على أهله، واقض دين نفسك من نفسك[2].

وقال بهلول للرشيد ،عندما التقى به مرة أخرى: كيف لو أقامك الله بين يديه، فسألك عن النقير[3] والفتيل[4]والقطمير[5]، فخنقت الرشيد العبر، فقال الحاجب: حسبك، قد أوجعت أمير المؤمنين، فقال الرشيد: دعه، فقال بهلول: إنما أفسده أنت وأضرابك، فقال الرشيد: أريد أن أصلك بصلة، فقال: ردها على من أخذتها منه[6].

(1) بهلول: بهلول بن عمرو أبو وهيب الصيرفي من أهل الكوفة، حدث عن أيمن بن نائل وعاصم بن أبي النجود وعمرو بن دينار، توفي سنة 190هـ. الكتبي، فوات الوفيات ،ج 45/1.

(2) النيسابوري ،عقلاء المجانين ،ج 34/1.

(3) النقير: النكتة في ظهر النواة، وتضرب للشيء التافه. ابن منظور، لسان العرب، ج 514/11.

(4) الفتيل: ما يكون في شق النواة أو ما فتل بين الإصبعين من وسخ. الرازي، مختار الصحاح، ج 205/1.

(5) القطمير: السحاة التي تكون بين النواة والتمر، أو ما تعلق بالنواة مع القمع إذا أخرجت من التمر. الفراهيدي، العين، ج258/5.

(6) النسابوري، عقلاء المجانين، ج25/1.

وعلى الرغم من استقلال جهاز الحسبة في العصر العباسي إلا أن هناك من العامة من قام بعمل المحتسب، فذلك المجنون يعظ الخليفة، وينهاه عن فعل المنكرات، وأن يحفظ المعروف في أهله خشية الوقوع في الهلاك، وهذا يعتبر أرقى مستويات تطبيق الحق في العدل والمساواة وتحقيق الأمن والامان.

الحياة الأمنية في الحرب:

لم تكن القيادة العباسية من الدهاء والحنكة ،في فن الحروب وقيادة الجيوش وبناء قوة عسكرية، بأقل من القيادة الأموية، فقد سجل التاريخ بأن أول قوة عسكرية منظمة ، التي سميت فيما بعد بالجيوش النظامية، أسست في عهد الدولة العباسية؛ لذلك "كان الجيش العباسي أول جيش منظم في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، وقد حرص الخلفاء العباسيون الأوائل على الحفاظ على صبغة الجيش العربية ...والأساس الذي بني عليه الجيش العباسي بقي كما هو مهما تبدلت عناصر الجيش أو تنوعت كتله، وهذا الأساس هو (الارتزاق)، فكان المرتزقة هم الجند النظاميين، ونقصد بالمرتزقة المقاتلة المحترفين، الذين اتخذوا الحرب مهنة للارتزاق، فكانت أسماؤهم تسجل في الديوان ويتسلمون العطاء بانتظام من الدولة"[(1)].

فبناء جيش منظم مدرب على مختلف فنون القتال البرية والبحرية، ومسلح بأحدث الأسلحة في ذلك العصر، إنما يدل على العمل بأسس وقواعد الأمن العسكري. كما طبق العباسيون أسلوب (المسالح) وهي عبارة عن نقاط مراقبة متقدمة، تقوم بها مجموعات مسلحة على درجة عالية من التدريب والكفاءة القتالية واللياقة البدنية المتميزة، ومهمتها الاستطلاع المتقدم وحماية الجبهة الداخلية من خلال خطوط دفاع متقدمة جداً، وهي غالباً ما تكون قريبة

---

(1) فوزي، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ص 137.

من خطوط التماس مع العدو، وتتبدل مواضعها حسب تبدل الخطر الخارجي وحسب تبدل خطة القواد العسكرية[1].

وتميزت القيادة العسكرية في الدولة العباسية، ببناء الحصون والقلاع، لحماية قواتها من ضربات العدو، وقذائف نيرانه، خاصة أن الدولة البيزنطية –في ذلك العصر– كانت تعتبر العدو الاستراتيجي، الذي يتمتع بكفاءة قتالية عالية، وأسلحة متطورة، يفتقر إليها الجيش العباسي، "فقد اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بمنطقة الحدود مع البيزنطيين، وكان جل عمله دفاعياً لا هجومياً، و أعاد تحصين المنطقة التي دمرها قسطنطين الخامس ، وبنى فيها حصوناً جديدة وقد نظمت الدولة خطين للدفاع عند الحدود البيزنطية، الأول هو الثغور، وإلى جنوبها الخط الثاني ، العواصم التي سميت بهذا الاسم؛ لأن المسلمين يعتصمون بها من الثغور فتعصمهم"[2] فالنشاط العسكري لقادة الجيش في الدولة العباسية أظهر قواعد قام عليها الأمن العسكري في تلك الفترة، وتمثلت في النقاط التالية:

1. إعداد جيش قوي ومنظم بطريقة عسكرية لم تكن معهودة من قبل(الجيش النظامي).
2. استحداث نظام المسالح في تأمين حدود الدولة، ومراقبة العدو عن كثب.
3. تحصين الجبهة الداخلية واستحداث القلاع والحصون لصد هجمات العدو.
4. تأمين الأسلحة والعتاد الحربي المتطور في مواجهة العدو .

---

1 فوزي، الثورة العباسية، ص 104.

2 فوزي، الخلافة العباسية في عصر القوة والازدهار ، ص 345– 346.

حماية الجبهة الداخلية في الثغور وقت الحرب

نظراً لأن الجبهة الداخلية تصبح هشة بعد مغادرة الجيوش إلى الغزو، فقد كان لحماية الجبهة الداخلية اهتمام كبير لدى ولاة الثغور، فإنه إذا نودي بالنفير واستعدت جيوش المحاربين لمغادرة الثغر، يقوم ولي الأمر بإغلاق باب المدينة كشكل احترازي ومن باب الاحتياطات الأمنية، خشية من قيام جواسيس الروم بالاطلاع إلى استعدادات المسلمين، ونقل صورة عن تجهيزاتهم وأعدادهم، ولمنعهم من القيام بعمليات التخذيل وبث الإشاعات في صفوف المسلمين، وقد كانت توصد الأبواب وتودع المفاتيح لدى صاحب الشرطة في الثغر[1].

وحينما يخرج أمير الثغر للنفير ومعه جنده ومن نزع معه من المتطوعين، كانت هناك جموع من الصبية الذين لم يبلغوا الحلم تجتمع إلى رجل معروف بالمدينة – قد يكون المحتسب– ويسند إليهم حماية الجبهة الداخلية للثغر، وتعزيز ثقة الناس بالنصر واشعارهم بالأمن والمحافظة على النساء والذراري ومن تخلف عن الغزو، من باب التدريب والتهيئة للمشاركة في عمليات نفير قادمة[2]، ويتمركز صاحب الشرطة والمحتسب مع رجاله عند الباب الأول الذي يلي المدينة الذي يخرج منه الناس إلى النفير[3].

وإذا طال أمر النفير وتأخر خبره يقوم المحتسب بالتردد في الأسواق، يحث الناس ويشجعهم ويبعث على اللحاق بمن سار مع الأمير وبمن توجه إلى النفير، فلا يزال الأمر على هذه الحال حتى يعود الأمير من نفيره إلى دار الإمارة[4].

---

(1) عباس، شذرات من كتب،ج453/2.

(2) عبيد، حياة المجاهدين، ص23.

(3) ابن العديم، بغية الطلب ،ج 189/1.

(4) المصدر السابق ،ج 189/1.

لقد منعت الاضطرابات الداخلية في أوائل العصر العباسي[1] الخلفاء العباسيين من الجهاد ضد الروم ،ولكن الدولة حاولت جاهدة أن تبقي روح الجهاد ومظاهره مستمرة وذلك لسببين:

الأول: أن الجهاد من واجبات الخليفة الدينية الرئيسية ؛حيث كان عليه أن يعمل لإضافة أقاليم جديدة من (دار الكفر) إلى (دار الإسلام).

الثاني: لقد استعملت بلاد الروم ملجأ لأعداء الدولة والثوار.

على أن أهم ما يميز الحرب العربية – البيزنطية في العصر العباسي هو اقتصارها على اشتباكات فصلية تتخللها هجمات تتفاوت في العمق داخل حدود الدولة المعادية. ولعل هذا الاختلاف في المجهود الحربي تجاه البيزنطيين يعود إلى أن وجهة الدولة العباسية وجهة شرقية لا غربية، رغم أن سياسة الاتجاه نحو الاقاليم الشرقية والاهتمام بها كانت سياسة أموية بدأها هشام بن عبد الملك ولم تكن بدعة عباسية جديدة: ومهما يكن من أمر فقد اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بمنطقة الحدود مع البيزنطيين وكان جل عمله دفاعياً لا هجومياً فقد أعاد تحصين المنطقة التي دمرها قسطنطين الخامس وبنى بها حصوناً جديدة، وتمدنا مصادرنا التاريخية بمعلومات جيدة عن الجهود التي بذلها المنصور وعن الإمكانات البشرية والمالية التي أنفقها من أجل أن يضع أساساً جديداً لأقاليم الثغور، واستعمل المنصور وسائل إغراء كثيرة لحث الجند والناس على العمل في الثغور، منها: زيادة العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير اضافية وتخصيص معونة قدرها (100) دينار لكل واحد منهم ،وبناء بيوت خاصة لإقامتهم مع عوائلهم، وإذا كان عهد المنصور مرحلة استكمال الدفاع والتحصينات فإن عهد ابنه المهدي شهد تصاعد العمليات الحربية ،فقد استتم المهدي ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها ثم أخذ

---

(1) فوزي، العباسيون الأوائل، ج53/2.

زمام المبادرة في عدة حملات هجومية وكان أهمها حملة (162هـ- 779م و166هـ-782م). وكان الانتصار الذي تحقق سنة (166هـ-782م) كبيراً حيث حاصر الأمير هارون بن المهدي القسطنطينية بعد أن قاد جيشه عبر الاناضول وحصل على جزية كبيرة وعاد إلى بغداد، حيث استقبل بمظاهر العظمة والتهليل ومنحه ابوه لقب "الرشيد". إلا أن هذه الحملة كانت آخر حملة وصلت إلى أسوار القسطنطينية التي ظلت لقرون عديدة في مأمن من هجوم إسلامي جديد.

وقد عني الخليفة هارون الرشيد عناية كبيرة بتنظيم منطقة الحدود بينه وبين البيزنطيين. فقد عزل الثغور عن الجزيرة وقنسرين وجعلها منطقة واحدة سماها "العواصم"[1] .

وكانت المعلومات الواردة من الثغور تعطي عناية فائقة من الخليفة هارون الرشيد للحدود مع البيزنطيين ، ما قام بعزل وجعل الدفاع عن خطين هما الثغور و العواصم[2].

وكانت منطقة الثغور التي اهتم بها الرشيد تنقسم إلى ثلاثة مناطق[3]:

المنطقة الشرقية: وتشمل حصون قاليقلا[4] وكمخ[5] وقلوذية.

المنطقة الوسطى: وتشمل حصون الحدث[6]،

زبطرة[1] وملطية[2].

---

(1) فوزي، بحوث في التاريخ العباسي، ص187.

(2) فوزي، بحوث في التاريخ العباسي، ص187.

(3) شعيرة، المرابطون في الثغور البرية ، ص 147-148.

(4) قاليقلا: بأرمينية العظمي من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة. الحموي، معجم البلدان، ج339/4.

(5) قلوذية: هو حصن كان قرب ملطية قيل إنه عدم ثم أعاد بناءه الحسن بن قحطبة في سنة 141 في أيام المنصور. الحموي، معجم البلدان ج345/4.

(6) الحدث: بالتحريك: قلعة حصينة بين ملطية و سميساط ومرعش من الثغور، الحموي، معجم البلدان، ج218/2.

المنطقة الغربية: وتشمل حصون المصيصة[3] وطرسوس[4] وآدنة[5].

أما الخط الفاصل بين الثغور والعواصم فقد حدده ابن الفقيه بأنه خط منبج من جهة إلى انطاكية من جهة أخرى فما كان إلى شمال الخط فهو من الثغور، وما كان إلى جنوب الخط فهو من العواصم. ويمر هذا الخط بحصون الجومة وقورس[6] وتيزين[7]، وكان مركز العواصم منبج[8].

وزاد في تحصين الجبهة ببناء حصون جديدة وترميم الحصون القديمة فقد بني كفربيا بجوار المصيصة وعمر طرسوس وشحنها بأكثر من (6000) مقاتل، وبنى وحصن عين زربي

---

(1) زبطرة: هي أرض مستوية والجبال تحيط بها ،والشعرة من جميع جهاتها ،على القرب منها ،وهي في الجنوب عن ملطية على نحو مرحلتين، وهي في جهة الغرب عن حصن منصور على مرحلتين أيضاً ،وبينها وبين حصن منصور الجبل والدريند، الحموي، معجم البلدان، ج150/3.

(2) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام، وهي من بناء الإسكندر، وجامعها من بناء الصحابة، ونسب إليها الكثير من العلماء والرواة. الحموي، معجم البلدان،ج 192/5-193.

(3)لمصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرطوس. الحموي، معجم البلدان،ج169/5.

(4) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوس، كلمة عجمية رومية وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. الحموي، معجم البلدان،ج 31/4-32.

(5) أدنة: أو "أذنة" بالذال، قال أحمد بن يحي بن جابر: بنيت أذنة سنة 141هـ أو 142هـ، وجنود خراسان معسكرون عليها بأمر صالح بن على بن عبد الله بن عباس، ثم بنى الرشيد القصر الذي عند أذنة قريباً من جسرها على سيحان في حياة أبيه المهدي سنة 165هـ ، الحموي، معجم البلدان، ج161/1.

(6) قورس: مدينة قديمة من نواحي حلب. الحموي، معجم البلدان،ج412/4.

(7) تيزين، بعد الزاي ياء ساكنة ونون قرية كبيرة من نواحي حلب كانت تعد من أعمال قنسرين ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها. الحموي، معجم البلدان ،66/2.

(8) منبج، هي مدينة قديمة تقع إلى الغرب من نهر الفرات في منطقة منبج، محافظة حلب، سوريا. وهي واحدة من أقدم المدن السورية، ويتبعها ثلاث نواح، هي؛ أبو قلقل والخفسة ومسكنة، و(285)قرية و (351)مزرعة.

وشحنها بالرجال. كما زاد في بناء الهارونية[1] واعاد بناء حصن الكنيسة السوداء[2] وعمر مدينة الحدث وبني حصن زبطرة[3].

واهتم الرشيد بإرسال الحملات كل سنة للجهاد ضد البيزنطيين وكان يقود الحملات بنفسه- كما في سنة 170هـ وسنة 181هـ -أو يرسل قادة من البيت العباسي لقيادة الحملات. وليدلل على أهمية هذه الحملات ولإظهار سطوة الدولة العباسية عين الرشيد سنة 186هـ/802م لابنه القاسم بولاية العهد بعد أخويه الأمين والمأمون، وسماه المؤتمن، وولاه الجزيرة والثغور والعواصم وأشخصه إلى منبج فأنزله إياها؛ ولعل أهم حملة قادها الرشيد بنفسه كانت سنة (188هـ- 804م) حين نقض نقفور امبراطور الروم الصلح مع العباسيين وكتب إلى الرشيد: " من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب... أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي (يقصد إيريني) اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق. فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها اليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن. فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أمواله، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا وبينك" ولما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب وكتب على ظهر الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم.. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ان تسمعه"[4].

ولم يكن نقفور مهيأ للقتال لنشوب ثورة مفاجئة داخلية، فهاجم الرشيد هرقلة ثم تقدمت جيوشه حتى وصلت أبواب انقرة فاتحة امامها حصون الصفصاف ودبسة. فعرض الامبراطور

---

(1) الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش بالشغور الشامية، استخدمها هارون الرشيد. الحموي، معجم البلدان، ج388/5

(2) الكنيسة السوداء: هي بلد بثغر المصيصة، يقال لها الكنيسة السوداء، وسميت بالسوداء، لأنها بنيت بحجارة سود، بناها الروم قديماً. الحموي، المعجم البلدان، ج551/4.

(3) عثمان، الحدود الإسلامية ،ص 158-163.

(4) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج94/10.

دفع الجزية ووافق الرشيد على ذلك. ولكن البيزنطيين عادوا فأغاروا علي عين زربة والكنيسة السوداء سنة (190هـ- 806م) فجابههم الرشيد واستولى على عدد من القلاع المهمة مثلة هرقلة وطوانة شمالي لؤلؤة، ورضخ نقفور لطلب الرشيد بأن يدفع (300) ألف دينار ويعمر بعض القلاع التي هدمت، واتخذ الرشيد قلنسوة مكتوباً عليها " غاز حاج" وتعتبر هذه الحملة أقصي ما وصلت إليه الجيوش العباسية في أرض الروم[1]، على أن كل هذه المعارك لم تكن تستهدف توسيع رقعة الدولة العربية أو إقامة إدارة احتلال دائم في الأناضول، بل سرعان ما كان الجيش العباسي يعود إلى قواعده في مناطق الثغور والعواصم.

وفى مجال النشاط الحربي البحري فإن التاريخ يسجل للعباسيين عنايتهم بتحصين الموانئ الشامية إلا أنهم نظروا إليها كقواعد دفاعية لا هجومية وكحدود لدولتهم ينبغي حمايتها والدفاع عنها[2].

ورغم استمرار حالة الحرب على الحدود العربية- البيزنطية إلا أن الأيام "المجيدة" للفتوحات كانت قد ذهبت ،وهذا ما دعا الناقد الاجتماعي الجاحظ إلى تطوير المقاتلة وكأنهم قد انقلبوا إلى قصاصين وشحاذين يروون للناس أخبارهم ويعيشون على ذكريات الماضي المجيد[3].

سياسة الاستيعاب والتجنيد المضاد

كان أهم تطور في تنظيم ديوان الجند في العصر العباسي التخلي عن تسجيل الجند في الديوان على أسس القبائل والأنساب، مثلما كان زمن الراشدين والأمويين؛ اذ أصبح تسجيل الجند

---

(1) يقول ابن الداية في كتابه (المكافأة): أن نقفور أعلن الاحتفال والسرور حين سمع بنبأ وفاة الرشيد، ص 80.
(2) فوزي، بحوث في التاريخ العباسي، ص 189.
(3) البيهقي، المحاسن ،ج 622/2.

في الديوان في العصر العباسي حسب البلدان بعد ما كثرت عناصر الجيش من الموالي، والسودان والعجم، والخراسانيين و الفراغنة، والمغاربة، وغيرهم[1].

وفى عهد الخليفة المأمون سار التجنيد جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى الإسلام والترغيب بالخدمة في الجيش، مع السماح للمجندين بالخدمة في أقاليمهم، خاصة العنصر التركي، ويفرض لهم بالعطاء[2]، وفي عهد المعتصم حدث تطور آخر؛ فقد أصبح ترتيب الجند في الديوان يتم حسب فرق الجند[3]، اذ يُكتب اسم المجند بشكل صريح على يمين الورقة في الدفتر ثم يُنسب إلى بلده أو ولائه، وتُذكر فرقته العسكرية، ثم يكتب استحقاقه من الرزق، وعلى يسار الورقة تكتب أوصاف الجندي وحليته. بذكر سنه وإن كان طويلاً أو قصيراً ولونه وأوصافه[4].

وكان تسجيل الجند في الديوان في العصر العباسي يتم في دفاتر خاصة، إذا استوفوا شروط الجندية على أساس النسب أو الأقاليم والجنس؛ إذ تسجل الفرقة العربية التي تستند إلى القبائل على أساس النسب (مصر، ربيعة، اليمن) أما الفرق الأخرى كالخراسانية، فقد سجلوا على الأساس الجغرافي، حسب أماكنهم وقراهم، أما فرق العجم فسجلوا على أساس أجناسهم أو بلدانهم، كالمغاربة و الفراغنة، والاتراك[5]، وذلك لأن الجيش في العصر العباسي أصبح يتألف من عناصر وجنسيات مختلفة.

---

(1) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ج 317/7؛ أمين، ضحي الإسلام، ج105/1.

(2) شعيرة، الممالك الحليفة أو الممالك في وراء النهر، ص 69-70.

(3) غولي، العقلية العربية، ص 203.

(4) ابن وهب، البرهان، ص 365-367؛الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 42.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ،ج 37/8-39؛ القلقشندي، صبح الأعشى ،ج 108/13؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 200-205؛ ابن المقفع، رسالة الصحابة، ص 194.

ولقد اهتم العباسيون بمعرفة الجنود ومقدرتهم على استعمال السلاح، ويتم هذا الاختيار من قبل جماعة من كبار القواد بحضور الخليفة والقواد في ميدان خاص، فمن يستطيع ركوب فرسه واستعمال سلاحه وإصابة هدفه يلحق بالجيش[1].

استيعاب ودعم الثائرين على العدو

استخدمت الثغور لاستيعاب بعض المناوئين للدولة البيزنطية، ولجوئهم إلى الدولة الإسلامية ،مثل توماس الصقلي [2]، حيث لجأ الصقلي إلى أنطاكية سنة 208هم823م، وتوجه بطريقها أيوب الثائر إمبراطوراً، وقد عقد الخليفة المأمون معه معاهدة خلقت للمسلمين فرصة مناسبة لكي يشنوا غاراتهم على أراض بيزنطية، وقد أدت ثورته دوراً مهماً في إضعاف الدولة البيزنطية براً وبحراً وخسارتها لجزيرتي كريت وصقلية [3]، ما دفعها إلى شن هجوم على أنطاكية سنة 213هـ/828م انتقاداً منها على استيعابها للصقلبي [4].

وبنفس الأسلوب قام الروم بمد يد الدسائس والمساعدة لنصارى جبل لبنان، حتى وصل بهم الأمر لغزو سواحل الشام لتقويتهم ومد يد العون لهم، حيث تم غزو طرابلس سنة 152 هـ/ 770م في عهد المنصور، وهؤلاء النصارى هم الذي ظهر فيهم بندار، الذي كان قد أعلن ولاءه الكامل للروم، إلا أنه هرب بعد مهاجمته والتجأ إلى ملك الروم[5].

---

(1) الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص 13-14؛ أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 226-227؛ المهتار ، التاريخ العسكري، ص 143.

(2) من صقالبة آسيا الصغرى، يدعي أنه ابن الإمبراطور قسطنطين الخامس، قاد ثورة داخلية في الدولة البيزنطية سنة 205هـ/820م، عاش هارباً في بلاد المسلمين لمدة (25)عاماً. مصطفى، دولة بني العباس ج338/2.

(3) عبيد، المراسلات والهدايا ،ص9.

(4) مصطفى، دولة بني العباس،ج322/2.

(5) مصطفى، دولة بني العباس ج322/2

وقد استغل الروم ثورة نصر بن شبث العقيلي فكاتبوا نصر وبعثوا إليه رسولاً إلى ثغر كيسوم، وقد افتخر بقدومه، إلا أن أنصاره نصحوه من مغبة الاتفاق مع الكفار، فقام بقتل الرسول، وكذلك فعلوا مع ثورة بابك الخرمي حيث فتحوا معه مفاوضات سرية وتعاون حربي، وكان الهاربون من أصحابه يلجؤون إلى أرض بيزنطة إن ضيق المسلمون عليهم[1].

طريقة تحرك الجيوش من الثغور

في العادة وقبل انطلاق الجيوش وتحركها باتجاه بلاد العدو، كان يتم إرسال مجموعات مقاتلة للاستطلاع وتقصي الأخبار واستكشاف الدروب، وللإغارة على بلاد العدو القريبة منهم ويعود ينقل لهم المعلومات التي يبنى عليها عمل الجيش في المستقبل، ويتصرف أولو الأمر من المسلمين على غرارها [2].

وكان قادة الجيش –أيضاً– يحتاجون هؤلاء العيون والجواسيس للاستعانة بهم كأدلاء في الطرق التي توصلهم إلى العدو، أو المسير في مقدمة الجيش للوصول إلى ما يبغون، لما لذلك من أهمية كبيرة في القتال، فقد كان الجواسيس الثقات يتقدمون الجيش ليكشفوا له الأخبار ويختاروا له المنازل، ليعلم قائد الجيش إذا سار أين ينزل، ولقطع الحيرة في اختيار مكان النزول، خشية من عدم توفر الماء والعلف فيحاصره العدو فيهلك هو والجيش [3].

وما أن يتخذ قرار الخروج للقتال وينادى للنفير، فإن أول ما يتم عمله هو أن يقوم ولي الأمر بإغلاق باب المدينة كشكل احترازي، ومن باب الاحتياطات الأمنية، ووضع مفاتيح الثغر لدى صاحب الشرطة.

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس ج337/2

(2) الهروي، التذكرة الهروية، ص15-10.

(3) المصدر السابق، ص19

الفصل الرابع

التدخلات الأمنية ضد الخلافة العباسية ومواجهتها

الفصل الرابع

التدخلات الأمنية ضد الخلافة العباسية ومواجهتها

الأخطار الخارجية ومكافحتها

أولاً: أبو جعفر المنصور:

أ. في المشرق:

استغل البيزنطيون فرصة انشغال الخليفة أبي جعفر المنصور في قمع الفتن الداخلية التي قامت في بداية خلافته وبخاصة من عمه عبد الله بن علي، فجهز الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس سنة 138هـ/755م حملة لمهاجمة "ملطية[1]" إحدى الثغور الإسلامية في الجزيرة ؛ فهدم سورها وعاث فيها فساداً وخراباً[2]، فما إن أوصلت العيون والجواسيس الخبر إلى ديوان الرسائل والخبر في بغداد أعد المنصور الجيوش لغزو البيزنطيين ورد خطرهم عن الثغور الإسلامية، سواء منها الجزيرة الفراتية أو الثغور الشامية، وولى على هذه الجيوش عمه صالح بن علي الذي توغل في أرض البيزنطيين بعد أن أصلح "ملطية" وفرض الصلح بين الدولتين، ثم تكررت الغزوات براً وبحراً في صوائف متعددة لأنها كانت تقوم في الصيف 155هـ/772م، عندما لجأ البيزنطيون إلى طلب الصلح مقابل جزية يؤدونها للمسلمين[3].

ب. في المغرب:

ظل العباسيون ينظرون إلى المغرب والأندلس بعين الحسرة وهما ينسلخان عن نفوذهم وتقوم على أراضيهم دول ذات كيان مستقل عن الخلافة العباسية، ولم يتركوا أي فرصة تفوتهم إلا وقد عملوا على مد سيطرتهم التامة عليها ؛لأن أسلافهم الأمويين كانت لهم السيطرة كاملة على كامل

---

(1) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام. الحموي، معجم البلدان، ج192/5.

(2) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ، ج497/7.

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص42.

ممتلكات الدول الإسلامية؛ لذلك ما إن انتهى المنصور من فرض الأمن في الداخل حتى بدأ يتطلع إلى استعادة المغرب والأندلس[1].

فالمغرب الذي كان ميداناً خصباً لنشاط الخوارج الذين قالوا بعدم حصر الخلافة في بيت معين أو أسرة معينة، أياً كان نسبها أو حسبها؛ لذا صادفت هذه الآراء التي نادوا بها هوى في نفوس البربر بشمال أفريقيا ؛إذ رأوا في التمسك بها اعتداداً بالنزعة القومية والعصبية العنصرية، ما مكنهم من الوقوف أمام السيادة العباسية ، فكان أن قامت دولتان للخوارج في المغرب[2].

ولم يشأ الخليفة أبو جعفر المنصور أن يترك المغرب ينسلخ عن نفوذه ؛ لذلك أرسل الحملات العسكرية بإمرة محمد بن الأشعث[3]، الذي لم يتمكن إلا من استرداد المغرب الأدنى عندما دخل إلى القيروان بينما بقي المغرب الأقصى في منأى عن الخلافة العباسية[4].

---

(1)أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص42.

(2) قامت دولتان للخوارج في المغرب، دولة بني مدرار أو بني وأسول والدولة الرستمية. شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية ج 17/2.

(3) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي .الذهبي، سير الأعلام النبلاء، ج 184/4.

(4)أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ،ص 42.

ج. في الأندلس:

والأندلس التي اقتطعت عن جسم الدولة العباسية الإسلامية بعد أن هرب إليها عبد الرحمن بن معاوية[1] ، الملقب بالداخل وأسس فيها الدولة الأموية، ولم يتخذ عبد الرحمن لنفسه لقب الخليفة أو أمير المؤمنين، إنما اكتفى بلقب الأمير فقط[2].

وبسبب بعد المسافة بين العراق والأندلس وصعوبة وصول الجيوش العباسية إليه، لجأ المنصور إلى الحيلة لاسترداده إلى نفوذه بأن حرض أحد الزعماء العرب واسمه "العلاء بن مغيث الجذامي[3]" في مدينة "باجة[4]" غرب الأندلس على الثورة ضد الأمير عبد الرحمن ، واعداً إياه بإعطائه إمرة الأندلس إن هو نجح في الانتصار على عدوه الأمني، لكن الأمير عبد الرحمن توجه سنة 147هـ/764م على رأس قوة من جيشه لمحاربة العلاء الذي انتصر عليه في بداية المعركة انتصاراً كبيراً فما كان من عبد الرحمن إلا أن جمع شتات جيشه وخطب فيهم قائلاً: " أمامنا الآن طريقان، إما النصر أو الموت، فاخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع"، ثم

---

(1) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، أمير الأندلس وسلطانها ، أبو المطرف الأموي المرواني ، المشهور بالداخل ؛ لأنه حين انقرضت خلافة بني أمية من الدنيا ، وقتل مروان الحمار ، وقامت دولة بني العباس ، هرب هذا ، فنجا ودخل إلى الأندلس فتملكها . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج245/8.

(2) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ،ص51-52؛ الخضري بك، الدولة العباسية، ص 79.

(3) العلاء بن مغيث الجذامي من جذام (قبيلة) القحطانية قام بالثورة على عبد الرحمن الداخل بدعم من أبى جعفر المنصور الخليفة العباسي ، وتعتبر ثورته من أشرس الثورات التي حاولت اسقاط حكم الداخل.
الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،ج1/ص36.

(4) تقع بين طبرقة وتونس مدينة باجة، وهي مدينة حسنة أكثر أراضيها مزروعة قمحاً وشعيراً وبها من ذلك ما ليس مثله بالمغرب كثرة وجودة، وهي بذلك كثيرة الرّخاء، وبها عين في وسطها ينزل إليها بأدراج ومنها شرب أهلها . مقديش، نزهة الأنظار .ج123/1.

اندفع أمامهم وهم من خلفه فاخترقوا الحصار وانقضوا على جيش العلاء وشتتوا شمله وقتلوا قائده العلاء نفسه[1].

وحسب التقارير الواردة عن الأندلس من قبل العيون للمنصور، صرف المنصور النظر عن فكرة استعادة الأندلس، وأبدى إعجابه بشجاعة عبد الرحمن، وقال :"إن صقر قريش هو هذا الأمير الشجاع عبد الرحمن الذي ذهب إلى الأندلس شريداً طريداً واستطاع بذكائه وشجاعته أن يؤسس هناك ملكاً عريضاً". ومنذ ذلك الوقت لقب عبد الرحمن بلقب "صقر قريش[2]".

ثانياً: الخليفة محمد المهدي (158-169هـ/775-785م):

أ. الخطر البيزنطي:

كان المهدي يتبع أسلوب أبو جعفر بشأن المعلومات الواردة من العيون بشأن غزواته للأراضي البيزنطية. وقبل القدوم على هذا العمل، حرص على تحصين ثغوره المتاخمة لهم، ثم وجه أساطيله البحرية وجيشه البري في غزوات صيفية وشتوية، وأحياناً كان المهدي يخرج مع الصائفة مثلما حدث سنة 163هـ/779م عندما ولى ابنه هارون الرشيد قيادة الصائفة، وخرج مع ابنه صحبة الجيش الكبير الذي أعده للجهاد[3]، وفي الطريق شجع المهدي الجند بمنحهم العطاء، كما أجزل الصلات لأهل بيته، ممن صحبوه، فكانت هذه الغزوة من أهم الغزوات في عهد المهدي ؛إذ تم فيها فتح "حصن سمالو[4]" بعد حصار طويل[5]، وسار هرون سنة 165هـ/781م في صائفة بقيادته لغزو بلاد الروم فاخترقت جيوش المسلمين آسيا الصغرى

---

(1) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج26/5.

(2)ابن عبد ربه ،العقد الفريد، 201/5-202؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج 26/5.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج144/8-148؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج63/5.

(4) حاصرته الجيوش الإسلامية قرابة ثمانية وثلاثين يوماً وتم فتحه على يد الخليفة هارون الرشيد. ابن مسكوية ، ج162/3-163.

(5) المصدر السابق، ج163/3.

وأوغلت فيها حتى بلغت البسفور، فاضطرت إزاء ذلك الإمبراطورة إيرين[1]، التي كانت تحكم كوصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس[2] إلى طلب الصلح لمدة ثلاث سنوات، وتعهدت بمقتضاه بدفع جزية سنوية كبيرة للعباسيين ،وقد أظهر هارون في هذه الغزوة من الحكمة والشجاعة وسعة الاطلاع ما أهله لحمل لقب "ألرشيد"[3].

ولكن البيزنطيين نقضوا هدنة الصلح بين الطرفين قبل انقضاء أجلها بمهاجمتهم أراضي المسلمين سنة 186هـ/ 784م[4] إلا أن جيوش العباسيين المرابطة في الثغور الشمالية والشمالية الغربية ردتهم على أعقابهم ، وهكذا ظلت العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين تراوح بين السلم والمهادنة حيناً والحرب أحياناً ولكن تبقى حرب الأدمغة موجودة وحرب المعلومات موجودة[5].

ب. خطر الامويين:

ظلت الأندلس تؤرق بال العباسيين، فإن جل ما استطاع المهدي أن يفعله تجاه استعادتها إلى نفوذ العباسيين، لجوؤه إلى مبدأ مؤامرة بناء للتقارير الواردة من الأندلس وكان طرف ضد عبد

---

(1) الإمبراطورة إيرين (769. 802) ولدت إيرين في أثينا وربما كان ذلك فيما بين عامي750 و 755 ، وتذكر أن الإمبراطور قسطنطين الخامس رغب في زواج ابنه الأكبر ليو الرابع ، ولم يوضح سبب اختيار إيرين ، بيد أنها كانت من أسرة عريقة يحتل أفرادها مناصب رفيعة في الإمبراطورية . وكانت العادة جرت أن يتم عرض للفتيات المرشحات للزواج من الوريث ليختار، أو بالأحرى أمه ، واحدة منهن .زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية،ج168/3-170.

(2) قسطنطين السادس كان الإمبراطور البيزنطي من 780 حتى 797.ابن كثير البداية والنهاية ج/10 أحداث سنة أربع وستين ومائة.

(3) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك ج152/8-153؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج65/5.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج5 /69-70.

(5) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص54.

الرحمن الداخل للإطاحة به، المؤامرة ثلاث قوى: المهدي العباسي- وشرلمان[1] ملك الفرجنة في فرنسا، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري الوالي في المغرب(2).

واستغل الأطراف الثلاثة عداء سليمان بن يقظان الأعرابي حاكم مدينة سرقسطة في شمال إسبانيا وكانت المعلومات الواردة من التجار والجواسيس والعيون بأن يوجد خلاف بسبب الخلاف الحزبي بينهما، لأن الأمير عبد الرحمن كان يميل إلى المضربة ويعادي اليمنية التي ينتمي اليها هذا الحاكم واتفقوا معه على تنفيذ المؤامرة ضد أمير الأندلس بأن يعبر وشرلمان جبل البرانس على رأس جيوشه متجهاً إلى سرقسطة فيسلمها له حاكمها سليمان بن يقظان الإعرابي، وفى هذا الوقت يسير عبد الرحمن بن حبيب الفهري من المغرب على رأس اسطول قوي وينزل في مدينة مرسيه(3) لمهاجمة السواحل الشرقية للأندلس، فتقع بذلك جيوش أمير الأندلس عبد الرحمن الداخل بين نارين، ويسهل بالتالي الانتصار عليه بحسب رأيهم(4).

لكن المؤامرة لم يقدر لها النجاح لوجود أخطاء أمنية وعدم مراعاة الوقت في تنفيذ هذه المهمة المركبة بين ثلاث عقول، ولم تنته إلى ما كان يأمله كل طرف، وذلك لعدم إعلان الحرب على العدو المشترك في وقت واحد، فقد انتقل ابن حبيب الفهري بأسطوله إلى مرسيه سنة

(1) هو ملك الفرنجة حاكم إمبراطورتيهم بين عامي (768- 800) وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (800- 814). الابن الأكبر للملك بيبين الثالث من سلالة الكارولنجية. ويعتبر بيبين القصير (حكم من عام 751 إلى عام 768) مؤسس حكم أسرة الكار ولنجيين في حين يعتبر ابنه شارلمان (حكم من عام 768 إلى عام 814) أعظم ملوكها. زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية،ج63/3-64.

(2) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 55.

(3) مرسية: هي قاعدة بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت داراً للعمال ومقراراً للقواد، وكان الذى تولي بنيانها جابر بن مالك بن لبيد، وذلك في يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة 216هـ/831م) وتقع مرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار،ج1/ 539؛ عنان، دولة الإسلام، ج463/6.

(4) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 56.

160هـ/777م، قبل أن يأتي شرلمان إلى سرقسطة، فاستطاع الأمير عبد الرحمن الداخل أن يتفرغ له منفرداً ويقضي عليه، ثم يحرق أسطوله[1].

وفى السنة التالية 161هـ / 778م يقطع شرلمان جبال البرانس من فرنسا متجهاً إلى سرقسطة، فخرج حاكم سرقسطة سليمان الأعرابي لملاقاته حسب الخطة الموضوعة، لكن أهالي المدينة من المسلمين ثاروا بقيادة الحسين بن يحيى الأنصاري[2]، وقد أخذتهم الحمية الدينية، وأغلقوا أبواب مدينتهم، وأعلنوا رفضهم تسليمها إلى ملك مسيحي، فاضطر شرلمان إلى أن يحاصر المدينة لأخذها بالقوة ، وجاءت العيون والجواسيس بأخبار في الوقت نفسه، بتجدد ثورة الساكسون في الشمال – ألمانيا– وأنها تركت المسيحية وارتدت إلى ديانتها الوثنية، وهي في هذه المرة كان الساكسون الجرمان كلما أحسوا ببعد شرلمان عنهم يثورون ضده و في هذه المرة كانت عنيفة مما اضطره إلى رفع الحصار عن سرقسطة، والعودة إلى بلاده[3].

ثالثاً: هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م):

واجه الرشيد مخاطر خارجية عدة في عصره، وذلك بعد وصول الأخبار أن الأدارسة يقوموا بتوسيع دولة الأدارسة العلويين في المغرب، وقد لجأ في سبيل مكافحة ذلك إلى إقامة وتأييد دولة الأغالبة[4] في تونس لتكون حاجزاً بين الدولة العباسية ودولة الأدارسة[1].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج5/60.

(2) الحسين بن يحيى الأنصاري زعيم سرقسطة، وقائد ثورة المدينة على حكم عبد الرحمن الداخل عدة مرات إلى أن قتله الداخل في عام 165 هـ. ينتسب الحسين بن يحيى إلى الصحابي سعد بن عبادة فهو الحسين بن يحيى ابن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، وجده سعيد بن سعد كان واليًا لليمن من قبل الخليفة علي بن أبي طالب .مؤلف مجهول، مجموعة في فتح الأندلس،ص102-105.

(3) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص56.

(4) دولة الأغالبة، هي إحدى الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في الشمال الأفريقي وخاصة تونس، عام 184 هـ – 800م. إسماعيل، الأغالبة، ص9.

كما كان الرشيد يواجه مشكلة تأمين حدود دولته مع بيزنطية؛ حيث لجأ إلى العرض العسكري من ناحية لإرهابهم وبالغزو لكسب شرف الجهاد وثوابه من ناحية أخرى، هبت القيروان في عهده سنة 175هـ/791م بقيادة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، في حين غزا الرشيد نفسه سنة 181هـ/797م فافتتح حصن الصفصاف عنوة و ما قلل من الغزوات قبول الإمبراطورة "ايرين" ،التي كانت تحكم باسم ابنها الصغير، بدفع الجزية للرشيد مقابل عدم الاعتداء على أراضيها[2]، ولكن حدث أن نقض العهد الامبراطور نقفور الأول سنة 186هـ/802م، وامتنع عن دفع الجزية، وأرسل رسالة إلى الرشيد: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، وكان مفادها بأن الرشيد هو مقام الرخ[3]، وإيرين مكان البيدق[4]، ولن تدفع بيزنطا الفدية كالمعتاد[5].

فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضباً وكتب له جواباً كان فحواه بأن الرد لن يكتب ولكن ستراه بعينك ، ثم انطلق الرشيد على رأس جيش كبير بلغ عدده أكثر من مائة وثلاثين ألفاً، توغل به في الممتلكات البيزنطية حتى وصل إلى مدينة "هرقلة"، فاستولى عليها بالقوة سنة 190هـ/806م واستمرت بعد ذلك الغزوات الصائفة بقيادة كبار قادته أمثال شرحبيل بن معن بن زائدة ويزيد بن مخلد وداود بن عيسى حتى اضطر الامبراطور نقفور في– نهاية الأمر– إلى طلب الصلح بدفع الجزية، والتعهد بعدم ترميم الحصون التي دمرها الرشيد[6] [1].

---

(1) دولة الأدارسة في المغرب الأقصى دولة سنية أسسها إدريس بن عبد الله في المغرب الأقصى، أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 70.

2 السيوطي، تاريخ الخلفاء، 288ص.

3 الرخ، القلعة، المعجم الوسيط.

4 الجندي الراجل، المعجم الوسيط.

5 ابن الأثير، الكامل في التاريخ 118/5؛ السيوطي ،تاريخ الخلفاء،ص288.

(6) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك 268/8؛ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ج118/5؛ السيوطي ،تاريخ الخلفاء ، 288ص.

رابعاً: عبد الله المأمون (198-218هـ/813-832م):

استمر الخطر البيزنطي على الدولة العباسية في عهد المأمون، وتلخصت سياسة المأمون تجاه البيزنطيين بمواصلة الجهاد؛ حيث استغل المأمون فرصة الثورة الداخلية التي تزعمها توماس الصقلي ضد الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن سنة 206هـ/821م ،وأخذ يمد تلك الحركة بالمال والسلاح كي يساعده في الاستيلاء على القسطنطينية ،وبالتالي على الحكم، وكان يوجد –أيضاً– عيون كشفت داخل صفوف المسلمين هذه الاتصالات فعملت على انهاء الثورة وقتل زعيمها توماس الصقلي على أبواب مدينة القسطنطينية سنة 208هـ/823م[2].

والقضاء على ثورة توماس الصقلي لم يمنع الخليفة المأمون من غزو الأراضي البيزنطية بنفسه عندما انتهى من متاعبه الداخلية، فخرج سنة 215هـ/830م لغزو البيزنطيين، وراح يفتح الحصون ويأسر الأهالي، وتكررت غزواته سنة 216هـ/831م، و217هـ/832م[3]، حتى طلب إمبراطور بيزنطية الهدنة فقبلها المأمون، وأخيراً خرج المأمون سنة 218هـ/833م لغزو البيزنطيين عن طريق طرطوس، فأصيب بالحمي وتوفي هناك[4].

أما الدولة الأموية في الأندلس، فقد ظلت بمنأى عن الخلافة العباسية، تنظر كل منهما إلى الأخرى نظرة حقد وتذمر دون أن تستطيع أن تثأر لنفسها بسبب بعد المسافة، بينما بقيت علاقة دولة الأغالبة في المغرب بالعباسيين على أساس الاستقلال الذاتي مع التبعية للدولة العباسية، وكان الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب يحكم دولة الأغالبة في عهد المأمون، فكتب إليه المأمون طالباً منه الدعاء لعبد الله بن طاهر بن الحسين واليه على مصر، لكن زيادة

(1) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص71.

(2) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص87.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والممالك ،ج8/623-625؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج 5/219-220.

(4)المسعودي، ومروج الذهب ،ج3/456-458.

الله لم يقبل ذلك وقال للرسل : "هذا ما لا يكون أبداً... ثم رمي إلى الرسول بألف دينار كلها مضروبة باسم دول الأدارسة، حكام المغرب الأقصى، ففهم المأمون مغزاه ولم يعاتبه [1].

خامساً: أبو اسحق محمد المعتصم بالله (218-227هـ/833-842م):

الخطر الوحيد الذي واجه المعتصم واستأثر على اهتمامه هو حربه مع البيزنطيين. فكانت الجواسيس والعيون في بغداد للإمبراطور تيوفيل[2] ستخبره بأخبار الفتن والثورات الداخلية في الخلافة العباسية ، ولا سيما عندما كان الأفشين يحارب بابك الخرمي. وقد كتب إليه الأخير يقول: "إن ملك العرب قد وجه معظم عساكره إلي، ولم يبق على بابه أحد فإن أردت الخروج إليه فليس في وجهك أحد يمنعك"[3].

ويبدو من هذا الكتاب أن بابك أراد من ورائه أن يوقع المعتصم بين نارين.

فخرج تيوفيل إمبراطور البيزنطيين على رأس قوة من مائة ألف مقاتل، وهاجم مدينة "زبطرة" أقرب الثغور الإسلامية إلى البيزنطيين، ومعرفته المبسطة أن هذه المدينة لها معزة خاصة لدى المعتصم وفق المعلومات الواردة من المعتصم، فدمرها تيوفيل وأشعل فيها النيران،

---

(1)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج184/5-185.

(2) اعتلى "تيوفيل" العرش، سأل المأمون الصلح عام 210 هـ فلم يجب المأمون؛ إذ كانت الدولة البيزنطية تقف إلى جانب البابكية في أذربيجان فعدا "تيوفيل" إمبراطور الروم على جماعة من المسلمين في أرضِ طرسوس عام 216هـ، وقتل نحواً من ألف وستمائة مسلم استغل تيوفيل (215-228هـ- 829 هـ 842 م) إمبراطور الروم وفاة المأمون، واشتداد حركة بابك الخرمي، فنسق معه، وهاجم زبطرة، وأوقع بها، وأسر من المسلمات ألف امرأة، ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم، واستولى المسلمون على أنقرة، ثم تقدموا إلى عمورية (مسقط رأس الأسرة العمورية الحاكمة في بيزنطة (802هـ 867 م) وعلى مسافة سبعة مراحل من أنقرة، وحاصر المعتصم عمورية، واستولى عليها. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج136/2؛الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج40/3؛ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج269/10.

(3)الطبري، تاريخ الرسل والممالك ، ج55/9-56؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 246/5-247.

وقتل وأسر من فيها، ثم واصل اغاراته على ملطية وغيرها من الحصون الإسلامية القريبة، وقد بالغ في الانتقام من المسلمين بجدع أنوفهم وقطع أذانهم وسمل أعينهم[1].

كما كان يتوقع فقد أغضب هذا الحدث المعتصم أشد الغضب؛ لأن لمدينة "زبطرة" مكانة خاصة في قلب المعتصم كونها مسقط رأس والدته؛ لذلك ما أن فرغ من حرب بابك الخرمي بأسره تم تعذيبه وقتله، وقيل إن قائده أفشين صلبه في سامراء[2] ، وتفرق كامل اتباعه، حتى قصد البلاد البيزنطية، على رأس جيش إسلامي كبير، سنة 223هـ/838م فهاجم المعتصم عمورية ونفسها؛ إذ كان من المعتصم بوصفها مسقط رأس والد تيوفيل من ناحية، ومن أحصن بلاد البيزنطيين من ناحية أخرى[3].

وانتهت المعارك بعد محاصرة عمورية باقتحامها عنوة، وانتقموا لما حل بـ "زبطرة وملطية" على أيدي البيزنطيين، عاد المعتصم بعد ذلك ظافراً إلى سامراء فاستقبل استقبالاً حافلاً، فامتدحه أبو تمام[4] بقصيدة شهيرة مطلعها[5].

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

مكافحة التجسس الدبلوماسي

إن المتأمل للتاريخ الإسلامي يجد أن الدولة الإسلامية ،وقادة جيوشها، استغلوا الدبلوماسية أفضل استغلال في التجسس على أعدائهم، وحققوا بفضل ذلك أروع الانتصارات

---

(1) أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص96.

(2)الطبري. تاريخ الرسل والممالك ، ج9/52-53.

(3) المسعودي ،مروج الذهب، 3ج/374؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج5/247-250.

(4) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. الزركلي، الأعلام،ج2/165.

(5) التبريزي، أبو تمام الديوان ، ج1/45 .

ودخلوا أمنع المعاقل، لقد اتبع الأئمة والولاة في العصر العباسي الأول سياسة مشددة لمنع التخابر مع الأعداء ونقل المعلومات إليهم؛ حيث كان للإمام مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك – من الطرق– فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد، ومن كان معه رقيق رد، ومن كان معه كتب قُرئت كتبه، فما كان فيها من خبر من أخبار المسلمين قد كُتب به أخذ الذي أصيب معه، وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه، ولا ينبغي للإمام أن يدع أحداً ممن أسر من أهل الحرب وصار في أيدي المسلمين يخرج إلى دار الحرب راجعاً إلا أن يفادى به فأما على غير الفدا فلا[1].

فإن كان هؤلاء الجواسيس من أهل الذمة ممن يؤدي الجزية من اليهود والنصارى والمجوس ضربت أعناقهم، وإن كانوا من أهل الإسلام معروفين فيوجعون بالعقوبات ويطول حبسهم حتى يتوبوا[2].

وأحياناً كانت السياسة الخارجية من المسلمين تجاه البيزنطيين تؤدي إلى نوع من التعصب الإسلامي ضد سكان الثغور من غير المسلمين، وخاصة النصارى؛ فقد حدث أكثر من مرة أن تعاون أهالي الثغور من النصارى مع البيزنطيين، فعملوا كجواسيس لهم ضد المسلمين؛ لذلك قام الخليفة المنصور بفرض بعض القيود على تحركات أهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين يقيمون قرب الثغور، بعد هروب عدد كبير منهم إلى داخل الحدود البيزنطية[3].

وكذلك قام بإجلاء بعض من أهل لبنان سنة 153 هـ/ 770 م ، الذين كانوا قد اجتمعوا على رجل كان على صلة وثيقة مع الروم ويأتمر بأمرهم يقال له "بندار"، حيث سمى نفسه

---

10)فوزي، الجيش والسياسية في مطالع العصر ، ص230.

(2) المرجع السابق، ص230.

(3) فوزي، الخلافة العباسية، ج170/2؛ أحمد، بيت المال، ص161.

بالملك ، ولبس التاج، وأظهر الصليب ،واجتمع عليه أنباط لبنان واستفحل أمره في طرابلس، إلا أنه هرب بعد ذلك ولجأ إلى ملك الروم[1].

ولنفس السبب اتخذ الخليفة المهدي قراراً بإعدام راهب نصراني من الرافقة يدعى رومانوس، اتهم بالتجسس لصالح البيزنطيين، كما أنه رد بعض الأسرى البيزنطيين إلى النصرانية بعدما اعتنقوا الإسلام، وحدث في عهد الخليفة الرشيد أن تعاون النصارى من سكان الثغور مع البيزنطيين، لهذا أصدر الرشيد في سنة 190 هـ/ 807 م أمراً بزيادة الجزية على النصارى، كما أمر بهدم الكنائس في الثغور، واستخدم الرشيد أحجار الكنائس المهدمة لإعادة بناء الحصون ومدن الثغور، مثل حصن الحدث ،الذي بني بعد أن هُدمت كنيسة كيسوم واستُخدمت حجارتها في البناء[2].

كما أنه ،وبسبب تجسس بعض أهالي الذمة على المسلمين لصالح البيزنطيين بالرغم من التسامح الديني الكبير الذي حظوا به، فقد أمر الخليفة هارون الرشيد سنة 191 هـ/ 808 م، بأن يخالف أهل الذمة المسلمين في لباسهم وركوبهم، وأن لا يبنوا كنيسة أو بيعة لهم إلا بأمر من الخليفة، وأن لا يظهروا صلبانهم في الأمصار[3]، وذُكر بأن الرشيد تراجع عن قراره بمخالفة النصارى المسلمين باللباس[4].

وبالرغم من ذلك ، ومنعاً للظلم وتحرياً للعدالة، فإن الرشيد كان يحكم عقله عند سماعه وشاية ما عن النصارى، فمثلاً ما حدث سنة 180 هـ/ 797 م، حينما كان الرشيد متوجهاً نحو الحدود البيزنطية لمحاربة الروم، فمر في طريقه بالرها، وهناك وصلته شكوى من قبل المسلمين

---

(1) مصطفي، دولة بني العباس، 370/1.

(2) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ، ج324/8؛ ابن الجوزي، المنتظم، 194/9؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج380/5.

(3)أبو يوسف، الخراج، ص72–73.

(4) الطبري ،تاريخ الرسل والممالك، ،ج324/8ح حمودي، الجزيرة الفراتية، ص47.

بأن أهالي الرها جواسيس للبيزنطيين، وبأن الإمبراطور البيزنطي يصلي في كنيستهم ،وطلب منه المسلمون هدم الكنيسة، لكن الرشيد لم يصغ إليهم، وعلم بأن هذا الادعاء كاذب، بل وأمر بجلد الواشين(1).

لقد حرصت الدولة العباسية على كتمان أسرارها وعملت بشتي الوسائل للحيلولة دون تسربها للعدو والصديق، فوضعت نقاط تفتيش على حدودها لتفتيش المسافرين، وقراءة الرسائل التي يحملونها، والتحقق من شخصيات المسافرين.(2)

وكذلك كانت تعمل على حفظ أسرارها بإشاعة أخبار مغايرة لما هي عازمة عليه، فقد خاطب قاضي القضاة يحيى بن أكثم(3) المأمون بقوله: يا أمير المؤمنين ليس يستقيم كتمان شيء إلا بإذاعة غيره وإلا وقع الناس عليه(4).

وما تنبه اليه يحيى بن أكثم، قبل ثلاثة عشر قرناً ،تنبهت إليه دول عالمنا المعاصر أخيراً، فأخذت كل دولة تسخر وسائل إعلامها المختلفة عندما تعزم على أمر ما بإشاعة أمر آخر حتى تضمن حفظ أسرارها، وتحقيق مفاجأة عدوها.

---

(1) حمودي، الجزيرة الفراتية، ص47.

(2) أبو يوسف، الخراج، ص189-190، ما هو جدير ذكره أن من أقدم الأمثلة في التاريخ على مراقبة الدولة للبريد تعود إلى عهد الاسكندر فيذكر أنه في سنة 334 ق.م عندما كان الإسكندر يحاصر جيش الفرس لاحظ أن هناك ما يدل على مظاهر التردد والعصيان بين جنوده، وكان هذا الأمر بالغ الخطورة؛ لأنه كان يأمل في احتلال فارس، فأخذ يبحث عن أسباب هذا التذمر وتمكن من معرفة السبب عن طريق مراقبة رسائل الجنود، . نصر، الحرب الخفية، ص 215.

(3) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد عده الدار قطني في أصحاب الشافعي راوياً للحديث وقد تولى القضاء بالبصرة سنة 202هـ/817م، وسنه عشرون سنة، وكذلك تولى منصب قاضي القضاة سنة 211هـ/826م توفي بالربذة سنة 242هـ/856م، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء 5/12-16، ميزان الاعتدال 361/4-362. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج179/11-183.

(4) الرفاعي، عصر المأمون ،ج 444/1.

ولخطورة تسرب المعلومات إلى الأعداء، فقد سنت الدولة الإسلامية عقوبات صارمة لرعاياها الذين يتعاونون مع أعدائها، فكما تقدم كانت عقوبة المعاهد إن خان القتل، والحكمة من ذلك حتى يكون نكالاً لغيره، لكى لا تسول لهم أنفسهم التواطؤ مع الأعداء على المسلمين[1].

أما عقوبة المسلم الخائن المتعاون مع الأعداء، فقد قال الإمام مالك إنه يعزر بالقتل وافقه بعض أصحاب أحمد[2] .

وقد حدث عندما علم الخليفة العباسي الهادي بأن مسئول مخابراته في مصر واضح قد تعاون مع عدو الدولة "إدريس بن عبد الله" وساهم في هربه إلى المغرب، فأمر بضرب عنقه وصلبه ليكون عبرة لغيره[3].

دور العلاقات الدبلوماسية في الاستقرار الأمني

إن أدق تعريفات الدبلوماسية الداخلية للدولة في عصر الإسلام، هي: مقولة معاوية ابن أبي سفيان: "لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت؛ لأنهم إذا شدوا أرخيت، وإذا أرخوا شددت"[4].

كما عرفت بأنها "علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول ،الناتجة عن المصالح المتبادلة والنابعة من مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقيات الدولية[5].

ويستعمل مصطلح الدبلوماسية بمعناه الواسع في التاريخ الدبلوماسي لدولة ما لحقبة زمنية معينة، وهي التسلسل التاريخي للعلاقات الرسمية بين الدول، فالدبلوماسية تمثل إدارة

---

(1) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة، ج714/2-801.
(2) ابن القيم ، الطرق الحكمية، ج312/2؛ العيني، عمدة القارئ مج7/ ج297/14.
(3) سالم، المغرب الكبير ،ج 468/2.
(4) الأندلسي، طبائع النساء ،ج222/1؛الطرطوشي، سراج الملوك ، ج70/1.
(5) العجرمي، الدبلوماسية النظرية والتطبيق، ص8.

العلاقات الخارجية لدولة دون صراع، وذلك من خلال إجراء المفاوضات السرية التي يقوم بها المبعوثين والممثلون لكل من الطرفين؛ وذلك للوصول إلى حل النزاعات وتحقيق المصالح المشتركة بين الطرفين[1].

كان العالم الإسلامي عالماً كبيراً يمتد وسط العالمين الشرقي والغربي، ويحيط بالعالم الإسلامي شعب الروم في آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا الجنوبية، ثم الفرنج في إيطاليا الشمالية وفرنسا، ثم الترك والصينيون على حدوده الشمالية والشرقية، ثم الهنود على حدوده الجنوبية الشرقية، وقد اتصل العباسيون بجيرانهم جميعاً اتصال حلف على أساس اتفاقات ومعاهدات، او اتصال حرب–مع الروم وأحياناً مع الهياطلة الترك– تنقطع من حين إلى حين بعقد هدنات قصيرة يفادون فيها أسراهم، ثم كانت هذه الحرب لا تمنع بعد ذلك من الاتصال السلمي، فكانت التجارات تسير بين البلاد المتحاربة بين العرب والروم في آسيا الصغرى، وبين أهل الأندلس والفرنجة[2].

امتاز العصر العباسي الأول بالفتوحات الإسلامية، التي جعلته يزدهر دبلوماسياً، ويوطد أركان الدولة على مساحة أوسع ما كانت في عهد الدولة الأموية، فقد أصبحت أكبر دولة في العالم؛ لذلك زاد نشاطها السياسي، والدبلوماسي على مستوى المنطقة التي سيطرت عليها، فزاد ذلك من بعثاتها الدبلوماسية، لتسوية الخلافات مع الكيانات الإسلامية القائمة في تلك الحقبة[3].

ويمكن القول إن العصر العباسي، كان العصر الذهبي للدبلوماسية الإسلامية، وكان هذا الازدهار الدبلوماسي انعكاسا لازدهار الدولة الإسلامية وتوطد أركانها، فقد غدت إحدى أكبر دولتين في العالم إلى جانب الدولة البيزنطية، الأمر الذي اقتضى زيادة عدد رسلها لتغطية

---

(1) العجرمي، الدبلوماسية النظرية والتطبيق، ص74.

(2) سالم، دراسات في تاريخ العرب، ج 3/ 197.

(3) نجم، أحكام الرسل والسفراء، ص 72.

نشاطها السياسي الدبلوماسي، ناهيك عن الحاجة لمزيد من الرسل لتسوية الخلافات والمسائل العالقة التي لم تجد لها حلاً خلال الحقب السابقة أو قبل توطد أركان الخلافة العباسية[1].

ولقد تميزت الدبلوماسية الإسلامية في العصر العباسي الأول بعدد من الخصائص، كما أوجزها هيثم توفيق فياض، أهمها:

- أن البعثات الدبلوماسية كانت تقام من أجل الدعوة إلى الإسلام، وإقامة علاقات ودية بين الدول الإسلامية فيما بينها، ومع غيرها من الدول الأخرى.
- كان الهدف من إرسال البعثات الدبلوماسية التحصين، ومراقبة العدو الخارجي المعادي للإسلام، وإجراء تحالفات سياسية، وعسكرية ضده.
- كان يتم تناول الوفود الدبلوماسية من أجل تبادل الأسرى.
- كانت تهدف البعثات الدبلوماسية إلى معرفة أخبار العدو، وقياس قوة الخصم.
- وفى عهد انقسام الدولة الإسلامية كان هدف البعثات الدبلوماسية: تأمين التحالفات السياسية، والعسكرية، ودعم الروابط بين الكيانات الإسلامية، التي تحكم باسم الخلافة العباسية في تلك الفترة.
- كانت تقوم الوفود الدبلوماسية من أجل تقديم التهاني والتعازي، وكذلك المصاهرة بين الملوك.
- كانت البعثات الدبلوماسية تتشكل لحضور مراسم تنصيب زعيم جديد للدولة، أو للسلطة، أو تتويج أحد الملوك، أو وفاة آخر[2].

ولقد اهتم الخلفاء العباسيون بعقد الاتفاقيات التجارية والسياسية، وإرسال البحوث والسفارات إلى الدول الاجنبية وخاصة مع الهند والصين لتأمين التبادل التجاري، وقد شهدت فقترة حكم

(1) الشكري ، الدبلوماسية في عصر متغير، ص 21.

(2) الدبلوماسية ، ص 120.

العباسيين نشاطاً ملموساً في تلك العلاقات الدبلوماسية العربية، الصينية؛ ففي سنة (139هـ/756م) وصل إلى الصين سفارة عربية مكونة من خمسة وعشرون شخصاً[1] ويؤكد المسعودي: "... إن ملك الصين أرسل بعد ذلك إلى الخليفة سفارة وصلت إلى بغداد وهي تحمل هدايا ثمينة للخليفة..."[2].

ويبدو أن تلك السفارة كانت وفوداً تجارية، اسهمت في تحسين العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الصين.

كما أقام الخلفاء العباسيون علاقات دبلوماسية مع الهند وفرغانة[3]، على أساس المصالح والمنافع المشتركة وبخاصة التجارة، فجاءت سفارات ووفود الجانبين لتزيد من توثيق تلك العلاقات ،التي ابتدأت منذ خلافة المنصور العباسي، الذي أرسل سفيراً إلى ملك فرغانة[4].

ويبدو أن عصره كان حافلاً بالوافدات؛ لكثرة الصوائف والشواتي، والمعروف عنها أنها لإثبات وجود الدولة والعودة بالغنائم، لا للتوسع والاستقرار في المناطق المفتوحة التي تجري فيها، ومما يدلل على ذلك أنه بعد الانتهاء من تلك الغزوات يتم الصلح بين الطرفين.

وذكر الطبري : في حوادث سنة (155هـ/771م) أنه عندما انتهت الصائفة مع الروم ،التي غزاها يزيد بن أسيد السلمي[5] "طلب صاحب الروم الصلح إلى المنصور على أن يؤدي اليه الجزية..."[6].

---

(1) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية و الإسلامية، ص253.

(2)مروج الذهب ، ج96/3.

(3) فرغانة: بالفتح ثم السكون، وعين معجمه، مدينة مكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان من ناحية هيكل على يمين بلاد الترك، معجم البلدان، ج253/4.

(4) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ،ج 125/2؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج 119/5.

(5) يزيد بن أسيد السلمي: تولى أرمينية، زمن مروان بن محمد الأموي ثم زمن المنصور، وكان أمير غزوة دادقشة في بحر الخزر، دوخ العدو في بلادهم، وكان شجاعاً مجاهداً، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج668/9.

(6) تاريخ الرسل والممالك ، ج 47/7.

وما لا شك فيه أن أداء الجزية والإذعان والتبعية لنفوذ الدولة، فضلاً عن ذلك الاستقرار للأحوال العامة، وتبدأ من بعدها العلاقات الدبلوماسية فيما بين الطرفين تتبعها الوفود التجارية التي تحسن حالة البلدين بعد الحرب التي مر بها، ولا عزو أن تتطور تلك العلاقات مع الدول الخارجية في عهد خلفاء المنصور، فقد استقبل ملك الهند سفير الخليفة المهدي وأعلن السفير طاعته واحترامه للخليفة[1].

ويبدو أن تلك العلاقات استمرت إلى عصر الرشيد؛ فقد أرسل ملك الهند سفيراً للرشيد وبصحبته هدايا من سيوف وثياب[2].

فقد اشتهرت شخصية الرشيد في أوروبا نتيجة لعلاقاته الودية مع إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة شرلمان، فقد قامت بينهما صلات ودية، وتبادلت بينهما السفارات والهدايا، ولا شك ان المصالح السياسية كانت من وراء هذا التفاهم، الذي انعكس إيجاباً على المصالح التجارية وإقامة الوفود التجارية بين الدولتين[3]،ولقد كان للدبلوماسيين ،في عهد الخلافة العباسية، دور مهم في توثيق العلاقات التجارية، والثقافية، وتبادل الأسرى، وكذلك فض المنازعات بين الدول الداخلية للخلافة العباسية، وعقد المعاهدات بينهما، وقد كان للدبلوماسيين دور في توثيق الحكومة الشرعية المركزية في بغداد، وعندما انقسمت الدولة الإسلامية إلى عدد من الممالك والإمارات، في أواخر عمر الخلافة العباسية، أخذت الدبلوماسية تقوم بدور جديد في تطبيع العلاقات، وتوثيقها بين الخلافة في بغداد، والممالك الإسلامية الأخرى، وغير الإسلامية[4].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج135/3.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج125/2؛ العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 89؛ اليوزبكي، دراسات، ص254.

(3) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج 312/5.

(4) الرشدان، أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، ص 42.

وبذلك نجد بأن الدبلوماسية في العصر العباسي كانت تتمثل في تقديم الهدايا للطرف الآخر من قبل الخليفة العباسي، وبذلك يكون الخليفة قد قبل ما يفعله الأمراء من خلال تقديمه الهدايا والتحف لهم[1].

اقترن العصر العباسي الأول باستقرار الدولة العباسية وازدهارها في المجالات المختلفة سياساً واقتصادياً وثقافياً، ولقد اهتم العباسيون –في هذا العصر– بتقوية نظام السفارات لتوثيق علاقتهم الخارجية مع الدول والممالك[2] .

وكانت العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم على النهج الإسلامي الأول؛ حيث نمت تلك العلاقات وتقوت حينما دخل الخلفاء المسلمون في علاقات سياسية مهمة مع البيزنطيين، ابتدأت منذ عام147هـ/ 765م من الخليفة المنصور، فكان المبعوثون السياسيون على تبادل مستمر في البلاد المسيحية، لا من اجل توقيع معاهدات صلح أو سلم فقط، ولكن –أيضاً– لتبادل الهدايا وأسرى الحرب، ومن أجل مصالحات مختلفة، أو لتسهيل التبادل التجاري، وإرسال هذا الخليفة إلى (بي) سيد بلاط الفرنجة سفارة لعقد معاهدة صداقة وتحالف بينهما، لإرهاب الإمارة الأموية بالأندلس، وتابع المهدي بن المنصور وهارون الرشيد بن المهدي سياسة ايفاد السفارات إلى بلاط الفرنجة لتدعيم التحالف بين العباسيين والفرنجة، لاستمرار تخويف إمارة الأمويين من الخطر الفرنجي على أطراف بلادها. وبلغ النشاط الدبلوماسي العباسي ذروته مع الفرنجة حين بعث هارون الرشيد بسفارته المشهورة إلى الإمبراطور شارلمان، وتم تبادل الهدايا بينهما وإرسال المبعوثين والرسائل، منذ عام180هـ/ 797م، وعقد تحالفات ودية بينهما [3].

---

(1) العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 90.

(2) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الإسلامية، ص259.

3 الطبري، تاريخ الرسل والممالك ج106/7–155وما بعدها.

ولم تعد الخلافة العباسية في بغداد ترسل سفاراتها إلى القسطنطينية فحسب، وإنما بدأت تبعث سفاراتها كذلك إلى بلاط الفرنجة في أوروبا، لتجعل من تلك القوة الجديدة سنداً لها في منافستها للأمويين في الأندلس، وشجع الوضع الجغرافي للفرنجة على تقرب العباسيين لهم، لأن بلاد الغال (فرنسا) التي يشغلونها تجاور مباشرة حدود امارة الأمويين بالأندلس عند جبال البرانس، وفى الوقت نفسه ، لم يعد الروم يرسلون سفاراتهم إلى بغداد فحسب، وإنما أوفدوا سفراءهم إلى قرطبة ليجعلوا من أمرائها عضدا لهم في تهديد الفرنجة[1].

وفى الوقت نفسه الذي سعى فيه العباسيون إلى التقرب من دولة الفرنجة المسيحية، ظهر محور سياسي آخر، حين أخذ أباطرة الروم بدورهم يتصلون بأمراء بني أمية بالأندلس ليجعلوا منهم حليفاً ضد خطر الفرنجة المتزايد، وترتب على تطور الأوضاع السياسية بذلك ظهور غرب أوربا في ميدان النشاط الدبلوماسي الإسلامي، وغدت القوات الأوروبية محط أنظار السفارات الإسلامية. وأدى تنافس القوى الأربعة واختلاف مطالبها إلى ظهور نشاط سياسي حافل في العصور الوسطى، كان للدولة الإسلامية فيه نصيب وافر، فخرجت السفارات الإسلامية من بغداد إلى القسطنطينية وإلى إكس لا شابل النائية، كما خرجت السفارات من قرطبة إلى بلاط الفرنجة والروم، وفيما بعد إلى الجزر البريطانية[2].

وحدثت مكاتبات سياسية بين المأمون وملك الروم توفيل، تدل على احتفاظ السلطة المسلمة باعتزازها بالدين والدعوة إليه أولاً بطريق سلمي[3].

دور الأمن في نهضة الخلافة العباسية:

(1) العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطي، ص11.

(2)خدوري، السلم والحرب في الإسلام والقانون الدولي ، ص 243.

(3) العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، ص 12-13.

صُور شلبي لنا : النشاط العلمي في العالم الإسلامي تصويراً دقيقاً ؛ حيث قيل: كان جل الباحثين وطلاب العلم من المسلمين يرحلون في حماس ظاهر للقارات الثلاث (وهى عالم ذلك العصر) ثم يعودون إلى بلادهم، كما يعود النحل محملاً بالعسل الشهي، فيجلس هؤلاء الباحثون ليرووا شغف الجماهير التي كانت تنتظر عودتهم لتلتف حولهم، فينالوا من علومهم ومعارفهم زاداً وفيراً، وخيراً عميماً، كما كان هؤلاء الباحثون يعكفون أحياناً على تدوين ما جمعوا وما سمعوا، ثم يخرجون للناس كتباً هي بدوائر المعارف أشبه، مع نظام وبلاغة عذبة، وهذه الكتب هي المصادر الأولى للعلوم الحديثة بأوسع ما تحتمله كلمة العلوم من معنى، وهى مرجع العلماء والباحثين، ومنها يستمدون فنوناً من الثقافة والمعرفة أعمق بكثير مما يظن الناقدون[1].

ومن الطبيعي أن يكون العصر العباسي الأول أنسب العصور ملاءمة للنهضة الثقافية، فمدنيَّة الإسلام بدأت فيه تستقر بعد هدوء حركة التوسع والفتوح، التي كانت طابع للعصر الأموي، والثقافة تنتشر في الأمة إذا هدأت واستقرت أمورها، وانتظم ميزانها الاقتصادي، وجُل هذا قد توافر للأمة الإسلامية بعد قيام الدولة العباسية، وتمكن السفاح والمنصور من تثبيت الدولة، والضرب على أيدى أعدائها، وما إن تم النصر الحربي حتى أفسح رجل الحرب الطريق لرجال الإدارة والمال والقانون والآداب، فظهر في ذلك العصر نخبة من الشعراء والفلاسفة والمؤرخين والرياضيين ورجال الدين، وقادة الفكر الذين أكسبوا اللغة العربية أغنى وأبرز تراث أدبي حظيت به[2].

وكانت النهضة العلمية في ذلك العصر تتمثل في ثلاثة جوانب:

- حركة التصنيف.

(1) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 3/ 228.

(2)موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج3/ 229.

- تنظيم العلوم الإسلامية.
- الترجمة من اللغات الأجنبية[1].

أولاً: حركة التصنيف: مرت حركة كتابة الكتب بمراحل ثلاث ينبغي أن يمتاز كل منها عن الآخر.[2]

المرحلة الأولى ،وهي أدناها وأيسرها، عبارة عن تقييد الفكرة أو الحديث أو نحو ذلك في صحيفة مستقلة أو مع غيرها[3].

المرحلة الثانية ،وهي أوسطها شرفاً، عبارة عن تدوين الأفكار المتشابهة أو أحاديث الرسول في ديوان واحد، فهنا أحكام فقهية جمعت في ديوان، أو مجموعة من الأحاديث، أو أخبار تاريخية، وهكذا[4].

أما المرحلة الثالثة، وهى أشرفها ، فهي مرحلة التصنيف وهى أدق من التدوين؛ لأنها ترتيب ما دون وتنظيمه ووضعه تحت فصول محددة وأبواب مميزة.. قال الزبيدي: "وصنفه تصنيفاً أي جعله أصنافاً، وميز بعضها عن بعض، ومنه تصنيف الكتب[5].

وهذه المرحلة وصل إليها المسلمون في العصر العباسي الأول، وكان الأئمة –قبل ذلك- يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف غير مرتبة، حتى سنة 143هـ ؛إذ شرع العلماء المسلمون في تصنيف الحديث والفقه والتفسير وكتب العربية والتاريخ وأيام الناس[6].

---

(1) شلبي ،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 3/ 328.
(2) المرجع السابق،ج231/3.
(3) المرجع نفسه،ج231/3.
(4) المرجع نفسه،ج231/3.
(5) ،تاج العروس ج168/6.
(6) البغدادي، تقييد العلم، ص8.

ومن أشهر المصنفين في ذلك العصر مالك الذي ألف الموطأ، وابن إسحاق الذي كتب السيرة، وأبو حنيفة الذي صنف الفقه والرأي[1].

ويرجع إلى أبي جعفر المنصور الفضل في توجيه العلماء هذا الاتجاه، وقد كان المنصور كما يقول السيوطي كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيها تلقى العلم عن أبيه وعن عطاء بن ياسر، ويروى أنه قابل الإمام مالكاً في موسم الحج، وفاتحه في مسائل كثيرة من العلم، ثم قال له: يا أبا عبد الله لم يبق في الناس أفقه مني ومنك، وإني قد شغلتني الخلافة، فاجمع هذا العلم ودونه، ووطئه للناس توطئة، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن العباس، وشواذ عبد الله بن مسعود، واقصد إلى أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم[2].

فاعتذر مالك، فلم يقبل المنصور منه، فوضع مالك "كتاب الموطأ" وأثر عن مالك قوله: والله لقد علمني المنصور التصنيف[3].

ويقول حاجي خليفة واختلف في أول من صنف، فقيل إلإمام عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج البصرى 155هـ/771م[4].

وقيل: أبو النصر سعيد بن عروبة 155هـ/771م ،وقيل :ربيع بن مسعود بن صبيح 160هـ/776م ، ومن مشاهير من عملوا بالتصنيف في ذلك العصر معمر بن راشد

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص 101-102.

(2) المصدر السابق، ص 101.

(3) صفوت، العلوم والمعارف في العصر العباسي، ص 3-4.

(4) كشف الظنون ،ج 26/1.

179هـ/795م وسفيان الثوري 161هـ/777م ومالك بن أنس 179هـ/795م وعبد الله بن مبارك 181هـ/797م[1].

ثانياً: تنظيم العلوم الإسلامية:

العلوم الإسلامية هي هذه الطائفة من العلوم التي نبعت من طبيعة الحياة الإسلامية، وهى التي تتعلق بالدين ولغة القرآن، ويطلق عليها بعض المصنفين العلوم النقلية؛ إذ إن الباحث فيها ليس له إلا أن ينقل ويروي، فالمفسر والمحدث ليس لهما إلا أن يرويا ما تلقياه عن طائفة عن أخرى مرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس للغوي إلا أن ينقل اللغة من العرب الخلص، أو عمن سمع منهم مباشرة أو بواسطة[2].

ولكن تسمية هذه العلوم بالعلوم النقلية في هذا العصر العباسي لم تعد تسمية دقيقة؛ ذلك لأن علماء هذا العصر استباحوا لأنفسهم أن يعتمدوا على العقل والمنطق في التدليل على ما يذهبون إليه، فأصبح المحدث يحكم على هذا الحديث أو ذلك بأنه موضوع ؛لأنه يخالف العقل والفكر الإسلامي، وأصبح يفتي في مسألة فقهية لم يرد فيها نص صريح باجتهاد وتفكيره، وإن خالف في ذلك من سبقوه من المجتهدين، وأصبح أحياناً يؤول النص للتوفيق بين طوائف النصوص التي يظهر فيها شيء من الاختلاف، وأحيانا يحكم بغير ما سجله النص اعتماداً على أن النص روعيت فيه حالة خاصة، من أجل ذلك آثرت أن أطلق على هذه العلوم "العلوم الإسلامية" ومما يؤيد اتجاهي أن علم الكلام معدود ضمن هذه العلوم، والمتكلمين – كما يقول الأستاذ أحمد أمين– أظهروا عنصراً عقلياً في الحركة العلمية، وهم لا يميلون كثيراً إلى المنقول،

---

(1) البغدادي، في تاريخ بغداد،10ج400/10،ج 115/14.

(2) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج 3/ 232.

ولا يثقون بكل ما فيه، ثقة المحدثين وغيرهم به، وكانت لهم مذاهب مقررة في العدل والتوحيد وصفات الله وأفعال العباد ونحو ذلك، تثْبُت لهم ببحثهم[1].

والعلوم الإسلامية تدين للعصر العباسي الأول بما وصلت إليه من دقة وتنظيم، و الحديث عن بعضها، وعما نالته من تطور في هذه الفترة من التاريخ[2].

ثالثاً: الترجمة من اللغات الأجنبية:

كانت النهضة الفكرية عند المسلمين في العصر العباسي الأول تعتمد اعتماداً ملحوظاً على نشاط واسع في الترجمة من السنسكريتية واليونانية، ففي سنة145هـ /762م وضع المنصور حجر الأساس لعاصمته الجديدة (بغداد)، وجمع حوله فيها صفوة العلماء من مختلف النواحي، وشجع على ترجمة كتب العلوم و الآداب من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، فاستجاب كثير من الباحثين لهذه الرغبة، ودفعهم التشجيع الأدبي للإجادة والإكثار، ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن المقفع الذي كان مجوسياً ودخل الإسلام، وأشهر ما ترجمه كتاب (كليلة ودمنة)، وقد وضع الأصل بالسنسكريتية، ثم تُرجم إلى الفارسية، ومنها ترجمه ابن المقفع إلى العربية، وكان المقصود من هذا الكتاب تعلم الآداب بواسطة أقاصيص على السنة الحيوانات، وقد فقد الأصل السنسكريتي لهذا الكتاب، كما فقدت نسخت الترجمة إلى الفارسية، ولم يبق منه إلا أجزاء لا تزال موجودة في البانشاتانترا والمهابهاراتا وقد حفظته اللغة العربية للفكر الإنساني، ومنها ترجم هذا الكتاب إلى جميع اللغات الأوروبية تقريباً وإلى كثير من اللغات الأخرى[3].

---

(1) ضحى الإسلام، ج2/146-147.

(2) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج 3/ 232.

(3)أمين، ضحى الإسلام، ج2/150-165.

وهناك رحالة هندى شديد الشغف بالعلم أدخل إلى بغداد كتاباً مهماً في علم الفلك اسمه سندهانتا، وساعد في ترجمته إلى اللغة العربية، وكذلك فعل هذا الرحالة بالنسبة لكتاب آخر في الرياضيات[1].

ومن مشاهير المترجمين الطبيب النسطوري جورجيس بن بختيشوع[2] 155هـ/771م، وكان المنصور قد استدعاه من جند يسابور ليكون طبيبه الخاص، ثم اشتغل بالترجمة، ومن المترجمين –أيضاً– بخت يشوع بن جورجيس185هـ /801م، وجبريل تلميذ بخت يشوع 193هـ/809م، والحجاج بن يوسف بن مطر (الذي ذاع اسمه بين سنتي170هـ–249هـ/ 786–863م) ،وهو أول مترجم لكتاب العناصر لإقليدس، كما أنه من أوائل من ترجموا المجسطي (وكان يحيى بن خالد البرمكي أول من ترجم بعضاً من إلياذة هوميروس) وأبو يحيى بن البطريق (المتوفى بين 796، 806)، الذي ترجم أكثر كتب أبقراط (436ق م)، وجالينوس[3] (200م)، كما قام بترجمة أخرى لكتاب المجسطي لبطليموس والعناصر لإقليدس، وعلى كل حال فلم يكن بين هذه التراجم التي ظهرت في هذا الوقت المبكر ترجمة شاملة شافية[4].

---

(1) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج 3/ 238.

(2) بختيشوع أو بني بختيشوع أي بني عبد المسيح ،حيث أن بخت تعني عبد و يشوع تعني المسيح في اللغة السريانية، هم أسرة من الأطباء و العلماء السريان النساطرة تعود أصولهم إلى مدينة جند يسابور في منطقة الأحواز في إيران حاليا ، انتقلوا إلى بغداد ثم لاحقا الموصل و ميا فارقين ، خدمت الخلفاء العباسيين ،ابن أبي أصيبعة ، طبقات الاطباء،ج155/3.

(3) هو أحد أكبر الأطباء والفلاسفة المتقدمين اليونان برع في الطب والفلسفة ,غيرها العلوم الرياضية. القفطي ، أخبار العلماء ص86–87.

(4)شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج 3/ 242

وفى سنة217هـ/ 832م شيد الخليفة المأمون[1] في بغداد أول مجمع علمي ومعه مرصد ومكتبة جامعة وهيئة للترجمة، ويقول شلبي[2]: إن هذا المعهد برهن على أنه أهم مجمع علمي شُيد منذ عهد جامعة الإسكندرية، التي شُيدت في النصف الأول من القرن الثالث ق م، وفى هذا المعهد ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وعين يحيى بن ماسويه (عاش بين سنتي 158-160هـ/777- 775م) لرئاسة هذا المعهد، وهو طبيب نسطوري وتلميذ لبختيشوع، يعرف عنه أنه ترجم للرشيد عدداً من المخطوطات الطبية ، وظل هذا المعهد يواصل نشاطه في خدمة الترجمة حتى بعد انتهاء العصر العباسي الأول. ويرى بعض الباحثين أن صفوة ما قام به هذا المعهد من جهود علمية تم إبان كانت الرئاسة مسندة إلى حنين بن إسحاق 260هـ/873م تلميذ يحي بن ماسويه وحواريه، وقد كان حنين بن إسحاق- في بادئ الأمر- تابعاً لابن ماسويه الطبيب، يساعده في إعداد بعض الأدوية، ثم كلفه أولاد موسى بن شاكر بأن يطوف بالبلاد التي تتكلم اليونانية ليجمع منها المخطوطات ذات القيمة العلمية الكبيرة لترجمتها، ثم أسند إليه الإشراف على دار الحكمة وعلى هيئة الترجمة فيها، وأخيراً عين طبيباً للخليفة المتوكل.[3]

وقد استطاع حنين بمساعدة المترجمين في بيت الحكمة أن ينقل إلى اللغة العربية كتب إقليدس (حوالي 300 ق م) وبعضاً من كتب جالينوس وأبقراط وأرشميدس وأبولونوس، وترجم لأفلاطون كتاب الجمهورية، وكتاب السياسة ، وكتاب القوانين، وترجم المقولات والطبيعيات والخلفيات، وهى بعض مؤلفات أرسطو، وشرح ثامسطيوس على الكتاب الثلاثين فيما وراء

---

(1) من المرجح أن بيت الحكمة أسسه هارون الرشيد وأن كان قد ازدهر في عهد المأمون، ينظر: الإنطاكي ،صلة تاريخ أوتيخا (ج188/1).

(2) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، 242/3.

(3) المرجع السابق، ج 3/ 242.

الطبيعة، والعهد القديم ، وكتاباً في الطب ينسب إلى بولس الأجيني، ونقل إسحاق بن حنين إلى اللغة العربية كتباً كثيرة منسوبة إلى أفلاطون وأرسطو وفورفوريوس والإسكندر الأفروديسي وغيرهم. ومن بين صفوة المترجمين الذين كانوا يعملون في بيت الحكمة حبيش ابن أخت حنين وعيسى بن يحي وموسى بن خالد[1].

استقرار الدولة

يعد هارون الرشيد الذي تولى الخلافة من عام 170 - 193هـ/-787-809م، أقوى وأزهي فترات الدولة العباسية في جميع عصورها، فقد استطاع بشخصيته القوية أن يقضي على حركات النزاع على الحكم التي تضعف الدولة[2]، وكان الرشيد كثير الغزو لبلاد الروم مما أدى إلى تأمين الحدود الخارجية للدولة وبذلك استتب الأمن واستقرت الأحوال، ونظم العباسيون شئون الحكم وطوروا في مؤسسات الدولة ،التي كانت موجودة قبل ذلك فاهتموا بتنظيم الجيش وتحديد رتبه وقياداته، وكذلك الشرطة لحفظ الأمن الداخلي، وتطورت مؤسسة القضاء وأضيف إليها منصب قاضي القضاة ، وهو الذي كان يباشر بنفسه مع الخليفة أحكام ديوان النظر في المظالم، ونتيجة للاستقرار الاقتصادي اهتم العباسيون بتطوير دواوين الخراج والسكة، وجعلوا الوزارة منصباً رسمياً لأول مرة[3].

لقد استهل الرشيد عهده بأن قلد يحيى بن خال البرمكي الوزارة، وكان من أكفأ الرجال و أماهرهم، وفوض إليه أمور دولته، فنهض بأعباء الدولة، وضاعف من ماليتها، وبلغت أموال الخراج الذروة، وكان أعلى ما عرفته الدولة الإسلامية من خراج، وقدره بعض المؤرخين بنحو

(1)ابن النديم، الفهرست ،ص 274.

(2) المصدر السابق ،ص276

(3)شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج 3/ 260

أربعمائة مليون درهم، وكان يدخل خزينة الدولة بعد أن تقضي جميع الأقاليم الإسلامية حاجتها[1].

وكانت هذه الأموال تحصل بطريقة شرعية، لا ظلم فيها ولا اعتداء على الحقوق، بعد أن وضع القاضي "أبو يوسف" نظاماً شاملاً للخراج باعتباره واحداً من أهم موارد الدولة، يتفق مع مبادئ الشرع الحنيف، وذلك في كتابه الخراج[2].

وكان الرشيد حين تولى الخلافة يرغب في تخفيف بعض الأعباء المالية عن الرعية، وإقامة العدل، ورد المظالم، فوضع له "أبو يوسف" هذا الكتاب استجابة لرغبته، وكان لهذا الفائض المالي أثره في انتعاش الحياة الاقتصادية، وزيادة العمران، وإزدهار العلوم، والفنون، وتمتع الناس بالرخاء والرفاهية[3].

وأنفقت هذه الأموال في النهوض بالدولة، وتنافس كبار رجال الدولة في إقامة المشروعات، كحفر الترع والأنهار، وبناء الحياض، وتشييد المساجد، وإقامة القصور، وتعبيد الطرق، وكان لبغداد نصيب وافر من العناية والاهتمام من قبل الخليفة الرشيد وكبار رجال دولته، حتى بلغت في عهده قمة مجدها وتألقها، فاتسع عمرانها، وزاد عدد سكانها حتى بلغ نحو مليون نسمة، وبُنيت فيها القصور الفخمة، والأبنية الرائعة ،التي امتدت على جانبي دجلة، وأصبحت بغداد من اتساعها كأنها مدن متلاصقة، وصارت أكبر مركز للتجارة في الشرق؛ حيث كانت تأتيها البضائع من كل مكان[4].

---

(1) أمين، ضحى الإسلام، ج241/2.

(2) ابن الطقطقي ،الفخري في الآداب السلطانية ، ص158.

(3) أمين، ضحى الإسلام، ج242/2.

(4) المرجع السابق،ج246/2.

وغدت بغداد قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية ،التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأس والمناقشة، وثراء الجدل والحوار، كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناع.(1)

ومع استقرار الدولة بدأت تظهر نتائج الحضارة الإسلامية في العلوم والمعارف والفنون، ومن مفاخر العصر العباسي الأول أنه ظهر فيه حشد كبير من العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب(2).

ويكفي هذا العصر فخراً أنه اجتمع فيه أئمة الفقه الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة، وعلى رأسهم الأمام الأعظم أبو حنيف النعمان، وفقيه المدينة الإمام مالك بن أنس والإمام الشافعي، والإمام الممتحن أحمد بن حنبل، وظهرت في الفقه الإسلامي مدرستان علميتان كبيرتان هما مدرسة أهل الرأي في العراق، ومدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة. وحفل هذا العصر –أيضاً بأئمة– علوم القرآن وعلوم اللغة العربية، فظهر منهم سيبويه والخليل بن أحمد وأبو عمرو بن العلاء، والإمام الفراء، والكسائي، وظهرت في علوم اللغة –أيضاً– مدرستان علميتان هما:

مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة(3).

وفى التاريخ ظهر أول تاريخ كامل للسيرة النبوية الشريفة في كتابي سيرة بن هشام وكتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد(4).

---

(1)ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص68-69.

(2) أمين، ضحى الإسلام، ج254/2.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص285.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 289.

كما تطورت العلوم في العصر العباسي الأول، فقد انتقلت العلوم من مرحلة التلقين الشفوي إلى مرحلة التدوين والتوثيق في كتب وموسوعات، وظهرت اول مؤسسة علمية من نوعها وهى دار الحكمة ،التي تأسست في عهد الرشيد ووصلت إلى أوج نشاطها العلمي في التصنيف والترجمة في عهد المأمون. (1)

ومن الجدير ذكره أن المسلمين لم يكتفوا بمجرد الترجمة، بل كانوا يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه وكانت "المجالس والندوات العلمية" منتدى خصباً للحوار بين العلماء.

ومن الانجازات العلمية المهمة في هذا العصر المرصد الفلكي، الذي شيده الخليفة المأمون في بغداد، وكان أكبر المراصد الفلكية في هذا العصر، وقد عمل فيه أكبر علماء الفلك المسلمين و تمكنوا من خلاله من تفسير ظاهرة الجاذبية وتعيين خط العرض وقياس طول محيط الأرض ، ساعدهم في هذا علماء الجغرافيا والهندسة[2].

وعلى الرغم من الفتن والثورات التي ملأت عهد المأمون، فإن عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية؛ فقد اهتم بالمسائل العلمية والفلسفية، وشجع على النهضة الفكرية ونشر العلوم، فزود دار الحكمة، التي كان الرشيد قد أسسها في بغداد ،بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس حتى أصبحت دار الحكمة أشبه بجامعة علمية تضم داراً للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل(3).

كما خصص فيها مواضع للنساخين، وذكروا أنه استخرج كتب الفلاسفة اليونان من جزيرة قبرص، واطلع على الكثير مما جاء فيها، فكان أول من بحث من الخلفاء عن علوم

---

(1)المصدر السابق ،ص 303.

(2)ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ،ص198.

(3) أمين، ضحى الإسلام، ج254/2.

الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها، اقليدس، ونظر في علوم الاوائل، وتكلم في الطب، وقرب أهل الحكمة، وجره ذلك إلى القول بخلق القرآن[1].

وامتحن القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن، فمن أقر أنه مخلوق محدث خلى سبيله ومن أعلمه به ليأمر فيه برأيه، وممن امتحنهم في ذلك الأمام أحمد بن حنبل الذي أصر على أن القرآن كلام الله، فأمر به فشد في الحديد، ثم أمر به فأرسل إلى طرطوس مع جماعة ممن خالفوا المأمون في مقالته[2].

أما في عهد المعتصم فكانت بداية ضعف الدولة العباسية وانحدار حضارتها؛ حيث كانت والدة المعتصم تركية؛ لذلك فقد أحاط نفسه بالحرس التركي، كما فعل أخوه المأمون مع الفرس، وكان قوام الحرس التركي بداية عهد المعتصم أربعة آلاف رجل، غير أنه استقدم المزيد من قبائلهم عاماً فعاماً ما أثار قلاقل واضطرابات في بغداد اضطر معها الخليفة إلى نقل عاصمته إلى سامراء، وإثر وفاته عام227هـ/ 842 م بويع ابنه الواثق بالله واستمر في سياسة والده القائمة على استيراد القبائل التركية ومنحهم الوظائف العالية في الدولة، وجعلهم قوام الجيش فعليا، وكان الواثق قد خلع على القائد التركي أشناس لقب السلطان؛ ما مهد لضعف الدولة وزوال سيطرة الخلفاء عليها، وإثر وفاته عام233هـ /847 م بويع أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بالخلافة، والذي يحدد أغلب المؤرخين تاريخ خلافته بدءا لانحطاط الدولة العباسية.

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص284.

(2) ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج427/6.

الخاتمة

بعد البحث الدقيق والتأمل العميق، والدراسة المتأنية في الأمن الداخلي والأمن الخارجي في الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، وبعض التوصيات التي يستفيد منها الباحثون وأصحاب القرار، أوجز أهمها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

- لعب التجار الذين يترددون عبر مناطق الثغور، ومنها إلى بلاد الروم، دوراً مهماً في نقل بعض أخبار الروم وأخبار تحركاتهم.
- من أهم مهمات الرسل والسفراء متابعة ومراقبة أحوال وظروف الدول التي يرسلون إليها، وفي جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية... الخ، وقد يكون من أسباب ذلك حماية دولهم من أن تؤخذ على حين غزة دون سابق إنذار، فكثير من الدول تظهر حسن النية والرغبة في المصالحة، ولكن حقيقة الأمر غير ذلك؛ إذ تعد العدة وتدرب الجيش وتسلحه استعداداً لخوض حرب جديدة.
- قام صاحب البريد والخبر بمهمة خطيرة، فهو عين الخليفة الساهرة على الأصدقاء والأعداء جميعاً، يراقب العمال والولاة ويتجسس على الأعداء.
- واجهت الخلافة العباسية الكثير من الأخطار الداخلية كالعلويين والزنادقة ، وخروج الخوارج، والثورات الداخلية في العراق، وثورة الزنط، و ثورة نصر بن ثبث وبابك في بلاد فارس .
- لقد اختلفت الحياة الأمنية في مرحلة السلم في عهد الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول من فترة إلى أخري.
- كان لديوان الرسائل والخبر في الدولة العباسية دور كبير ومهم في حفظ الأمن في حالة السلم والحرب.

- في سبيل إشاعة الأمن في الدولة العباسية اهتم الخلفاء بجهاز القضاء كأحد أهم أساليب إشاعة العدل والأمان في الدولة العباسية، وكان الخلفاء العباسيون الأوائل ينظرون في المظالم بأنفسهم غالباً فقد كان الخليفة المهدي يجلس للمظالم، كما كان الخلفاء يطلبون الحسبة بأنفسهم.
- تميزت القيادة العسكرية في الدولة العباسية، ببناء الحصون والقلاع، لحماية قواتها من ضربات العدو، وقذائف نيرانه، خاصة أن الدولة البيزنطية –في ذلك العصر–، كانت تعتبر العدو الاستراتيجي، الذي يتمتع بكفاءة قتالية عالية، وأسلحة متطورة، يفتقر إليها الجيش العباسي آنذاك.
- نظراً لأن الجبهة الداخلية تصبح هشة بعد مغادرة الجيوش إلى الغزو، فقد كان لحماية الجبهة الداخلية في الدولة العباسية اهتمام كبير لدى ولاة الثغور، فإنه إذا نودي بالنفير واستعدت جيوش المحاربين لمغادرة الثغر، يقوم ولي الأمر بإغلاق باب المدينة كشكل احترازي من باب الاحتياطات الأمنية، خشية من قيام جواسيس الروم بالاطلاع إلى استعدادات المسلمين، ونقل صورة عن تجهيزاتهم وأعدادهم، ولمنعهم من القيام بعمليات التخذيل وبث الإشاعات في صفوف المسلمين، وقد كانت توصد الأبواب وتودع المفاتيح لدى صاحب الشرطة في الثغر.
- واجهت الخلافة العباسية الكثير من الأخطار الخارجية، كالخطر البيزنطي، والخطر الأموي في الأندلس، وخطر الروم.
- اتبع الأئمة والولاة في العصر العباسي الأول سياسة مشددة لمنع التخابر مع الأعداء ونقل المعلومات إليهم؛ حيث كان للإمام مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك – من الطرق– فيفتشون من مر بهم من التجار.
- حرصت الدولة العباسية على كتمان أسرارها وعملت بشتى الوسائل للحيلولة دون تسربها للعدو والصديق، فوضعت نقاط تفتيش على حدودها لتفتيش المسافرين، وقراءة الرسائل التي يحملونها، والتحقق من شخصيات المسافرين.

- يعتبر العصر العباسي العصر الذهبي للدبلوماسية الإسلامية ، وكان هذا الازدهار الدبلوماسي انعكاساً لازدهار الدولة الإسلامية وتوطد أركانها، فقد غدت إحدى أكبر دولتين في العالم إلى جانب الدولة البيزنطية.
- اقترن العصر العباسي الأول باستقرار الدولة العباسية وازدهارها في المجالات المختلفة سياسياً واقتصادياً وثقافياً ولقد اهتم العباسيون في هذا العصر بتقوية نظام السفارات لتوثيق علاقتهم الخارجية مع الدول والممالك .
- يعد العصر العباسي الأول أنسب العصور ملاءمة للنهضة الثقافية؛ فمدنيَّة الإسلام بدأت فيه تستقر بعد هدوء حركة التوسع والفتوح التي كانت طابعاً للعصر الأموي، والثقافة تنتشر في الأمة إذا هدأت، واستقرت أمورها، وانتظم ميزانها الاقتصادي، وجُل هذا قد توافر للأمة الإسلامية بعد قيام الدولة العباسية.
- مع استقرار الدولة بدأت تظهر نتائج الحضارة الإسلامية في العلوم والمعارف والفنون. ومن مفاخر العصر العباسي الأول أنه ظهر فيه حشد كبير من العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب، ويكفي هذا العصر فخراً أنه اجتمع فيه آئمة الفقه الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة.

ثانياً: التوصيات:

- العمل على إعداد المزيد من الأبحاث العلمية التي تتناول الأمن في عهد الخلافة العباسية في فترات زمنية مختلفة.
- التخصص في دراسة الأمن في العصور العباسية، كل عصر على حدة ، وذلك لأهمية الموضوع والوصول إلى صورة أوضح عن الحالة الأمنية في كل عصر من العصور الأربعة.
- يوصي الباحث بضرورة التحقيق في بعض الجوانب المهمة في الدولة العباسية التي نالها التشويه من خلال الكتابات الفارسية الشعوبية من ناحية، والشيعية من ناحية أخرى.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم .

1-ابن الأثير، عز الدين أحمد أبي المكارم، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ت.630هـ/1233م (1987). *الكامل في التاريخ*. ط،1 بيروت : دار الكتب العلمية.

2-الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح 852 ت .هـ/1448م(2016م) *المستظرف في كل فن مستظرف*. مصر : دار الفكر مصر.

3-الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي ت. 458هـ/1066م.(1994م).*تاريخ الأنطاكي* .تحقيق : عمر عبد السلام تدمري .بيروت : دار صادر .

4-ابن بطي ،عبيد علي (1996م). *كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج عبر العصور*. دبي (الإمارات) :مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

5-أحمد، أحمد رمضان (1995) *الرحلة والرحالة المسلمون*، عمان: دار البيان العربي.

6-الأصفهاني، أبو فرج علي بن الحسين الأموي القريشي . ت.356هـ/967م.(1998)، *الأغاني*. عمان: دار البيان العربي.

7-الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح ت.692هـ/1292م (1996) *كشف الغمة في معرفة الأئمة*. بيروت: دار صادر.

8-ارشيبالد، لويس 1311هـ/1894. (1960م) *القوى البحرية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)*. ترجمة أحمد محمد عيسى. القاهرة :مكتبة النهضة المصرية.

9-ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجى .ت 668هـ/1269م.(1965م). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء* .تحقيق :نزار رضا .طبعة مصر. بيروت :دار مكتبة الحياة.

10–الأنصاري، عمر بن إبراهيم الأوسي ت.751هـ/1350م(1961م). *تفريج الكروب في تدبير الحروب*، القاهر: منشورات الجامعة الأمريكية القاهرة.

11–أيوب، إبراهيم(1989م). *التاريخ العباسي السياسي والحضاري*. ط1،مصر: دار الكتاب العالمي.

12–بروكلمان، كارل ت.1376هـ/1956م(1977م). تاريخ الشعوب الإسلامية . ترجمة، نبيه فارس ومنير البعلبكي. بيروت. :دار القلم .

13–البيروسوي، محمد بن علي ت.994هـ1586م.(2006م). *أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك*. تحقيق المهدي عيد. بيروت. :دار المغرب الإسلامي.

14–باد شاه، حافظ محمد(2011م). *الحجاز في أدب الرحالة العرب*. إسلام أباد : الجامعة الوطنية للغات.

15–البكري، عبد الله بن عبد العزيز ت.487هـ/1094م.(2003م). *المسالك والممالك*. تحقيق جمال طلبه. بيروت. : دار الكتب العلمية .

16–بكري، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ت.966هـ/1558م(1973م).تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ،بيروت .دار صادر.

17–البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود ت. 279هـ/892م(1974م). *فتوح البلدان*. بيروت: دار مكتبة الهلال.

18– البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود ت. 279م/892م(1982م). *أنساب الأشراف*، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت. :مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

19– بوبوش، محمد(1986م). *العلاقات الدولية مفهوم دار الحرب ودار الإسلام*. القاهرة : دار النشر الأنجلو المصرية. القاهرة.

20–بيطار، أمينة(1980م). *الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام 132–358هـ/750* .دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

21–الترمانيني، عبد السلام ت. 1410هـ/1990م(2003).*أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين: الجزء الأول من سنة 1 هـ إلى سنة 250 هـ"، المجلد الثاني (من سنة 132 هـ إلى سنة 250 هـ).دمشق: دار طلاس.*

22–التبريزي ،الخطيب ت. 502هـ/1109م.(1994م). *شرح ديوان أبي تمام*. تحقيق. محمد عبده عزام .مصر دار المعارف.

23–ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان ت 383هـ/994م(1955م).طبقات الأطباء الحكماء .تحقيق: فؤاد سيد.القاهرة:مطبعة المعهد الفرنسي.

24–الجنابي، خالد جاسم(1988م). *البريد العسكري في العصر العباسي.* بغداد.(مجلة المؤرخ العربي العدد35).

25–الجنابي، خالد جاسم(2017).*تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي* .بغداد. :دار الشؤون الثقافية العلمية.

26–الجهشاري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت331هـ/943م(2011م).الكتاب والوزراء. تحقيق مصطفى السقا وابراهيم البياري وعبد الحافظ شلبي .الامارات: مؤسسة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

27–حبش، محمد(1996).*الاسلام والدبلوماسية*.ط1، بيروت: دار النشر بيروت.

28–حتى، فيليب واخرين (1961م).*تاريخ العرب*.ط3.بيروت: دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع.

29–ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت 456هـ/1064م(1987م). *أسماء الخلفاء والولاة و ذكر مددهم*، تحقيق : د إحسان عباس ،ط2،بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

30–حسن، إبراهيم حسن ت.1387هـ/1968م(1964م). *تاريخ الإسلام السياسي*.ط7، القاهرة. :مكتبة النهضة المصرية.

31–الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي ت.622هـ/1225م(1979م). معجم *البلدان* .بيروت: كدار إحياء التراث.

32–الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأسدي ت. 488هـ/1095م(1966م). جدوة *المقتبس في ذكر ولاة الأندلس* .مصر: دار المصرية التأليف والنشر.

33–الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت.900هـ/1494م(1980م). الروض المعطار في خبر *الأقطار* . تحقيق احسان عباس. ط2،*بيروت* . مؤسسة ناصر *للثقافة.*

34–خدوري، مجيد ت. 1428هـ/2007م(1973م). *الحرب والسلم في شريعة الاسلام.* بيروت: الدار المتحدة للنشر.

35–ابن خردابة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت.280هـ/893م (1889م). *المسالك والممالك*. بيروت دار صادر .

36–خسرو، ناصر ت.394هـ/1004م(1983م).*سفر نامة*. تحقيق ،يحيى الخشاب .ط3،بيروت : دار الكتاب الجديد.

37–ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي ت.808هـ/1406م(1988م). *تاريخ ابن خلدون*.ط2، بيروت: دار الفكر.

38–الخضري بك، الشيخ محمد ت.1345هـ/1927م(2008م). *الدولة العباسية*. مصر : المكتبة التجارية الكبير.

39–الخطيب البغدادي ،أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ت.385هـ/995م (2002م). *تاريخ بغداد*. تحقيق .بشار عواد معروف. بيروت : دار المغرب الإسلامي.

40–ابن خياط، خليفة خياط العصفري ت .240هـ/854م.(1977). *تاريخ خليفة بن خياط*.ط2، تحقيق، أكرم العمري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

41–الدوري، عبد العزيز ت.1431هـ/2010م(1988م). *العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي* .ط2، بيروت : :دار الطليعة للطباعة والنشر.

42–الدوري، عبد العزيز ت.1431هـ/2010م (1988م). *النظم الاسلامية، الخلافة الاسلامية، الوزارة، النظم المالية، النظم الإدارية* . بغداد : بيت الحكمة.

42–الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود ت.283هـ/896م(1911م).*الأخبار الطوال*. تحقيق ،عبد المنعم عامر.:دار الإحياء المكتب العربي.

43–الدِّينَوري ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ت.276هـ/889م (1342هـ) .*الامام والسياسة* .القاهرة:

44–الذهبي، الإمام، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت.749هـ/1348م(1996م). *سير أعلام النبلاء* .تحقيق . بشار عواد معروف وآخرين.ط11.بيروت مؤسسة الرسالة.

45–رفاعي، أحمد فريد(1928م). عصر *المأمون*.ط3،القاهرة :دار الكتاب.

46–الرفاعي، أنور(2017). *النظم الإسلامية* . . دمشق :دار الفكر .

47-الزبيدي، فخري (1988م).*الموجز المنتخب من الحوادث وأخبار الخليفة هارون الرشيد ودولة وجند العرب في خلافة بني العباس* .بغداد : مطبعة أركان.

48-زكار ،سهيل(1995م). *مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية*. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

49-زيدان، جرجي ت.1332هـ/1914م(1902). *تاريخ التمدن الإسلامي*. القاهرة :مطبعة القاهرة.

50-ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ت.674هـ/1275(1309هـ).*نساء الخلفاء المسمى، جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء* . ط1،تحقيق . مصطفى جواد. القاهرة :دار النشر للمعارف.

51-سالم، السيد عبد العزيز ت.1424هـ/2003م(1993م). *دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول* .مصر :مؤسسة شباب الجامعة.

52-سالم، السيد عبد العزيز ت.1424هـ/2003م (1966م). *المغرب الكبير*. القاهرة :مطبعة الدار القومية.

53-السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر ت.911هـ/1505م(2004)*تاريخ الخلفاء*. تحقيق حمدي الدمرداش. ط1:مكتبة نزار مصطفى الباز.

54-الشامي، صلاح الدين(1983م). *الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية. مجلة عالم الفكر*. المجلد13.العدد4.الكويت.

55-شعيرة، عبد الهادي(1962م). *المرابطون في الثغور البرية العربية*. مصر :دار المعارف.

56–الشكعة، مصطفى ت.1432هـ/2011م(1994م). *إسلام بلا مذاهب*.ط10.القاهرة : الدار المصرية اللبنانية.

57–شلبي، أحمد(1985م) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.ط8. مصر : مكتبة النهضة المصرية، مصر.

58–الصالح ، صبحي ت.1407هـ/1986م(1980م). *النظم الإسلامية*.ط5.بيروت:دار العلم للملايين.

59–الصياد، فؤاد عبد المعطي ت.1420هـ/1999م(1972م) . النوروز و أثره في الأدب العربي. بيروت : دار الآحاد.

60– الضبي ،أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر ت.599هـ/1203م (1967م). *بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس*. القاهرة. دار الكُتاب العربي.

61–ضيف، شوقي ت. 1426هـ/2005م(1956م)الرحلات.ط4،القاهرة. :دار المعارف.

62–ضيف، شوقي ت. 1426هـ/2005م (2014) *تاريخ الأدب العربي عن العصر العباسي الأول*.ط8، القاهرة. :دار المعارف.

63–الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر ت.310هـ/922م(1967م).*أخبار الرسل والملوك* .تحقيق. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت . دار سويدان.

64–ابن الطقطقي، حمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي، أبو جعفر ت.709هـ/1309م(1997م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية.ط1. عبد القادر محمد مايو. بيروت :دار القلم العربي.

65–طقوش، محمد سهيل(1998م).*تاريخ الدولة العباسية*. بيروت : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

66–العاني، حسن فاضل زعين(1981م). *سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية*.

بغداد دار الرشيد للنشر .

67–العبادي، عبد الحميد ت.1376هـ/1956م (1948م).*صور وبحوث من التاريخ الإسلامي*.

الإسكندرية :مطبعة الإسكندرية للطباعة والنشر والتوزيع.

68–العبادي، أحمد ت. 1438هـ/2016م(1964م). *في التاريخ العباسي والفاطمي*. بيروت :

دار النهضة العربية. عباس، إحسان (1988م).*شذرات من كتب مفقودة في التاريخ*

.ط3.بيروت:دار المغرب الاسلامي

69–أبو عباه، سعيد محمد(2009م)*الدبلوماسية تاريخها ومؤسساتها وأنواعها وقوانينها*. الدقهلية

. :دار الشيماء للنشر والتوزيع

70–عبد الله، وديع فتحي ت 1440.هـ/2018م(1990م). *العلاقات السياسية بين بيزنطة*

والشرق الأدنى الاسلامي (124–205هـ/ 741–820م) .الإسكندرية :مؤسسة شب الجامعة.

71–عبد الحميد، سعد زغلول(1979م). *تاريخ المغرب العربي، تاريخ دولة الأغالبة والرستميين*

وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين. الإسكندرية :مطبعة الإسكندرية.

72–عبد الحي، محمد شعبان ت. 1413هـ/1992م(1977م). ثورة العباسيين . ترجمة. عبد

المجيد حسيب القيسي. أبو ظبي : دار الدراسات الخليجية.

73–عثمان، فتحي ت. 1431هـ/2010م(1967م). *الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي*

والاتصال الحضاري. القاهرة : دار القومية للطباعة والنشر.

74–ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن

حدير بن سالم ت. 329هـ/940م(1986م). العقد الفريد .ط3. تحقيق: عبد المجيد الترحيني.

بيروت. :دار الكتب العلمية.

75–ابن العبري، غريغوس يوحنا بن هارون بن تومة الملطي أبو الفرج

ت.685هـ/1286م(1992م). *تاريخ مختصر الدول*. ط3. تحقيق .أنطون صلحاني. بيروت :

دار المشرق للنشر.

76–ابن عساكر، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة

الله ت.571هـ/1175م(1995م).*تاريخ دمشق الكبير*. تحقيق. عمرو بن غرامة العمروي.

بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر.

77–عبيد، طه خضير (2012م).*المراسلات والهدايا بين العباسيين والبيزنطيين،*

132هـ/320هـ/750م/932م. بيروت: دار الفكر للطباعة والتوزيع.

78–البغدادي، محمد بن الحسن ت. 473هـ/1080م(2014م).الطبيخ. تحقيق . قاسم سامرائي.

لندن: دار الوراق.

79–غولي، جهادية القرة(1986م). *العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق*

والشام خلال العصر العباسي الأول 132هـ–232هـ.ط1. بغداد : دائرة الشؤون الثقافية العامة

آفاق عربية.

80–فارمر، هنري جورج ت.1385هـ/1965م(2015م).*حقائق تاريخية عن تأثير موسقى*

العربي. ترجمة، تحقيق. عبد الله مختار السباعي .بيروت . :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

81–ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي(2003م)..*رسالة ابن فضلان في*

وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة . ط1 .تحقيق . شاكر لعيبي. أبو ظبي

:دار السويدي.

82–أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه ت

.732هـ/1331م(2010م)*المختصر في أخبار البشر*.ط1.مصر : المطبعة الحسينية المصرية.

83–ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني ت.403هـ/1012م(1996م). ***البلدان*** .ط1.تحقيق يوسف الهادي. بيروت :عالم الكتاب.

84–فوزي، فاروق عمر (1997م). *الجيش والسياسة في مطالع العصر*. الأردن. مج2.ع1.مجلة المنارة جامعة آل البيت.

85–فوزي، فاروق عمر (2008م).*الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية 247–334هـ/861–946*م. رام الله : دار الشروق.

86–فوزي، فاروق عمر (1974م). *الرسائل المتبادلة بين الخليفة هارون الرشيد والثائر حمزة بن عبد الله الخارجي*. المجلة التاريخية .العدد3.

87–فوزي، فاروق عمر (1973م). *سياسة المأمون تجاه العلويين*. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد، العدد 16.

88–فوزي، فاروق عمر (1970م). *العباسيون الأوائل*.ط1.بيروت :دار الإرشاد.

89–فوزي، فاروق عمر (1970م). عمر *طبيعة الدعوة العباسية*. بيروت :دار الإرشاد.

90–فياض، هيثم توفيق(2013م).*الدبلوماسية المساومة القسرية والسياسة الدولية*. عمان: دار دجلة للنشر.

91–فييه، جان موريس(1990م). *أحوال النصارى في خلافة بني العباس*. ترجمة حسن زيني. بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

92–القاسمي،، ظافر ت. 1405هـ/1984م(1982م). الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام. ط1. بيروت : دار العالم للملايين.

93–القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت.682هـ/1283م(2010م). *آثار البلاد وأخبار العباد*. بيروت . :دار صادر.

94-القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت.821هـ/1418م(1917م). صبح الأعشي في صناعة الإنشا. مصر : المطبعة الأميرية.

95-ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت.774هـ/1372م(1966م). *البداية والنهاية في التاريخ*. بيروت :دار المعارف.

96-ماجد، عبد المنعم ت.1420هـ/1999م(1984م). *العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسي*. ط3. مصر. :مكتبة الأنجلو مصرية.

97-المبيضين، مخلد ت.1432هـ/2011م(2015م). *أصول العلاقات الدولية في الاسلام*. عمان : دار الأكاديميون.

97-متز،أدم 1335هـ/19017م(1967م). الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة. ترجمة . محمد عبد الهادي أبو ريدة. بيروت : دار الكتاب العربي.

98-مجهول ،مؤلف(1970م). *أخبار الدولة العباسية، فيه أخبار العباس وولده* . تحقيق عبد العزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي .بيروت : دار الطليعة.

99-مجهول ،مؤلف(1989م). *أخبار مجموعة في فتح الأندلس* . تحقيق ابراهيم الأبياري .القاهرة : دار الكتاب المصري.

100-مصطفي ،شاكر ت.1418هـ /1997م (1980). *دولة بني العباس* .الكويت ، وكالة المطبوعات للدعاية والنشر

101-المسعودي،بو الحسن على بن الحسين بن على ت.346هـ/957م(1982م).*مروج الذهب ومعادن الجوهر*. تحقيق: محي الدين عبد الحميد. بيروت : دار المعرفة.

102–ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ت. 421هـ/1031م(2000). *تجارب الأمم وتعاقب الهمم* . ط2.تحقيق: أبو القاسم إمامي. طهران: سروش.

103–المقريزي، تقي الدين أحمد بن على ت. 845هـ/1441م(1968م). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. القاهرة : دار التحرير للطباعة والنشر.

104–مقديش، محمود ت. 1228هـ/1813م(1988). *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار* .تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ. بيروت :دار الغرب الاسلامي.

105–مناصرة، عبد الله على السلامة المحمد(1991م). *الاستخبارات العسكرية في الاسلام* .ط2. بيروت : مؤسسة الرسالة.

106–المدور، جميل نخلة(1998م). *حضارة الاسلام في دار السلام* .ط2. القاهرة : مكتبة الأدب للطباعة والنشر.

107–ابن المقفع، روزبه بن داذويه عبد الله ت.142هـ/759م(1970م). *رسالة الصحابة*. بيروت . :دار البيان دار القاموس.

108–المهتار، طلال عامر ت.1438هـ/2016م(1945م). *التاريخ العسكري* . بيروت : دار اقرأ.

109–النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت.734هـ/1333م (1933م). *نهاية الأرب في فنون الادب*، ط1.القاهرة. دار الكتب المصرية.

210هايد، ف(1985م). *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*. ترجمة .أحمد رضا. مصر . :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

111-الهرثمي، أبو سعيد الشعراني (2018م) .*مختصر سياسة الحروب*. تحقيق: عبدالرؤوف عون. القاهرة . المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

112-الهرفي، سلامة محمد(1408هـ). *المخابرات في الدولة الاسلامي*. الرياض : دار النشر بالمركز العربي للدراسات الامنية والتدريب.

113-الهروي، علي بن أبي بكر بن علي ت.611هـ/1215م(1972م). *التذكرة الهروية في الحيل الحربية*. دمشق دار النشر مكتبة الثقافة الدينية.

114-الهروط ،بلال سالم (2008م) .صورة الأخر في أدب الرحلات الأندلسية. الأردن. اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤتة.

115-اليعقوبي، حمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح ت.292هـ/905م(2011م).*تاريخ اليعقوبي* بيروت :دار الكتب العلمية.

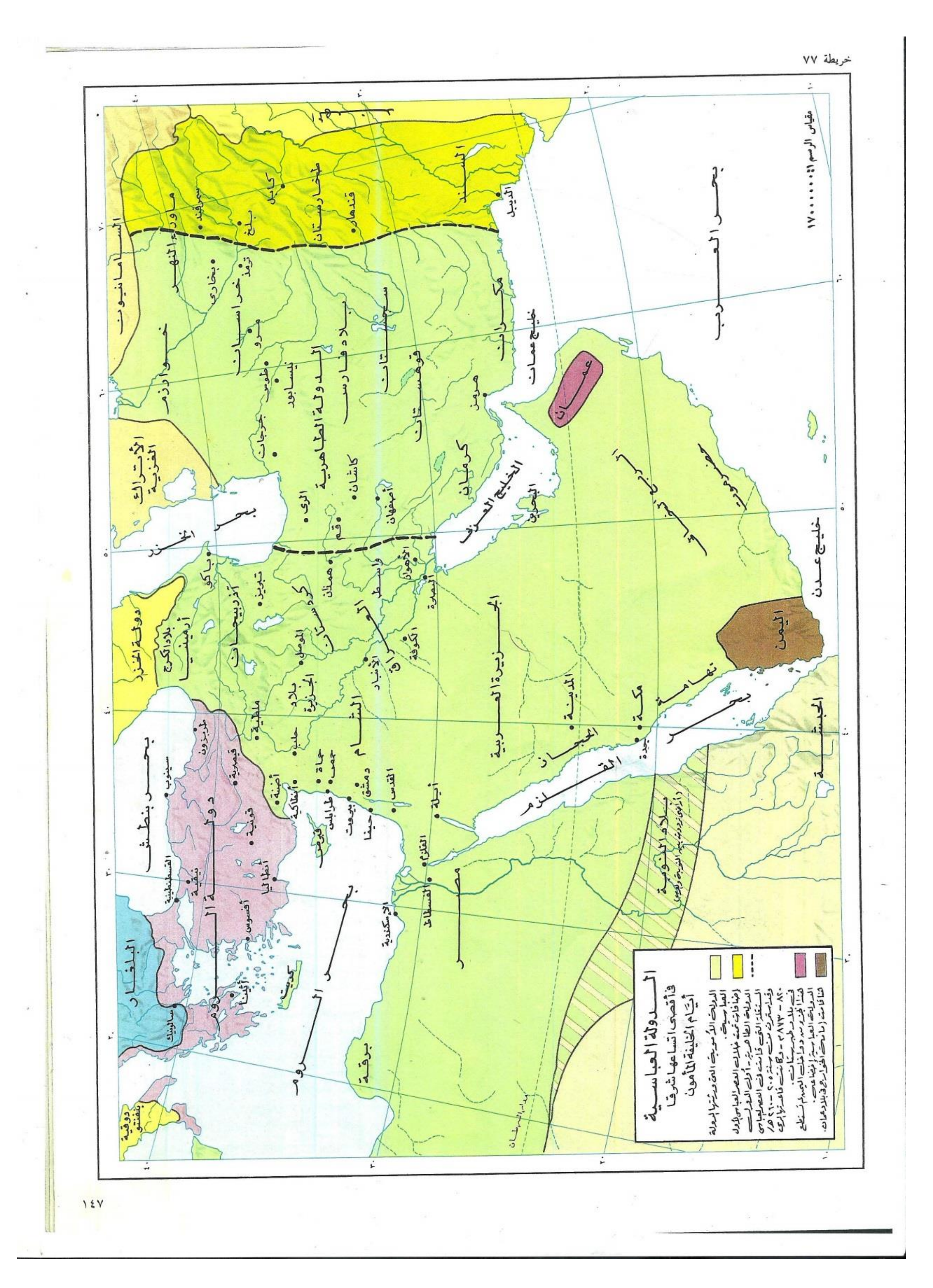
116-اليوزبكي، توفيق سلطان ت.1424هـ/2003م(1977م). *دراسات في النظم العربية الإسلامية*. ط3.الموصل : جامعة الموصل .

117-أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيته الانصاري ت.182هـ/798م(1396هـ).*الخراج* لأبو يوسف. ط5. القاهرة المطبعة السلفية.

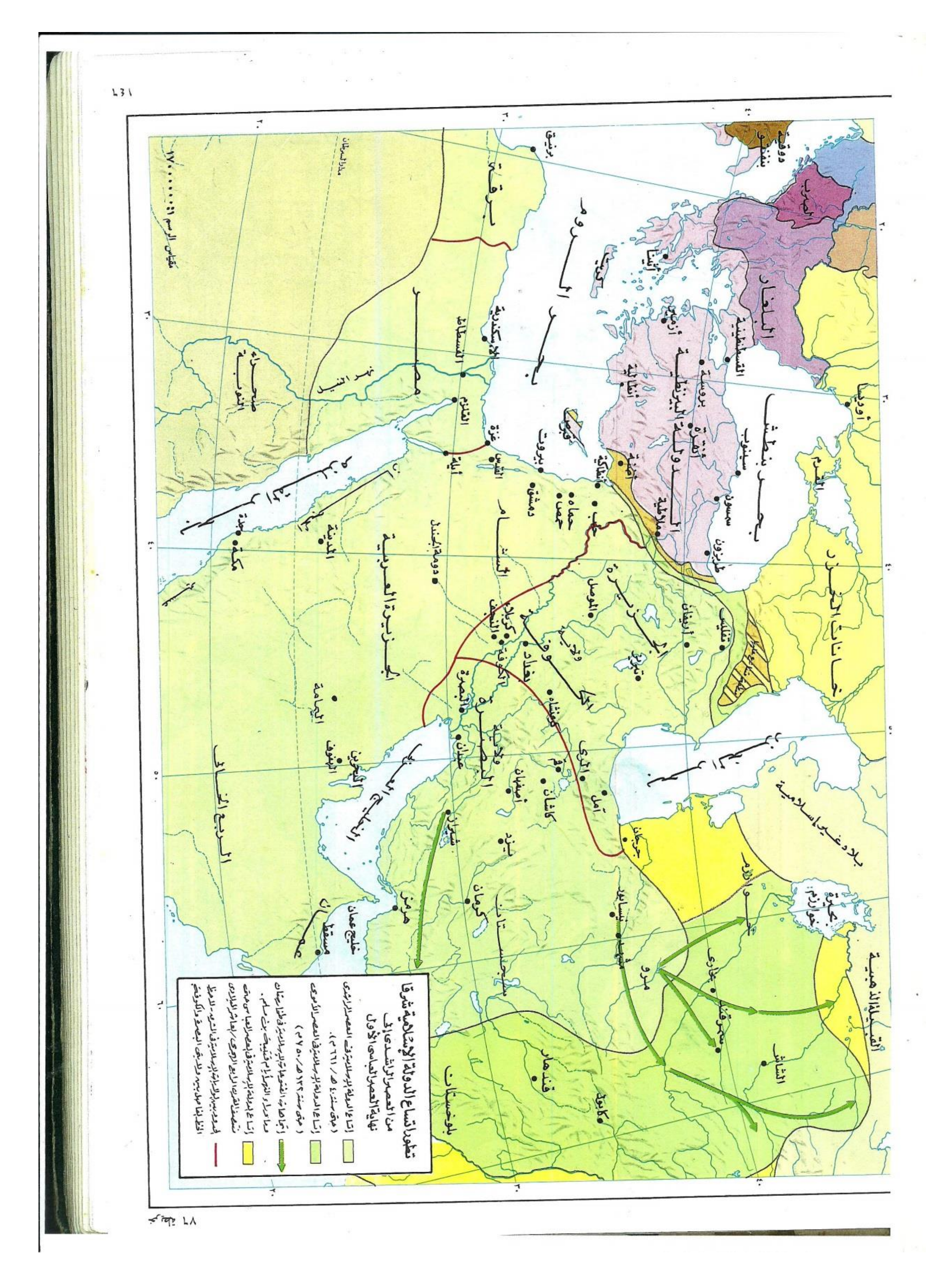
الملاحق

ملحق رقم (1): الدولة العباسية في أقصى اتساعها (اطلس التاريخ الاسلامي)

حسين مؤنس



ملحق رقم (2): تطور الدولة الإسلامية (اطلس التاريخ الاسلامي) حسين مؤنس



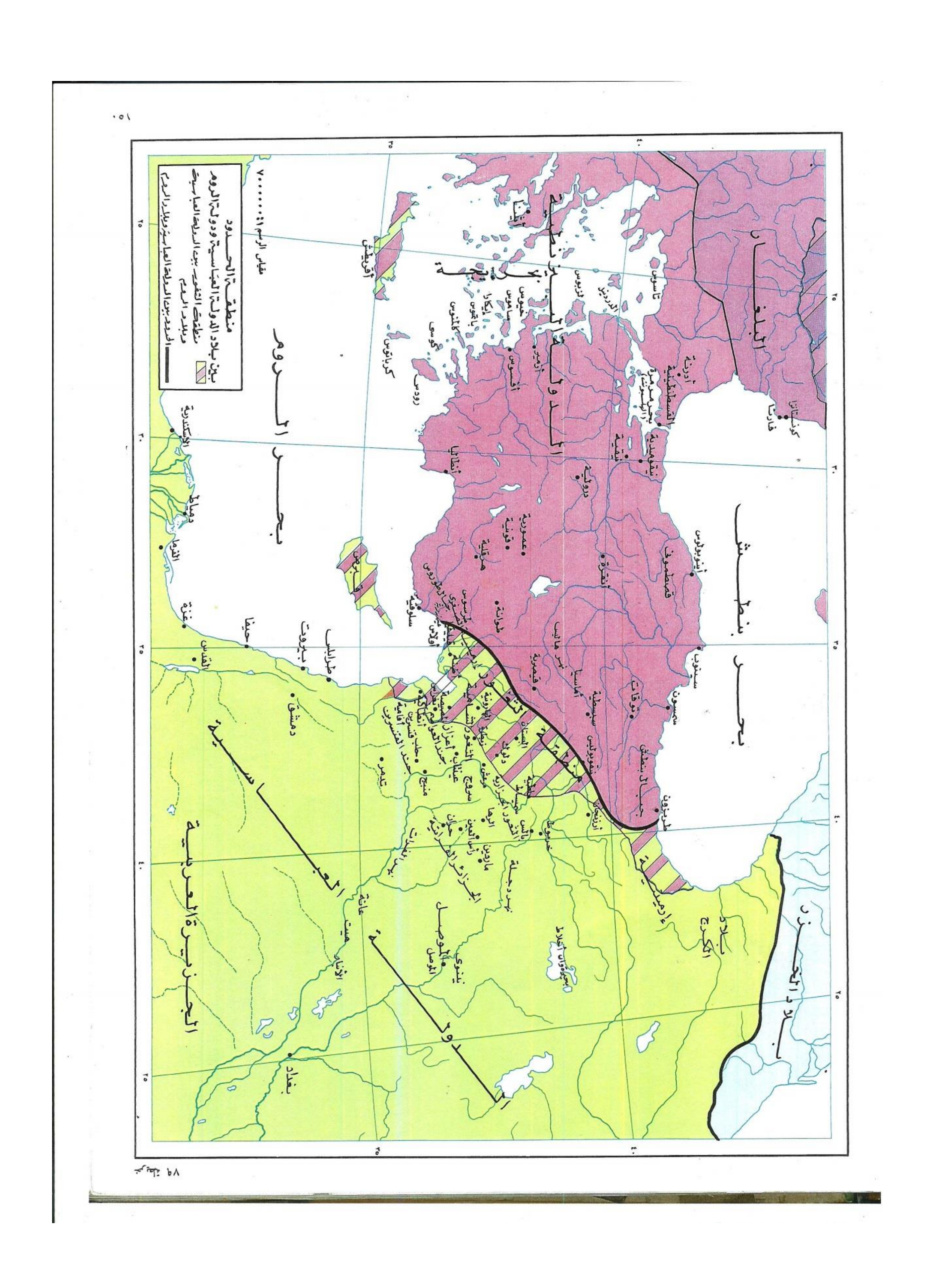
ملحق رقم (3):الدولة العباسية حتى حكم المستكفي بالله (اطلس التاريخ الاسلامي)

حسين مؤنس

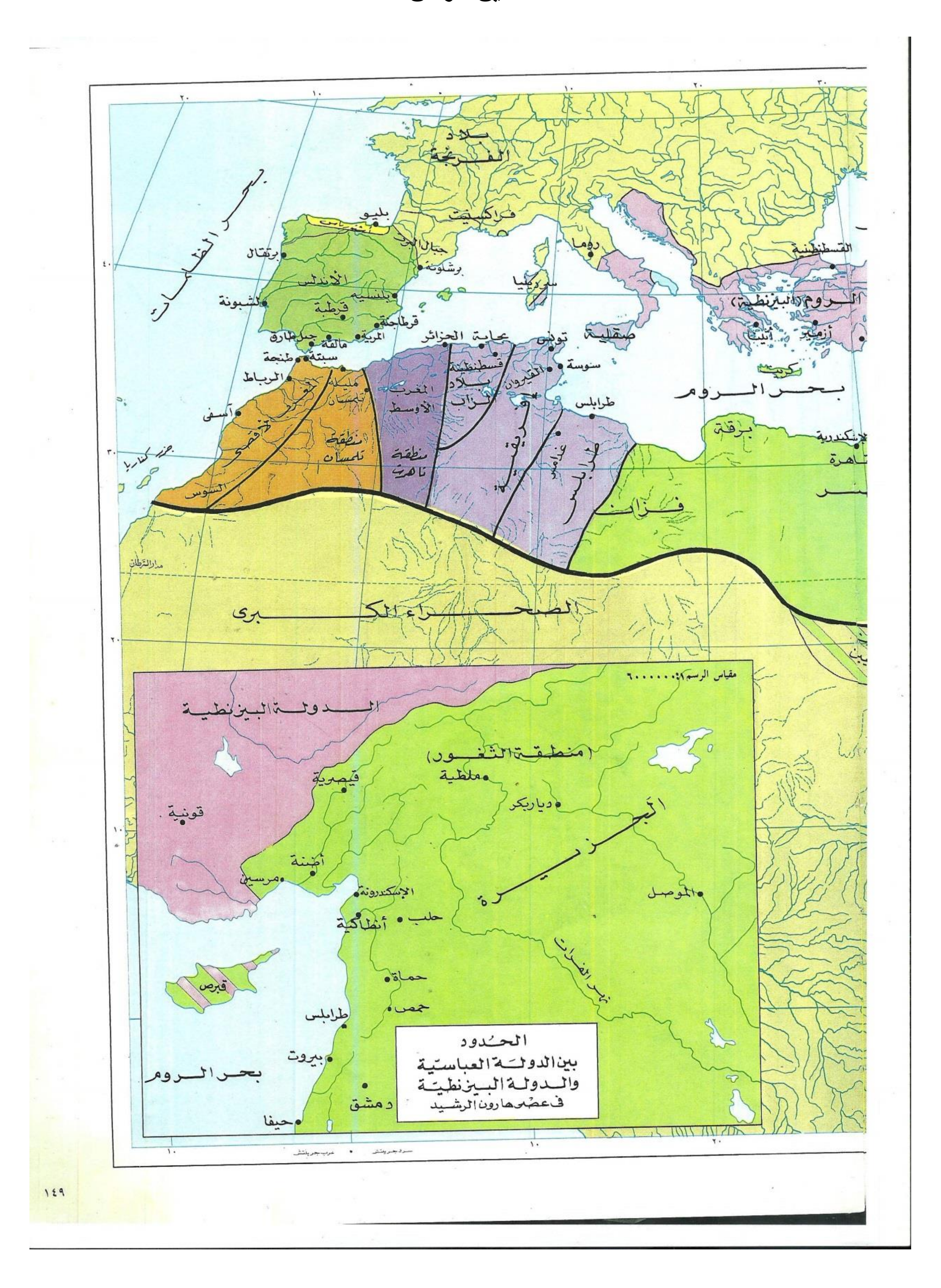


ملحق رقم (4): الحدود بين الدولة العباسية ودولة الروم (اطلس التاريخ الاسلامي)

حسين مؤنس



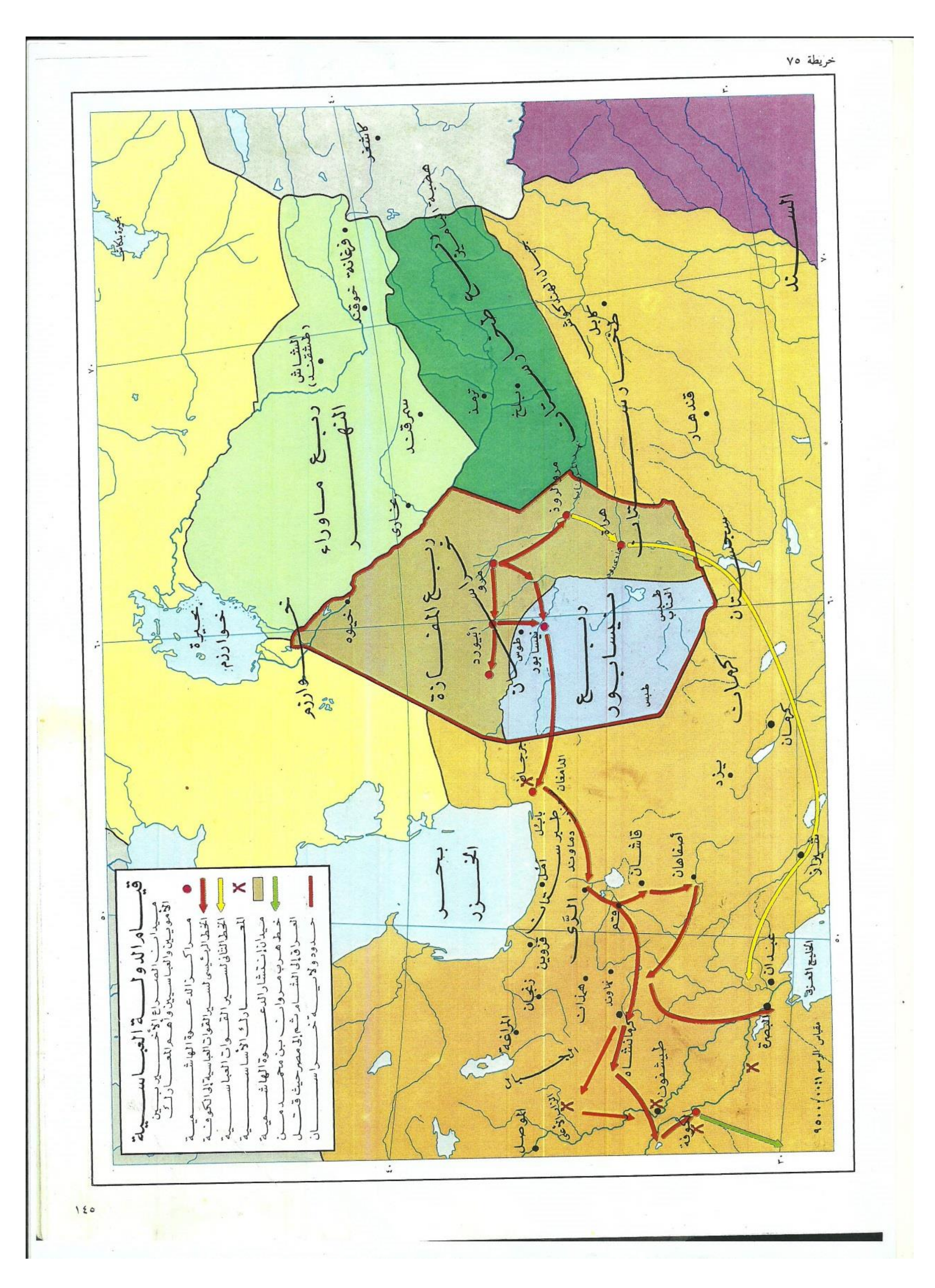
ملحق رقم (5):الحدود بين الدولة العباسية ودولة البيزنطية(اطلس التاريخ الاسلامي)



بلاد الفرنجة
فركسينيت
بحر الظلمات
بلييو
جبال البرت
برشلونة
برتقال
الأندلس
بلنسية
قرطبة
لشبونة
قرطاجنة
المرية
مالقة
جبل طارق
سبتة
طنجة
الرباط
آسفى
السوس
بجاية
الجزائر
تونس
قسطنطينية
القيروان
سوسة
طرابلس
بلاد الزاب
المغرب الأوسط
منطقة تاهرت
منطقة تلمسان
غدامس
صقلية
روما
سردينيا
القسطنطينية
الروم (البيزنطية)
أثينا
كريت
بحر الروم
برقة
الإسكندرية
فزان
الصحراء الكبرى
مدار السرطان
مقياس الرسم ١: ٦٠٠٠٠٠٠
الدولة البيزنطية
(منطقة الثغور)
ملطية
قيصرية
ديار بكر
قونية
الجزيرة
أضنة
مرسين
الإسكندرونة
الموصل
حلب
أنطاكية
قبرص
حماة
حمص
طرابلس
بيروت
بحر الروم
دمشق
حيفا
بحر الفرات
الحدود
بين الدولة العباسية
والدولة البيزنطية
في عصر هارون الرشيد
١٤٩

ملحق رقم (6):المعارك الأخيرة بين الأمويين والعباسيين(اطلس التاريخ الاسلامي)

حسين مؤنس



ملحق رقم (7):طرق المواصلات التجارية في العصر العباسي (اطلس التاريخ الاسلامي)

حسين مؤنس

